

جامعة الجزائر 02 (أبو القاسم سعد الله)
معهد علم الآثار



تطور الصنائع الجلدية للقبائل الطارقية بالهقار وإنتشارها
بالسودان الغربي والأوسط في القرنين الثامن عشر والتاسع
عشر الميلاديين
-مجموعة متحف البارديو نموذجاً
دراسة أثرية فنية

The development of leather crafts of the Tuareg tribes in
the Hoggar and their spreading in western and central
Sudan in the eighteenth and ninth centuries

-Pardo Museum Collection Model.

Technical Archaeological Study

رسالة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الصحراوية والريفية

إشراف الأستاذ:

أ-د محمد الطيب عقاب

إعداد الطالب:

عبدالقادر قطاف

أمام لجنة مناقشة

- أ-د(ة) محمودي ذهبية رئيسا
أ-د محمد الطيب عقاب مشرفا
أ-د(ة) تومي رفيقة عضوا
د-مرابط ليلي عضوا
أ-د بوزرينة السعيد (جامعة البيض) عضوا
د-خياط سليم (المركز الوطني للبحوث في ماقبل التاريخ وعلم الإنسان) عضوا

السنة الجامعية: 2023/2022

**University of Algiers 2 - Abou EL Kacem Saâdallah
Institute of Archeology**



**The development of leather crafts of the Tuareg
tribes in the Hoggar and their spreading in western
and central Sudan in the eighteenth and ninth
centuries**

-Pardo Museum Collection Model.

Technical Archaeological Study

Thesis to obtain a doctorate degree in desert and rural archeology

student preparation

guettaf abdealkader

Supervision of

prof

mohamed al taib akkab

before the discussion committee

Mahmoudi Dahabiya.....is a chairman

mohamed al taib akkab.....is a supervizor

mrabet leila.....is a membre

Tommy rafika.....is a membre

Said Bouzrina(university of baydh)..... is a member

Slim khiad(crape)..... is a member.

year university 2022–2023

قال الله تعالى:

﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود
الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن
أصوافها وأوبارها وأشعارها متاعا وأثاثا إلى حين﴾

الآية 80 من سورة النحل .

قال تعالى: "﴿ومن الأنعام حمولة وفرشا﴾

الآية 142 سورة الأنعام.

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا دبغ الأهاب فقد طهر.

كلمة شكر:

جاء فى الأثر عن النبى صلى الله عليه وسلم : من لا يشكر الناس لا يشكر الله.

فالشكر موصول إلى الأستاذ محمد الطيب عقاب لأنه من أوفر الناس علما وأدبا ، وأنه أعاننا فى بحثنا طيلة مشوارنا بالجامعة، وذلك لاننا توسمنا فيه البحث والعمل فكان نبراسا وقدوة لنا ، وسهل الله على يديه تعلمنا ، كما لا يفوتنا فى هذا المقام إلا أن نذكر الأساتذة الكرام والذين إستزدنا منهم وأفادونا كثيرا .

وأشكر كذلك الأستاذة المساعدة محمودي ذهبية لقبول الأشراف ومتابعة تصحيح هذا البحث.

الأهداء :

أهدي هذا العمل المتواضع إلي الوالدين الكريمين
والزملاء وكافة الأصدقاء .

وأخص بالذكر: زهير ، بلقاسم فضة ، حلاس رابح وخير
الدين .

قائمة المختصرات

BIS:BULLETIN DE LIAISON SAHARIENNE

IREMAM :L'Institut de Recherches et d'Études sur les Mondes Arabes et Musulmans

Ifan :Institut Fondamental d'Afrique Noire

Travaux de l'Institut de recherches sahariennes.

IRCH :Institut de recherche en sciences humaines

المقدمة

مقدمة :

ترتبط تاريخ وحضارة الطوارق بالحرف، ومما صنعه من سروج وخيم وطبول والتروس الجلدية والنعال والحمائل، وحظيت الصناعة الجلدية لدى طوارق الهقار باهتمام كبير لوفرة جلود الحيوانات، حيث توزعت في الصحراء عدة أنواع من الظباء والغزلان والفنك ويمكن موقع الأهقار بجلب أنواع من المادة الخام من بلاد السودان، وكانت الجلود تدبغ بمواد محلية نباتية ومعدنية كالشب والملح، لوفرة السباح في مناطق الهقار، ومن الجلود المدبوغة تصنع جميع الأواني والأوعية والخيم والقرب.

وتمتاز الصنائع الجلدية بالأهقار، بأن لها سمات وملامح خاصة، حيث تطورت هذه الصناعات الجلدية عبر التاريخ واتخذت أشكالاً وأنواع في إنتاجها مثل منتجات السروج والطبول والألات الموسيقية والأظرفة، وتبين تصنيع التروس الجلدية المتينة والمزينة عن أسرار صناعة خاصة بالصناع الطوارق .

وتبرز هذه الأدوات الجلدية بالهقار أصالتها خاصة في الأعمدة الجلدية للسكاكين، التي تنتمي بتساميها وعراقة أساليبها الفنية للبربر، وتعد مظهرًا فنيًا وجماليًا تتم عن معارف وأما باقي الأدوات المطرزة كالنعال والعلب التي يستعملها طوارق الهقار، فكانوا يجلبونها من الأقاليم الحضرية والتجارية التي تقع بالصحراء مثل: سوق تومبكتو بفضل تجارة القوافل، ومن جهة أخرى تعكس بعض المنتجات الجلدية بالهقار جوانب ثقافية وحضرية وطقوسية للمجتمع ، كونها تستعمل في مناسبات معينة.

أولاً: التعريف بالموضوع وأهميته:

تتناول هذه الدراسة الموسومة بتطور الصنائع الجلدية الطارقية بالهقار وأنتشارها بالسودان الغربي والأوسط، تقديم نظرة أولى حول طوارق الهقار ومجالها الجغرافي، ثم تناولنا الحرف الجلدية لدى الطوارق بالصحراء الوسطى الهقار بتتبع المصادر التاريخية

وتطور هذه المنتجات الجلدية عبر التاريخ، حيث تعتبر مهن الدباغة وصناعة الجلود من جملة الحرف الأساسية ببلاد الطوارق، وكانت الصناعة الطارقية الجلدية تتجلى فيما يستعملونه من الأدوات الحربية كالدرق الجلدية كدروع، والسروج وصناعة عدد من الأدوات الجلدية كالخيم ولوزازمها من الأفرشة والوسائد والنعال، وتعتبر الأدوات الجلدية بالأهقار من أدواتهم اليومية .

وإتخذت الصنائع الجلدية بالأهقار طابعا فريدا في أشكالها، وهو يعبر عن حضارة أصيلة لمجموعات الطوارق، حيث الصناعة الجلدية كانت محلية ومتقنة جدا، تطلبت من الحرفي أن يكون ذا دراية بالمواد التي تستعمل لتتعميم المنتجات الجلدية، وبتوفير تلك المواد التي تزخرف النحت والرسم وتجعله زاهيا، ولذا فقد استعمل الصناع الأدوات والمواد بطرق وتقنيات تساعدهم على دقة منتوجاتهم، سواء لنحت الجلود ونقشها وتفرغها أو ختم الرسوم بالطابع، وهذه التقنيات المتنوعة كلها من تقنيات الصنعة الجلدية.

ولقد شملت الصنائع الجلدية لدى الطوارق عدة مصنوعات، فهناك المصنوعة الخاصة بالمخيم مثل الأفرشة والوسائد والقرب وحقيبة تاسوفرا، وعاء الدهان، حبال ودلاء، وغرائر من الجلد بحجم كبير للتخزين، وهناك مصنوعات مطرزة كالحقائب والمحافظ والوسائد وكان تزيين هذه المنتجات عند الصناع بتقنيات متعددة من التطعيم بمواد أخرى أو بخيوط الحرير على سطح الجلود التي تكون أرضيتها حمراء، أو بنقش رسوم وحزها على الأهداب (رقع شطرنج، مثلثات).

وكانت تستعمل الجلود في الهقار في مجالات شتى حتى في المجال الطبي، وتستعمل في المجال السياسي بعض الأدوات كالطبل الجلدي للحاكم وهو رمز من رموز السلطة وخاص بحضارة قبيلة الطوارق.

ولاشك أن تنوع طرق تصنيع المنتج عند الطوارق وتزيينه سواء أكان منحوتا أو مصبوغا هو متعلق بالشراء المادي للأفراد وميسوري الحال، ولذا فتنافس الصانع في تزيين هذه الأدوات الجلدية برسومات متنوعة سواء بنقشها أو بصباغتها برسومات وأشكال (مثلثات وصليب ودوائر ومعينات) وكانت تقايض المصنوعات كالحقائب في مجتمع الهقار بمواد أخرى ، واعتبرت في كثير من الأحيان رسومات رمزية ذات صبغة طقسية لحماية المحارب والراكب.

ومجال الدراسة يُعنى بصنائع طوارق الصحراء مع الإشارة إلى الصنائع الخاصة بطوارق الجنوب المنتشرة في السودانين الغربي والأوسط .

أما الإطار الزمني للموضوع ، فإنه يحاول أن يؤرخ لفترة هامة هي ما بين منتصف القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، وهي الذروة التي شهدت فيها تطورا للصنائع بحواضر السودان مثل تومبكتو، ولقد بقيت هذه الأدوات الجلدية المحفوظة بالمتاحف لاسيما المتحف الوطني "الباردو" كشاهد مادي وحضاري لحقبة تاريخية من حضارة الطوارق، وتتكون هذه المجموعة من 302 قطعة جلدية، وهي تتنوع ما بين أدوات وأوعية وسروج وخيم جلدية .

تم إختيار 25 قطعة كعينة للدراسة منها: الخيم الجلدية ولوازمها من الأوعية والأفرشة، الألبسة مثل: النعال والقمصان الجلدية الخاصة بالعبيد، معدات السفر وهي حقائب متميزة في صناعتها وزخرفتها مثل: حقيبتى الجبيرة وتحيحات، والأدوات الخاصة بالأمنوكال (الطبل والترس) وكذلك الأدوات الخاصة بمحاربي الطوارق كالسروج والترس، ولوازمها من ال ومن القيود والسياط، وفي الأخير الأدوات الخاصة بمرابطي الطوارق وهي الحجابات.

ويمكن تصنيف النماذج المختارة إلى: أدوات المحاربين ، أدوات خاصة بالعبيد، وأدوات خاصة بالمرأة.

ثانيا: أسباب إختيار الموضوع والأهداف:

من بين الأسباب التي دفعتني الى اختيار هذا الموضوع،هو رغبتى الشديدة في التعرف على البيئة الصحراوية للهقار وما تحمله من إرث حضاري كالصناعة الجلدية من خلال تناول مجموعة متحفية والتعريف بهذا الفن الطارقي،المتميز بعناصر زخرفية جميلة لا أحد ينتبه إليها، والذي يجهله الكثيرون.

والسبب الثاني ويعتبرلدينا سببا وجيها،لأن هذه الدراسة هي إمتداد لموضوع رسالة الماجستير،حيث الهدف الرئيس منها هو إيفاء هذا الموضوع حقه وقتله بحثا لتحقيق الأهداف المرجوة منه ،والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- 1-أصالة الأدوات المصنعة بمنطقة الصحراء .
- 2-التعريف بقبائل الطوارق وأهم تفاصيل حياتهم، وأهم نشاطاتهم.
- 3-ذكر بعض خصوصيات المصنوعات الجلدية التارقية للهقار عن غيرها من المصنوعات في جميع أقاليم الطوارق من نيجريا ومالي والنيجر .
- 4-أن حرفة صناعة الجلود كان يتم بها صنع أواني نفعية، كالخيام والحبال والقرب وكانت هذه الأدوات قد استعان بها البدو في تعمير منطقتهم، وبلوغ الطوارق الثراء مكنهم ذلك من اقتناء تحف كمالية وحضارية كالسروج والعلب الجلدية .
- 5-أن هذه المنتجات الجلدية لعبت دورها في تعمير أسواق السودان، وكانت سلعة كثيرة الطلب كمثل باقي المنتجات الأخرى.

ثالثا: إشكالية البحث:

عرف طوارق الهقار صناعات جلدية أشارت اليها المصادر، ومع الوقت كان يتم تصنيع وتلوين الجلود باستعمال أدوات وتقنيات عالية وبزخارف متنوعة وغدا من ملامح الإنتاج

الصناعي لطوارق الأهقار، تعدد مختلف الأدوات المصنوعة من الجلود واتخذت الصنائع الجلدية سمات فنية خاصة بطوارق الصحراء بالهقار، وعليه توجب طرح الأشكال التالية:

فيما يتجلى الطراز العام للمصنوعات الجلدية الطارقية بالهقار على المستويين التقني والفني؟ وهل كانت هذه الرموز المنفذة على الجلود تمثل ثقافة طوارق الهقار عبر العصور التاريخية؟ وفي الجانب التقني هناك تساؤل حول ماهية الدبغات الخاصة والألوان التي أستخرجها الفنان بالهقار والأدوات التي أستعملها على الجلد؟

و بالنظر الى إتقان هذه الأدوات وإحكامها، يتبادر الى الذهن التساؤلات الفرعية التالية:

- هل إرتبط هذا الإتقان بتقنيات، أم بمناسك طقوسية سحرية لا يعرفها الا الصناع ؟ وما هي أصول الصناع هل هم من اليهود، أم من السكان المحليين؟

- هل إقترنت الرموز الموجودة على الجلود بالزينة فقط، أم هي زخارف لها دلالات وزخارف وظيفية لها قوة و صبغة طقسية خاصة بثقافة الهقار ؟ لأن أكثر هذه المنتجات الجلدية الطارقية مزينة بنقوش وتصاميم منفذة تارة بخط التيفيناغ، وتارة نجد تواقع الحرفيين.

- هل لعلامة الصليب علاقة بالمسيحية، أم رمز يعكس بيئة الطوارق؟ لأن جل أشكال الأدوات الجلدية منتهية بعلامة صليب، وهل تأثر الفن الطارقي بالأهقار بالتأثيرات الفنية الوافدة من السودان للتشابه الموجود بينهما، أم هو فن صحراوي متوارث من الفترات الاسلامية الأولى؟

رابعا: تقسيم الموضوع:

وللأجابة على الأشكاليات المطروحة قسم البحث وفق الخطة التالية إلى مقدمة وأربعة فصول متبوعة بملاحق توضيحية:

الفصل الأول : عنوان ب: تاريخ وجغرافية الهقار، وحياة الطوارق السياسية،الاقتصادية،الاجتماعية،الفكرية والثقافية.

1-المبحث الأول: طوارق الهقار(التسمية ، الهوية والأصول، المجال)

2- المبحث الثاني:الحياة الاقتصادية ،الاجتماعية والسياسية لطوارق الهقار والتي شملت الأغارة والرعي وتجارة القوافل مع بلاد السودان، والجانب الاجتماعي طبقاتهم .
وأما السياسي المتمثل في نظام الطبل وهو الحاكم وكيف تنصيبه واختياره.

3-المبحث الثالث: تناول الحياة الفكرية ومعارف الطوارق ومعتقدات وأداب الطوارق وتناول أيضا الراهب فوكو ونشاطه التبشيري في الهقار .

الفصل الثاني : تطور الصنائع الجلدية لطوارق الهقار

1-المبحث الأول: مقومات الصناعة الجلدية وذكرنا فيه مواد الدباغة وأنواع الجلود والأدوات المصنوعة من الجلد المدبوغ وغير المدبوغ.

2-المبحث الثاني: تقنيات الصناعة والزخرفة

3-المبحث الثالث: أصول الصنائع وشروط تعلم الصناعة ومراكز الصناعة

الفصل الثالث: الصنائع الجلدية الطارقية وإنتشارها بالسودان الغربي والأوسط.

1-المبحث الأول: قيام الحواضر في السودان الغربي والأوسط مثل تومبكتو ومدينة كانو وأهم الصنائع الجلدية في مدن السودان الغربي والأوسط، والإشارة الى جاليات الصنائع من العرب والطوارق.

2-المبحث الثاني: سمات تصنيع الأدوات الجلدية في السودان خاصة صناعة حقيبة الجبيرة وتطريزها، وصناعة العلب الجلدية والسروج التي تسمى بالراحلة ، وكذلك التطرق إلى صناعة النعال الجلدية .

3-المبحث الثالث: ذكر مبيعات الأدوات الجلدية و كيف يشتري طوارق الهقار هذه الأدوات وأنواعها، كما تطرقنا إلى ذكر أهم المراكز الصناعية بالطوارق، خاصة طوارق النيجر مدينة أغاديس ومصنوعاتها ، وتطرقنا إلى الأبعاد الحضارية ما بين الصحراء والسودان الغربي من خلال الإنتاج الجلدي.

الفصل الرابع : الدراسة الفنية الأثرية للمجموعة الجلدية "الأثنوغرافية" بمتحف البارود

1-المبحث الأول: تعريف متحف الوطني البارود ونوع المعروضات ومصدر المجموعة

2-المبحث الثاني: ماهية العرض الجيدة .

3-المبحث الثالث: المتاحف الأثنوغرافية.

4-المبحث الرابع:البطاقات التقنية لعينة البحث

خامسا:المنهجية المتبعة:

إفتضت طبيعة البحث أن نتبع منهجية مناسبة لدراسة الموضوع من كل جوانبه ، وهذا للوصول إلى إجابات وافية للتساؤلات والتصورات المطروحة في الأشكالية ، وتقوم هذه المنهجية على محورين هامين أحدهما نظري والثاني تطبيقي.

النظري: جمع المادة العلمية من مصادر ومراجع حول الطوارق خاصة بالهقار

التطبيقي: جمع المادة الأثرية ودراستها بأخذ نماذج من التحف الجلدية الموجودة بمتحف البارود خاصة تلك التحف التي تميز طوارق الهقار عن باقي الطوارق الآخرين لاسيما الصناعة والزخرفة .

ومن أهم المناهج العلمية المتبعة :

- 1-**المنهج التاريخي:**مهم جدا خاصة تتبع أصول قبائل الهقار .
- 2-**المنهج الوصفي:**لوصف الأدوات والمصنوعات الجلدية وإبراز الرموز الصحراوية الأصلية والرموز البربرية، وتتبع العناصر وتطورها، طبعا مع أخذ كل المقاسات الممكنة.
- 3-**المنهج التحليلي:**لتحليل تقنيات الصناعة والزخرفة المتبعتين في مختلف الصنائع الجلدية،بالرجوع للفترات السابقة واللاحقة للفترة المدروسة.
- 3-**المنهج الأثنوغرافي:** وهو علم يدرس الشعوب وتقاليدها ولذا فإن الأثنوغرافيين كونوا مادة هامة حول ثقافة الشعوب الأصلية وحاولنا الرجوع الى أهم الكتب الأثنوغرافية خاصة كتب التي يصدرها المتحف الأثنوغرافي بسويسرا وفرنسا.

سادسا:الدراسات السابقة:

يعتبر موضوع الطوارق من المواضيع النادرة التي لم يتطرق اليه أكاديميا ، ولم يحظ بالاهتمام في الأبحاث العربية وأغلب الدراسات الأجنبية ، وبخصوص موضوع الصناعة الجلدية لدى الطوارق فهي قليلة ، توجد بعض الإشارات في المصادر، وأولها المؤرخ "هيرودوت" الذي أشار إلى هذه الحمالات الجلدية والدروع التي يستعملها الليبيون القدامى الذين ينحدر منهم الطوارق، كذلك نجد من بين المصادر البكري الذي أشار إلى صناعة الدرق الجلدية كالدرع ، وتطرق أيضا الى صنع السياط الجلدية.

أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري، كتاب النبات ، تحقيق برنهارد لفين، النصف الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس، دار النشر فرانز شتايتير بفيسبادن، ألمانيا، 1974.

وقد أفادنا كثيرا في طرق الدبغ وطرق تحضير الأصباغ وتنفيذها.

أما تناول الموضوع كاملا فوجدناه في مقال علمي لمونيير (Mounier)، ورغم أن التقنيات الدباغية على الجلد التي نقلها إلينا حديثة، لكنها نفس التقنيات التقليدية والمهارات التي حافظ عليها طوارق الهقار، وقد أفادنا كثيرا لأنه عالج كل التحف الجلدية للتوارق ابتداء بمعالجتها ودباغتها ومقادير الدباغة، وموادها مروراً إلى طرق تشكيلها، وتناول بخاصة أقليم الهقار وأنواع الجلود المستعملة، وأيضا تقسيمه كان جيدا للمصنوعات من الأوعية السائلة والمعدات الجلدية كالحبال، والملبوسات والأحزمة وعدة صنائع أخرى مهمة.

Mounier, travail du cuir chez de touareg hoggar.

وقد أعتمدنا كذلك على قاموس للراهب "شارل فوكو" وأفادنا كثيرا في الأسماء المحلية للأدوات الجلدية، وكيفيات الدباغة والصباغة وهو قاموس مهم جدا.

De foucauld (Le père) , Dictionnaire abrégé Touareg–Français
(dialecte Ahaggar), tome 1, J. Carbonel. Alger

وبخصوص الهقار دائما إعتمدنا على دراسات المستكشف هنري لوت ويعتبر من أبرز من أرخوا لحضارة الطوارق ودراساته جيدة وهامة ومن بين ما إعتمدنا عليه

1-les vêtement de peau chez les touareg hypothèse de son origine.

يشير إلى أن أول لباس الطوارق كانت عبارة عن جلود، وهي قبل هذه الألبسة القطنية .

وأيضا كتابين :

2-lhote(h), Comment campent les touareg , collection des peuple campeure , j.susse.paris 1947.

3-lhote , dans les campement touareg , oeuvres française,paris 1947.

وإعتمدنا على مقال مهم حول الفن الطارقي، وأفادنا كثير في تأصيل الأدوات الجلدية وتطورها عبر التاريخ.

c , « l'art des touareg », la ranaissance , Killialn

وفي جانب آخر إستعنا بكتاب السويسري جان غابو(jean gabus) المسمى "الصحراء فنون ورموز"، ولقد عاين مختلف الفنون الصحراوية، بكل من موريتانيا والنيجر وشمال الصحراء الجزائر، وتناول الفنون الموريتانية والتارقية بصفة خاصة محاولا تحليل الرموز وانتمائها وأصالتها التاريخية، خاصة الرموز المنفذة على السرج وعلى التروس، وذكر أيضا مهن خرازة النعال الجلدية وأنواع الحقائق عند طوارق الجنوب في مالي.

.Gabus ,au sahara art et symoles , la baconnier,paris 1958

وأما فيما يخص صناعات طوارق الجنوب والسودان فلقد إعتمدنا على كتاب قيم حول الصنائع في منطقة تامسنا عند طوارق الجنوب،حيث ذكر فيه المؤلف أهم الحرف التي تصنعها قبائل تامسنا، كما ذكر تصنيفا كاملا لأهم الألوان وأهم الأدوات والمنتجات الجلدية كالحقائب والمحافظ والنعال لهذه الصناعات الطارقية الجلدية المتعددة.

Nicolas ,f,tamesna ,les ioullemmeden de l'est ou touareg kel

dinnik ,paris ,mdcccl

وهناك كتاب بعنوان الصناعات الرئيسية بمدينة تومبكتو وأشار إلى الصناعات المتداولة في هذه المدينة ، ولعل أهمها بعد صنائع الحدادة هي الصناعات الجلدية، وأفادنا في توزيع الصنائع الحرف بين كافة أقاليم الطوارق في السودان الغربي .

Yakouba, l'industrie professionnelle Tombouctou, Paris,
l'harmattan 1993.

وكتاب آخر مهم حول صناعات شمال نيجيريا والذي تطرق إلى صناعات الجلود وتقنياتها وذكر لنا اهم المؤثرات الحضارية من شمال إفريقيا الى السودان الممثلة في الرموز الزخرفية.

Wilferd(d.hamply) ,culture of areas of nigeria , filed museume of
natural history ,vol xxi ,no .3.chicago ,1893.

وأعتمدنا على كتابات ومقالات zelnter هي مهمة في فنون الجلود لدى الطوارق بالجنوب .

أما كتاب الأنثروبولوجية "هنكر" فأشارت فيه إلى الفن الطارقي والقيم الفنية له ومحاولة الربط بين الهوية والفن كنمط يعبر عن هوية الجماعة، التي تسمح ببناء عضوية الحرفيين ، كما أفادتنا في تفسير علاقة الفن بمجموعة الأيموهاغ ورموزهم الخاصة بهم .

Hinker , style touareg, IRAMAM ,paris,2005.

ورغم كثرة المراجع التي تناولت الموضوع المدروس، لكن الكثير منها لم تكن موضوعية، فلم تُشد بالإنسان الصحراوي وحضارته الأصيلة، ولم تتشأن ما وجد من تقنيات جد دقيقة ،واعتبارها قليلة الشأن وبدائيه، لهذا جاءت هذه الدراسة لتغطي بعض ما أغفلته هذه الكتب والدراسات، خاصة فيما يتعلق بإبراز أصالة الصناعة ومحليتها، ومدى الارتباط

ما بين الأطار الجغرافي وبين صناعة الجلود، بحيث أن كل مواد الصنعة متوفرة بالمنطقة من مواد الدباغة وحتى الألوان والأساليب الصناعية .

سابعا:الصعوبات التي واجهت البحث:

من الصعوبات التي واجهت البحث هو عدم فهم أصول الطوارق، لاختلاف الباحثين حولهم، فالانتشار الواسع للقبائل وتوزعها بمجال واسع من الصحراء إلى السودان، وكذلك التداخل التاريخي والثقافي لمجموعات الطوارق مع الرافد السوداني، من خلال تشابه نمط معيشتهم من جماعات أخرى وكلها دخلت في تكوين الطوارق، مما جعل من الصعب تتبع الطوارق الأصليين ولم تكن عندنا محددات لمعرفة هذه الطبقات الأصلية لأنهم كلهم يدعون أنهم طوارق، لكننا إهتدينا أن نوزع الموضوع لقسمين طوارق الشمال وهم قاطنو الهقار ويمثلون الطوارق الأصليين، وقسم آخر هم طوارق الجنوب الداخلة مع السودان .

-تشعب موضوع الصناعات الجلدية مما صعب من إيجاد المصطلح والترجمة الصحيحة لبعض الصنائع ككلمة الجراب الصغير والكبير sachet sac، وأيضا من بين الصعوبات عدم القدرة على فك الرموز المجسدة بالتيفناغ على كثير من الأدوات.

خاتمة:ضمناها النتائج المتوصل اليها،وذيلنا البحث بملاحق مختلفة من خرائط وأشكال وصور توضيحية.

الفصل الأول: تاريخ وجغرافية الهقار، وحياة الطوارق السياسية،الاقتصادية،الاجتماعية،الفكرية والثقافية

1-تمهيد

2-جغرافية وتضاريس الهقار

3-تعريف الطوارق

3-1-طوارق الهقار (التسمية ،الهوية والمجال)

4-الحياة الاقتصادية

5-الحياة السياسية

6-الحياة الاجتماعية

7-الحياة الفكرية

8-الحياة الثقافية

9-جهود الاستعمار الفرنسي في التعرف على الطوارق خلال القرن التاسع عشر

1-تمهيد:

إن تاريخ المنطقة الصحراوية وتعميرها يرجع إلى عناصر قديمة سكنت الصحراء ويبدو أنه كانت لتحركات المجموعات البربرية كان نتيجة للأحداث الكبرى بمنطقة الشمال الأفريقي، فلقد كانت هذه الأخيرة تعرف أحداث وغزوات متعددة لاسيما في جميع فتراتنا منذ القدم إبتداء من القرطاجيين والرومان والعرب، لذا فإن هؤلاء النازحين وجدوا بالصحراء الملاذ الآمن وحاجزا منيعا أمام كل متعقب لهم، وهذا ما يفسر بقاء عاداتهم وتقاليدهم محفوظة، كما أنهم رفضوا الاستعباد لكونهم يُعدون من الرجال الأحرار، وهؤلاء سكنة الصحراء إشتهروا بإسم الطوارق، ولم تبدأ سيطرتهم وقوتهم في المنطقة إلا في فترة الفتح وما بعده أي بعد مجئ العرب وما نجم عنه من إدخال الجمل، وعمر الوافدون المنطقة بالأنصهار مع السكان المحليين البربر، واكتسب الطوارق ثقافة ميزته كمجتمع له أصوله من لغة وتنظيم إجتماعي عرفه منذ عصور قديمة، ويمتد الطوارق ويتوزع في مناطق النيجر ومالي والجزائر، ويعد طوارق الهقار المتمركزين بالصحراء خير من يمثل حضارة الطوارق، وذلك لبداياتهم وطريقة عيشهم البدوية وأدوا دورا في الحياة التجارية ما بين الصحراء وبلاد السودان ، ومن جهة أخرى كانوا جسرا ناقل للكثير من المؤثرات الثقافية فيما بين شمال القارة وجنوبها.

وفي العصر الحديث حظي طوارق الهقار بمزيد من الأهتمام وذلك لمواقعهم الجيدة، وهم مجهولون لدى الكثير لذا فإن القليل من الرحالة الغربيين قام بزيارة مضاربهم لقوة شكيמתهم ورفضهم لكل أجنبي يطأ أراضيهم، ومن الرحالة المشهورين: هنري لوت ، الاب شارل فوكو، فلاماند، لامي، دوفيرييه، وحاولوا التعرف علي طوارق الهقار التي تتعلق بتاريخهم وعاداتهم والتطرق لثقافتهم، وفيما عدا هاته الدراسات تعد الكثير من التي ذكرت شعوب الطوارق كان في أغلبها ذات جانب إسطوري.

2-جغرافية الهقار وتضاريسه:

تعتبر الصحراء الكبرى¹ من أجف البقاع وأعتبرت كعقبة كأداء أمام الرحالة معنى أنه لم يكن في إمكان أي رحلة إختراقها، دون أن يلتحق بإحدى القوافل التجارية التي كانت تسلك الطرق والدروب المعروفة لشدة حرارتها وكثرة الكثان الرملية وقلة المياه وتشغل الهضاب الجزء الأكبر من الصحراء خاصة هضبة الهقار وتضم العديد من القمم البركانية العالية، وتعتبر هذه الهضبة موطن الطوارق الملتمين والمحاربين الشجعان، وهي عبارة عن جبال بركانية عالية قائمة اللون وصلبة وأن الهضبة ذات الصخور الحادة الأطراف تدعى الحمادة أو تانزروفت، ومناخ الهقار صحراوي جاف تقل فيه الأمطار تتساقط مرة كل عشر محدثة فيضانات تساعد نمو بعض الحشائش والأشجار كالكطف حيث تعمل على جلب الرطوبة، وهذه المرتفعات صخورها بركانية تتحدر منها أودية متخذة كوادي تمنغست ووادي أغرغار وأمدغور، وهاته الوديان يتربي فيه الكثير من الحيوانات كالظباء والغزلان وشكلت موردا هاما للطوارق والسباح تمثل ثروة اقتصادية في إستخراج الملح وبيعه² وتتمثل ملحقات الهقار في تاسيلي أجر في الشمال الشرقي والمويدرفي الغرب وتوجد هضبتان تشكلان إمتدادا للهقار ناحية الجنوب وهما عير وأدارر إيفوغاس وكان يسكن هذه المناطق الصحراوية في الفترة من القرن الثاني هجري جماعات مختلفة من البربر من سلالة الفرع المسمى بالصنهاجة الذين كانوا أجداد الطوارق الحاليين، الهقار هل ضلت مركز للعبور فقط، وتذكر المصادر العربية مناطق من هضبة عير كانت معروف من قبل في القرن الثالث الهجري التاسع ميلادي فيذكر اليعقوبي الأزبن، وهو الاسم القديم لمنطقة العير الذي إستخدمه السكان السودا والمخلطون، وكان لا يزال مستخدما في زمن ذلك الرحالة، ولم تكن مرتفعات أدارر إيفوغاس هي الأخرى مجهولة للجغرافيين العرب القدامى الأخص مدينة تادمكة (بقيت أطلا

¹-يقسم ليون الأفريقي الصحراء الكبرى الى خمس أقسام صحراء صنهاجة وونزيكة ، وصحراء تاركة ولمطة وبرداوة.

²-غيرهارد رولفس، عبر إفريقيا رحلة من البحر المتوسط إلى بحيرة تشاد وإلى خليج غينيا، ترجمة عماد الدين غانم، الجزء الأول، منشورات مركز البحوث والدراسات الأفريقية بسبها، 1987، ص 182.

السوق الواقعة 45 كم شمال قرية كيدال الحالية) التي كانت مركزها السياسي ،وكان أهالي سغماره هم البربر الذين يقطنون منطقة تمتد شمال تادمكة أو بالأحرى شمال شرقها حتى نقطة تقع على مسيرة 6 أيام من أطلال السوق وكانوا يسكنون أيضا الأقليم التابع لتادمكة والواقع جنوب هذه المدينة في مواجهة مدينة غاو، ويعتبر لوت أن هذه الجماعة هي نفسها الطوارق الأسكمارين الذي يعيش جزء منهم حتى الآن عيشة البدو في الأدرار ويوجد جزء منهم في الهقار(أنظر الخريطة رقم 1)¹.

3-تعريف الطوارق:

يعرف الطوارق عند العرب بأنهم قبائل بدوية بربرية يلبسون اللثام وهم يقطنون الصحراء الكبرى ويمتد توزيعهم الجغرافي من منطقة توات وحتى تمبكتو ومن فزان إلى زندر، وينقسم الطوارق إلى أمم وقبائل عديدة ويتكلمون جميعا اللغة الطوارقية والطوارق ليسوا جميعا من المسلمين،وهم يختلفون في عاداتهم تبعا لأختلاف أصلهم، مولعون بالحرب، تهئ لهم قدرتهم الطبيعية أن يكونوا من أعظم شعوب العالم،وفي العصور الوسطى عُرف الطوارق بإسم المثلثين أو صنهاجة اللثام،ويذكرهم ابن خلدون في بحثه عن الصنهاجيين المثلثين أنهم كانوا في الأزمنة القديمة قبل الإسلام يسكنون الصحاري الجنوبية ويعتمدون في معيشتهم على لحم الأبل ولبنها لبعدهم عن مناطق جبال التل المنبئة المخصبة،وأنهم يجتنبون التقرب من الأقوام المتمدنون والأختلاط بهم، ويعيشون على إنفراد ويصفهم بالشجاعة،ويقول أنهم لم يرضخوا لحكم الأجنبي قط "رماحهم في أيديهم راكبين على جمالهم يجوبون الصحراء دائما يقومون برعي حيواناتهم وتتميتها ويغيرون على أبناء السبيل ويسلبونهم"، ولهم عدة قبائل ينحدرون من قبائل جدالة ولمتونة ومسوفا ولامتا وتارغا التي عاشت في الصحراء إلى القرن التاسع

¹ -تاييدور ليفيتسكي، " دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب"، تاريخ أفريقيا العام من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر، المجلد الثالث، المطبعة الكاثوليكية -اليونسكو ، بيروت-لبنان ، 1998، ص 340.

عشر هجري قامت بينهم قبيلة لمتونة بأعباء الحكم وحكمت جميع القسم الصحراوي إلى نهر النيجر وإن قبيلة لمتونة التي أشار ابن خلدون من المحتمل جدا أن تكون قبيلة أوليمدان التارقية اليوم منحدره منها وتعرف الأوليمدان عندالتوارق أنها قبيلة أصيلة¹، وحافظت على الكثير من العادات ولغتها وآدابهم وعلى جوانب أساسية من ثقافتهم رغم أنه يضم في تكوينه على أقليات من السود².

لقد تناولت الكثير من المصادر ذكر الطوارق فهذا ابن حوقل في رحلته التي قام بها في الصحراء في القرن العاشر يذكر قبيلة من الطوارق إسمها بني تاناماك وهم سكان تادمكة فإنهم كما يقال من أصل سوداني إبيضت بشرتهم لخروجهم من الأقليم الحار في الجنوب وهم من نسل حام وملوكهم، وأما البكري في القرن الحادي عشر قد قدم معلومات عن الصحراء الغربية، وقد تحدث عن طوارق الأيفوغاس ومدينتهم تادمكة وعن سكانها أنهم يقتاتون باللحم والذرة والحليب وهم ملثمون ألبستهم قطنية، وإن أوصاف تادمكة تنطبق على الخرائب الموجودة حاليا، وفي القرن الرابع يضرب ابن بطوطة في الصحراء شهورا يخترق فيها مناطق جرداء لا ماء، ويصف لنا مناجم الملح والنحاس ثم يصف لنا أخيرا منطقة الهجارة ورؤيته لقبيلة عجيبة رجالها ملثمون ونساؤها سافرات³.

¹-عبدالقادر جامي، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة محمد الأسطي، دار المصراطي، طرابلس - ليبيا، 1974، ص173.

²وفي هذا الصدد يشير الكاتب Boubou Hama نقلا عن مخطوط محمد أشاج، إلى أنه "عاشت قبائل لمتونة التي كانت بالشمال منذ ثلاث أجيال قبل المسيح وما زالوا يتوغلون فيها حتى وصلوا إلى الجنوب الغربي يسكنها قوم من الزنوج يسمون باغوريمي من أصل أزيينة تقيم بالتكرور منذ ستة آلاف سنة قبل المسيح، فلم يكن لهم أي نظام وكانو يعيشون مثل الزنوج، وتوغل البربر والبربر العرب، واحتلوها وتحولوا إلى عرب توارق، وهي أقلية إنتهى بها المطاف فقدت لغتها على حساب لغة البيلا، وقد شكل هؤلاء العرب التوارق مع جماعات البيلا مجموعة ثقافية كاملة نسيت لغتها بواسطة ما أخذته عن البربر، وإن المجموعة الإنسانية التي شكلها العرب التوارق وجماعات البيلا قد نجم عنها التوارق بلغتهم المعروفة بلغة تماشق، وهي لغة من أصل زنجي قديم وقد أخذها الطوارق الحاليين.

³- محمود (مصطفى)، مغامرة في الصحراء، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، مصر، 1977، ص47.

لكن من المؤكد أن الطوارق المتمركزين بالقسم الأوسط من الصحراء هم على الأرجح الطوارق الحقيقيون وهم يشكلون أقلية فقط عرفت بأسم الأيموهاق ولاشك أن هذه الكلمة الأيموهاق وهو لقب أدق تعيننا مستمد من المنزل الحربية أولدرجة النبل والشرف أي "الرجال الأحرار أو الغزاة" وهي أصل تسميتهم بالأيموهاق¹.

ومما أمكن لطوارق الهقار أن يعيشوا في منطقة الصحراء وظروفها القاسية أنه كان لهؤلاء البدو بفضل الجمل أن استطاعوا تشكيل جماعات بدوية مكنتهم من جلب العبيد من بلاد السودان وإمتلكوا صفات مكنتهم أن يكونوا على مقدرة من المعيشة في الصحراء فلم يسمحوا لأنفسهم بالرفاهية حتى يتمكنوا من مجابهة تحت أي ظرف²، ومن جهة أخرى لقد تمكن هؤلاء الطوارق أن يحافظوا على الكثير من عاداتهم القديمة البربرية، رغم أن منطقة الصحراء كانت مفتوحة على الشمال، وعرفت عدة ثقافات ولم تتأثر قبائل طوارق الأهقار وأبقوا على عاداتهم خالدة دون أن تتأثر .

3-1- طوارق الهقار : (التسمية، الأصول والهوية):

يختلف المؤرخون في تسمية الطوارق بهذا الاسم علي عدة أسباب فمنها من ينسب التسمية لتخليهم عن الدين وتركه، ومنهم من يرى أنه نسبة ومنهم من يرى نسبة التسمية إلى أسماء مناطق مثل مدينة تاركا، وهو اسم وادي بفران بليبيا وتعني تارقا الأرض المسقية*، ومنهم من يرى بأن اسم الطوارق تعني الجن وذلك لسرعتهم وسطوهم ، غير أن اسم

¹ _Richard smith , « what happened to the anceint lybyans ?chasing source across the sahara from hirodotus to ibn khaldun , » ,journal of world history 14,no.04(decembre 200, p11.

² _جى في دي، تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1983، ص 32.

*وتارقا حددها الجغرافيين العرب مكانها وتارقا تبتدئ عند تخوم الاير غربا وتمتد إلى قفر إيكيدي شرقا وتتاخم شمالا مغازات توات ومزاب وجنوبا المغازات القريبة من مملكة أقدر، وليست جافة ومساحة هذه الصحراء من مزاب إلى تخوم الأير شاسعة ، وهذا المجال لا يمكن إلا أن يكون سوى أراضي مرور توارك الهقار، ويبدو أن الوزن أخطأ في وضع تاركة بكونها لمطة، على أن صحراء لمطة هي مجال كيل أهقار للمزيد أنظر الحسن الوزان

الطوارق عند أهلهم لا يتسمون به ولا ينتسبون إليه بل يطلقون على أنفسهم إسم كيل تماهق وكيل تماشق في النيجر، وإذا حللنا هذه الكلمة فإننا نجد أنها تتكون من جزئين :

كيل: أي أهل تماهق أو تماشق: اللغة الطارقية¹.

أما تسمية الهقار فيعد الرحالة ابن بطوطة هو أول من أشار إليها " ووصلنا لبلاد الهكار، وهم طائفة من البربر ملثمون² وقبيلة هكارة هي من أعطت إسمها لجبل الهقار فأصل الكلمة أنها قلبت العجمة واوه كافا أعجمية تخرج بين الكاف العربية والقاف أي أن هناك صلة وعلاقة بين الأسم الأثني للهواره والأسم الجغرافي الهقار³.

3-2-الأصول وهوية الطوارق:

إن المؤلفات الفرنسية التي تبحث في أصل الطوارق عديدة، وقد حاول كل مؤلف أن يربط تاريخ الطوارق بجذور قديمة فمن قائل أن أصلهم من أحفاد الهكسوس طردوا من مصر ومن قائل أنهم من الفينقيين ومن البلقان عبروا البحر المتوسط وتفرقوا في الصحراء، لكن الغالب أن استقرارهم بالمنطقة يعود إلى عهود سحيقة من التاريخ، وليسوا مجموعات منحدرة من الأقوام الذين عمروا المنطقة كالفينقيين مثلا ، فالرسومات المنحوتة على الصخر شاهدة على تعمير المنطقة منذ عصور غابرة⁴، وهم من البربر فالأدلة الأثرية تبرز أن البربر بالصحراء كانوا يستعملون أسلحة وسكاكين، وذلك مما يسمح بربطهم بالبربر الشماليين وليس

¹-القشاش، صحراء العرب الكبرى، دار الملتقى للنشر والتوزيع ودار الرواد ، طرابلس-ليبيا، 1994، ص34.

² _ ابن بطوطة، الرحلة تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الخيرية لصاحبها عمر حسين الخشاب ، بيروت، 1322 هجري، ص 222.

³ _ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في ذكر العرب والعجم والبربر فيمن عاصروهم من ذوى السلطان الأكبر، المجلد السادس ، دار الفكر العربي، بيروت ، 1981، ص 185.

⁴ _ قسم علماء ما قبل التاريخ الرسومات إلى مراحل من فترة البقريات والخيليات وفترة الجمال ، وإعتبرت الطاسيلي مهد هذه الرسومات .

إلى الأثيوبيين، الذين عرفوا بإستعمال الرمح¹، ولدى أغلب الكتاب والباحثين إتفقوا أن أصل الطوارق يعود إلى أصل بعيد ومنهم هنري لوت الذي قام بعدة دراسات ميدانية وبحوث إستكشافية تخص الطوارق وما يحيط بهم من أراضي ومرتفعات ومياه وأدوية وحيوانات حيث طرح مجموعة من فرضيات على أن أصلهم لبيي مصري من خلال تلك الرسومات والنقوش التي عليها بالهقار والطاسيلي أنها شبيهة بالتي وجدت بمصر وليبيا.

ورغم كل هذه الروايات إلا أننا لا نظن أن الطوارق من شعوب الغرامنت أو من القوقاز، وإنه حتى وأن وجدت رسومات تدل على حضارتهم مثل إستعمال الرمح والعربات الحربية، وهذا لأن قبائل الطوارق النازحة من الشمال لاشك أنها إحتكت بمختلف الحضارات التي تعاقبت على شمال إفريقيا².

ويؤكد الباحث "محمد سعيد القشاط" عن أصل الطوارق "بإستقراء الروايات الشعبية الطارقية والمواقع وأسماء القبائل والملاح البشرية والعادات المحلية لمختلف القبائل الطارقية القاطنة جنوب الصحراء الكبرى (النيجر-مالي -بوركينا فاسو) تجعلنا نرجح أن لهذه القبائل علامات تاريخية أوثق بمناطق من الشمال الأفريقي وهي ليبيا والمغرب الأقصى وموريتانيا³.

ويمكن أن نشير أنه لا يمكن أن نحصل من الطوارق على أصولهم لأنهم ليس لديهم تاريخ مكتوب، وإن تاريخهم البعيد الممتد للعصر الحجري لا يهمهم إنما التاريخ القريب تقصه الجدات على الأحفاد⁴، لذا فإن حضارة الطوارق في إفريقيا الشمالية مرتبط بمشكلة الأصول

¹ _ غابريال كامب، في أصول بلاد البربر ماسينسا أوبدايات التاريخ ، تعريب وتحقيق العربي العقون ، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2009، ص 137.

² - إبراهيم بنقة ، "لمحات من تاريخ قبائل التوارق" ، مجلة دراسات إفريقية ، جامعة الجزائر 02، العدد الثالث، الجزائر ، ص 126.

³ _ محمد سعيد القشاط ، نفس المرجع السابق، ص 30.

⁴ _ سالم زبال(سالم)، "الطوارق حيث الرجال ملثمون والنساء سافرات" ، مجلة العربي، العدد 98 يناير ، الكويت ، 1967، ص 87.

والجذور لذا وجب توسيع أفاق إدراكنا في التاريخ والروايات الشفوية واللغة والرموز والطوبونيميا¹.

3-3- الطوارق سكان شمال أفريقيا القدماء :

بالرغم من نسب المؤرخين إلى عدة شعوب وعدة أعراق مختلفة إلا المؤكد أن الطوارق هم من الشعوب الأولى لشمال إفريقيا الليبيين الذين ذكرهم هيرودوت ووصف مساكنهم ومعيشتهم، وقد ظل الطوارق الليبيون يعيشون حياة مستقلة في أغلب فترات حياتهم لم يستطع الغزاة من الفرس والروم ولا الهكسوس والوندال أن يقتحموا هذه العزلة لهذا إستطاع الطوارق أن يبقوا لأنفسهم على عاداتهم وطباعهم، ومن تلك العادات التعبد في القبور وهي عادات تعملها قبائل النسامونيين الذين كانت لهم أيام مقدسة يترددون فيها على قبور أجدادهم لأخذ مشورتهم في أمور الحياة الدنيا أو لسؤالهم عن المستقبل، وهي عادة ما زالت متبعة عند نساء الطوارق حيث يبتن إلى جوار المقابر ليحلمن بأخبار المفقودين والغائبين²، ولا يزال الطوارق يتكلم لغة مشتركة تعرف بإسم تماهك و"تماشق"، وهي لهجة بربرية إنحدرت من لغات البربر التي سادت شمال إفريقيا كله في القرن الخامس قبل الميلاد، ويستخدم الطوارق في كتابتهم حروفا خاصة تسمى تيفيناغ وهي عبارة عن رموز بأحجام هندسية بسيطة من مجموعة نقاط خطوط ودوائر التي وجدت بها منقوشة على الصخور التاسيلي والهقار³.

3-4- الطوارق في العصور الإسلامية:

إستطاعت الصحراء أن تذيب العرب والطوارق والبربر وتلحمهم في سبيكة واحدة فكانت قبائل الهوارة والزناطة ولوالة ينتشرون بين طرابلس والدواخل الصحراوية تحت التأثير البيزنطي

¹ _Richard smith, Op. Cit ,p 04.

² - محمود (مصطفى)، نفس المرجع السابق، ص 47.

³ _ريمون فيرون، الصحراء الكبرى ، ترجمة جمال الدين الديناصوري ، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ، مصر ، 1963 ، ص 95.

وكان الفتح العربي الذي عرفته شمال إفريقيا له دور حيث أجبر أعداد كبيرة من القبائل القديمة مثل الهوارة (أوريبا) للانضمام إلى إتحادات الطوارق وتبني طريقة حياة الطوارق مع الاحتفاظ بالهوية واللهجة القبلية، وتصنف على أنها "نبيلة" أو "خاضعة" حسب الظروف في أجزاء مختلفة من الصحراء¹، ويبدو أن وصول هوارا الهقار إلى الأقليم كان مرتبطاً بالهزيمة التي أنزلها بهوارة الأوراس الأمير الفاطمي المعز عام 342هـ، وبتشتت هؤلاء الثوار الذين فر بعضهم إلى بلاد السود صوب إقليم الهقار الحالي² وقد كانت القبائل النبيلة هم جمالة وتجار وعمرو والمنطقة الأهقار وما جاورها ويشير ابن خلدون أن ديانتهم كانت الديانة اليهودية فإبن خلدون يعتقد أنها تسلمت إلى الصحراء، وإن اليهود إنتشروا في قبائل الهوارة بالذات، ولكن دخل الأسلام إلى الطوارق مع عقبة بن نافع وإنتشر بين كل القبائل التارقية، لكنه بالنسبة لطوارق الجبل والدواخل الرجل كان إسلاما سطحيا فمعظم العادات الوثنية ظلت على حالها لاسيما بين الطوارق الأوائل الذين ما زالوا يعيشون حياة الفطرة بين مضارب قبائل الهجارة في الجزائر والسودان والنيجر حيث تنتشر الكثير من تلك العادات البدائية التي ما زالت على حالها ولم يهذبها الإسلام³.

3-5- مجال الهقار:

نجد شارل فوكو في قاموسه يُعرّف هذه الكلمة "الهقار" بالمعاني التالية:

1- سلسلة جبال وسط بلاد كيل أهقار .

2- البلد بأكمله كيل أهاغار (الأراضي الخاضعة لسيطرة كيل أهقار، بين تيديكيكيت وأهنييت وأدرار وأجر) .

¹ -palmer ,the tuareg of sahara , Journal of the Royal African Society, Vol. 31, No. 123 (Apr,1932), p161.

³ - تايدور ليفيتسكي، نفس المرجع السابق، 340.

³ -مصطفى محمود ، نفس المرجع السابق ، ص50.

3- تستخدم في بعض الأحيان بمعنى كيل الهقار فأهالي الهقار وهذا الأسم ينطبق على جميع أفراد الأمة، أياً كانت القبيلة التي ينتمون إليها دون تمييز بين النبلاء أو العوام¹.

3-6- التركيبة السكانية للطوارق :

البربر أو الأمازيغ يمثلون أغلب سكنة الصحاري، والعنصر البربري مكون أصيل بالطوارق من صنهاجة وزناتة ومثلوا السواد الأعظم وانتشروا في جباله الهقار والطاسيلي وبواديه على الخصوص؛ ومن يسكن الصحراء الكبرى لا يكون إلا بدويا ومنذ ذلك انك تبصر الطوارق الذين هم بربر خلص من النوميديين عريقين في البداوة فيقوم معاشهم على السلب والنهب²، ثم يأتي العنصر العربي من الشرفاء الذين نزلوا للنيجر حيث تمكن الطوارق المعتصمين بجبال الأيروالهجار أن يمتصوا بعض القبائل العربية³، وهكذا بقيت وفود من نسل عقبة رضي الله عنه بالمنطقة، وهناك هجرات متتالية من الأدارسة، ومن أشهر القبائل الطارقية المختلطة مع الشرفاء هي قبيلة "تاغت ملت وقبيلة إمقشرن وقبيلة إدنان وقبيلة إيقلاذ" وحدث تزواج الشرفاء مع نساء طارقيات، ومن ثم حمل أبنائهم إسم إيمان، ولقد تزوج الشيخ محمد المختار آيته عند قدومه إلى المنطقة في بدايات القرن الثاني عشر الميلادي، من قبيلة تاغت ملت فكان نسله وحفدته بين ظهرانيتهم حتى اليوم ونظر الآن الأبن يتبع أمه أصبح أولاد محمد المختار _____ ار ت _____ وارق⁴

تطلق كلمة - إرقناتن- وهي تعني في لغة القوم المهجن أو المتكون من عنصرين مختلفين⁵.

¹ _ De foucauld (Le père) , Dictionnaire abrégé Touareg-Français (dialecte Ahaggar), tome 2, J. Carbonel. Alger, p533.

² -غوستاف لوبون ، حضارة العرب، ترجمة زعيتر عادل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر ، 2013، ص263.

³ _ بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب العربي ، ترجمة الهادي أبولقمة والدكتور محمد عزيز، الطبعة الثانية، جامعة قاريونس، بنغازي ، ليبيا ، 1988، ص102.

⁴ _ محمد سعيد القشاط ، نفس المرجع السابق ، ص 28.

⁵ _ bernus , touareg nigerienne unite cultural et diversiteregionale d'un peuple pasteur, orstome ,paris,1981,p75.

والخلاصة التي يخرج بها قارئ التاريخ هي أن شعب الطوارق لا ينتمي لأصل واحد فلقد توالفت على النواة الأصلية لشعب الطوارق عدة هجرات¹، وتعد المجموعة الأمازيغية القديمة هي الأولى، وقد مكنها الوسط الجغرافي الصحراوي والنمط الرعوي لتغير خصائصهم الطبيعية وأساليب معيشتهم لأنهم يعيشون في بيئة مختلفة عن البربر وهي أكثر توغلا في إفريقيا جنوب الصحراء، ويختلطون بالسود حتى أصبح تمييزهم عن السنغالي والهوسا بصعوبة وذلك لسنحتهم السوداء، وبحكم مجاورتهم للعرب في الشمال عبر الواحات وللأفارقة الزنوج في الجنوب (جلب العبيد) صاروا شعبا مهجنا يجمع في دمائه أعراقا طارقية مختلطة مع عربية وإفريقية².

3-7 موطن طوارق الهقار وعاصمتهم: ويتكون موطن طوارق الهقار من الواحات والوديان التي تشق جبال تاسيلي من غات وجانت، والهقار، وتعد هي معقل الطوارق التي لم تطأ دواخلها أي أوربي بعد ومناطق متاخمة لها تتشكل في غالبيتها من الرمال ويطلق على هذا السطح الشمالي الشرقي للأزجر إسم عام هو التاسيلي ومعناه بالطارقة "بلاد الجبال أو الهضبة"، ويقوم عند أقدامها سهل أو حوض مغلق من الشرق بسلسلة جبال الأكاكوس التي تمتد باتجاه جنوبي شمالي ويتخذ هذا السهل شكل بوق أو مسمار يستدق عرضه كلما إتجه جنوبا ويتوسع شمالا بحيث ينتهي إلى كئبان رملية تقع جنوبي الحمادة الحمراء وتعرف في جميع الخرائط بإسم الأدهان وهذا يعني البلاد التي تؤدي إلى الطوارق³، ويعيش معظم طوارق الجزء الشمالي حياة تجوال ولا تجد في هاجارا أكثر من خمسة وعشرين أو ثلاثين منزلا حجريا ويختلف الحال في وقت السوق إذ تجد مئات من الخيام الجلدية منتشرة بالقرب من

¹ _ سالم زبال، نفس المرجع السابق، ص 87.

² _boubou hama, recherche sur l’histor des touareg saharienne et soudanais, presence africaine ,paris ,1967, t ,p153.

³ - أدولف غوتلوب كراوزاه، الدواخل الليبية في مجموعة دراسات الرحالة غوتلوب، ترجمة عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبي، سلسلة نصوص ووثائق -28-، ليبيا ، 1998، ص 73.

هاجارا (الهقار)¹ إن عاصمة الهقار يطلق عليها تمنغست وهي مدينة تقع في وسط صحراء الجزائر فلقد كانت مدينة تمنراست قرية صغيرة، وهي تقع في وسط الصحراء شمال الجزائر، وبنيت 1878 وإن غالبية سكان تمنغست والقرى المحيطة بها هم من الحراطين يعملون في الزراعة، ليس فيهم من الطوارق إلا عشرات، وبالرغم من لأميرهم منزلا بتمنغست إلا أنه يفضل السكن في خيمة من الجلد²، والطارقي كلما يقدم للمدن ينصب خيمة خارجها لكي لا يرتكب مذلة البلديين³.

4- الحياة الاقتصادية عند كيل الهقار:

تعد هاته الصحراء صعبة فهي لا تنبت زراعا، وشحيحة الموارد لكن إستطاع الطوارق التأقلم فمن ناحية العنصر الثقافي أن يكونوا على مقدرة من المعيشة بالصحراء بلا رفاهية حتى يتمكنوا من مجابهة المعيشة تحت أي ظرف، وتميز هؤلاء الشماليون بصفات مكنتهم من إختراق الصحراء وهزيمة الزنوج وبالطبع كانت هذه الصفات صفات عسكرية لأنهم كانوا يملكون الجمال خاصة المهاري التي تساعدهم في عبور الصحراء ومراقبة الطرق التجارية والسيطرة عليها وإعتبروا محاربي الصحراء⁴.

وفي هذا الصدد يشير عبدالقادر جامي عن صبر الطوارق: هؤلاء هم ذئاب الصحراء المتصفون بالصبر والتجلد يشربون دم الأبل التي يركبونها أثناء السفر الطويل والغزوات ومنهم من يقطع جزء من شحم ذروة الجمل يقتات منه ليتمكن من مواصلة السير والبقاء على قيد الحياة والحاصل أنهم منقادون لعقامة المحيط الذين يعيشون فيه ومنقادون له من

¹-هورنمان (فريدريك)، يوميات الرحالة فريدريك، (الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصم فزان 1797)، تعريب محمد مصطفى جودة ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس -ليبيا ، 1968.

² _ سالم زبال، نفس المرجع السابق ، ص72.

³-عبد القادر جامي ، نفس المرجع السابق، ص 176.

⁴- جي في دي، تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة يوسف نصر، دار المعارف ،القاهرة ،مصر، 1983، ص32

كل الوجوه وفه جميع الأعوال¹.
ومن الجهة الأخرى عانت بعض الفئات من الفقر وكانت تسد حاجاتها بالاستجداء نظرا لطبيعة المنطقة وشح الموارد فيها يقوم الطوارق بالاستجداء وطلب الوجبات وأشياء صغيرة وهم يتبعون المسافرين أياما طويلة لا لشيء حتى يحظوا في اليوم الواحد بواجبة يعملون ضرورة حصول الغريب على الأمان².

4-1-الرعي:

يشتغل الطوارق بتربية الحيوانات وخاصة الأبل والماعز وأنواع من الضأن تخص المنطقة تدعي تيهري، ليست لها أصواف، ولها ذيل طويل وأجسامها مغطاة بشعر قصير كشعر البقر، كما يُربي توارق الجنوب المتواجدون في منطقة السافانا البقر حيث هناك توجد المياه، ويوكل للعبيد والموالي مهمة رعي هذه المواشي، وتفقدوها وسقيها والسهل عليها، وينتقل الطوارق نحو المناطق الخصبة تبعا لرعي مواشيهم، وإعتبرت مراعيهم الحقيقية هي الهجار والتاسيلي وأير وأدرار ايفوغاس وأبلسة وتمنراست التي يعمرها تجار عرب والزراع، والبدو يعيشون في نجوع أو قرى منعزلة صغيرة ويرسلون إبلهم إلى تامسنا³ وبعض قبائل الطوارق غنية نسبيا، ففي قبيلة كيل أهجار عشرة آلاف رأس إبل وداغ غالي حوالي ألف رأس وتايثوق يمتلكون ثلاث مئة رأس، وكل قبيلة لها مضارب خيامها، ولها مجالاتها الخاصة التي تتحرك فيها هي تعود من موسم لآخر لنفس الأماكن التي بدأت منها، وكل قبيلة تخزن ما عندها من فائض التمر والحبوب والمواد الغذائية في مخابئ وكهوف بالجبل، وهم يهاجرون ثم يعودون إليها فيجدونها على حالها⁴، ويتضح أهمية الحيوانات في الجانب الاقتصادي للتوارق أنهم

¹ -عبدالقادر جامي ، نفس المرجع السابق، ص174.

² - أدولف غوتلوب كروازه، نفس المرجع السابق، ص156.

³ -ريمون فيرون ، الصحراء الكبرى ، ترجمة جمال الدين الديناصورى ، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ، مصر ، 1963 ،

ص 98.

⁴ - مصطفى محمود، نفس المرجع السابق ، ص 58.

يصنعون من حليبها الزبدة والسمن وحتى الجبن، ويتم تصديره إلى المناطق المجاورة من الطوارق الذين لا يحسنون إستخلاص الزبدة من الحليب، ويبيع اللحم المقدد ويبيع دهن النعام الذين يسمونه بالزهم، أما عن الزراعة فالطوارق لا يحسنون الزراعة نظرا لمناخهم الجاف غير أنه هناك مناطق خصبة من نهر النيجر تنمو فيها الذرة والدخن وبعض الخضر حيث تستغل كل قبيلة هذه المنتجات لتصديرها والطوارق رُحل لا يزرعون الأرض وأكثر إحتقار للعمل اليدوي وللاستقرار عموما، ويتغذون في سنوات الأمطار ببعض الحبوب البرية التي تنمو في الصحراء، وتسمى بالكماة أو الترفاس، حيث يجمعونها ويشرحونها ويجففونها وتباع في الأسواق، وهناك أكثر من ستة أصناف من الأعشاب الجبلية والجذور مما يأكله التارقي أثناء الطريق¹.

4-2- الحرب والسلب:

إن التوارق لطمعهم وحرصهم على سلب أموال القبائل المجاورة سواء أكانت من جنسهم أو من التيبو أو من العربان فهم في حالة حرب دائمة تقريبا مع شعوب الصحاري فالغزو هو أيتهم، فرغم ما يتكبدون في ذلك من مشاق وتضحية وتعريض أموالهم للنهب والسلب من طرف خصمائهم وما يواجهون من جراء ذلك من حالة القلق وعدم الطمأنينة لا ينتهون من الغزو، ولا يعدلون عنه لأن الغزو عمل مستحسن عندهم يشكل ركنا رئيسا في حياتهم الاجتماعية فهم منذ نعومة أظفارهم يستمعون إلى حكاية الغزو والأنصت لمناقب أبطاله فيشبون ويشيرون على حياة الشقاوة هذه ويعدون بها بطولة ومهارة وإن الأمجاد أصحاب حيوانات أكثر من الأحرار فيتعرضون للأضرار والخسائر أكثر من غيرهم في الغزوات لذلك تراهم ضدها بسبب نفوذ الأحرار يساقون إليها كرها وتبدأ الغزوات لأسباب تافهة إذا سرق جمل ولم يسترجع فيرى ذلك حطا من كرامته فيقوم بالأعتداء على الآخر وتتوسع إلى الأعتداء على قوافل الجمال وكثيرا ما يتوسط التجار المتضررون في إنهاء حالة الحرب ويتم

¹ _ نفس، المرجع السابق ، ص 60.

الصلح الذي يعقد بين القبائل في مجلس الميعاد بقراءة الفاتحة والأدعية والطوارق ليس لديهم قضاة بل شيوخ كبار يحتكمون إليهم¹.

4-3- التجارة:

شكلت القوافل موردا هاما حيث يعد الهقار مجال هام لأمتداده لبلاد السودان لذا يفرض إيرادات وضرائب مرور على القوافل وتسمى بعادة القفول أو الهدية² مقابل حراسة القوافل وأحيانا يعطون الأمان لقافلة لتمر في أراضيهم مقابل ضريبة محددة وأحيانا يقدمون إبلهم ومرشديهم للقوافل مقابل عمولة، وهي تشكل لهم مصادرسخية وليس لديهم عمولة بل يتعاملون بالمقايضة ويعتبرون مقطع القماش وحدة للتعامل ويعتمد الطوارق على تصدير الملح إلى بلاد السودان حيث يستخرجونه من مناجم أمادور وكذلك يصدرون بعض المنتجات كاللبن والجن والماعر والقاعدة عند خروج الطوارق بقوافلهم للمقايضة أنهم يتركون النساء والشيوخ والأطفال في مضاربهم ولا يخرج للأرتحال ونظام القوافل عند الطوارق يختلف عن العرب فالطوارق يركبون دائما في مقدمة قوافلهم لأستكشاف الطريق ويتركون وراءهم مرشدين يوجهون الأبل للأحتفاظ بالصف والسبب هو إرتفاع وهبوط وتعرج الطرق الجبلية، بينما يركب العرب في مؤخرة قوافلهم ويتركون الأبل شبه حرة دون مرشدين لسبب نهم يسكنون في فلات منبسطة لا عوائق فيها وهم لهذا يكتشفون لطريق كله من مكانهم في المؤخرة ويوجهون خط السير دون صعوبة تذكر³.

وقطع الطريق على القوافل للسرقة والسطو هو عادة بعض قبائل الهجارة وقطع الطريق على القبائل السودانية يكون عادة بهدف خطف البنات والأولاد لبيعهم في أسواق النخاسة لذا يجب على المسافرين يمرون ينبغي أن يحصلوا على حماية أحد وجهاء الطوارق إذا ما أردوا

¹-عبدالقادر جامي، نفس المرجع السابق، ص193.

² _ Cohen ,Mots usuels de la langue arabe , adolphe , jordan , Alger, 1897, p244.

³-مصطفى محمود، نفس المرجع السابق، ص 70.

السفر بأمان ومن يسير بدون يتعرض للسرقة¹، والجمل يمكن أن يقطع مسافة 50 كلم في اليوم مع الصبر على الماء².

5-الحياة السياسية:

ينقسم الطوارق إلى سبع أقسام سياسية كبرى، كل منهما يقيم في أمكنة ومناطق خاصة وهي:

-قبائل أجز بالشمال الشرقي.

- وقبائل أهكار بالشمال الغربي

- قبائل آير أو أسين بالجنوب الشرقي من هضبة آير.

- كيل غرس وتنتشر في الجزء الجنوب من أدار وأغلبهم مقيمون .

- وقبائل إولمدن بالجنوب الغربي وبعض بلادها جبلي هو بلاد أدغاغ وبعضها سهل وتتواجد ما بين تومبكتو وتاهوة .

- أفوغاس : ينتشرون في أدرار وكانت قديما تعرف بالسوق وتمزقيدا.

5-1-سلطنة أزجر:

تقع السلطنة الأزجر في سهول ووديان ووحدات جبال التاسيلي وتعني التاسيلي وتمتد من غدامس ومرزق في ليبيا وجانت وإيليزي في الجنوب الشرقي للجزائر، وتتخذ من مدينة غات في جنوب غرب ليبيا مركزها، وتتكون هذه السلطنة من عدة قبائل أهمها:

أوراغن : أبناء السلاطين من آبائهم .

¹- غوتلوب آدوف كروازه ، نفس المرجع السابق، ص156.

²-سالم زبال، نفس المرجع السابق، ص

– أحضارتن

– منغساتن، إفوغاس¹ .

– المطين، إيمان، كيل أواي

وليست لهذه القبائل أراض معينة، بل هي تتداخل فيما بينها مع قبائل عربية أخرى في المنطقة، ويمكن القول أنهم الأشراف استطاعوا أن يؤسسوا لحكم ونظام سياسى وإقتصادي سُموا بالسلطين (إيمان) فتحكموا في تجارة القوافل خاصة ، وإتخذوا من غات عاصمة لهم، ولقبوا بسلطين إيمان وكان هذا التحالف كان يضم كلا من الهقار والأزجر، لكن بعد أن انتصرت أوراغن عن إمنغاستن انفصل الهقار عن الأزجر وإبتداء من هذا التاريخ نجم انقسم أزجر لكونفدرالية أخرى هي الهقار² .

5-2- سلطنة الهقار:

لم يكن يرضى هؤلاء البدو الرحل بالهقار بحكم تحت حكم الأمان، وإنفصلوا عن الأزجر، ويعود هذا الانفصال للبربر الرحل ذلك لطبيعتهم أنهم يرفضون كل ولاء لأي تنظيم وكونفدرالية الأهقار هي تحت قيادة قبيلة كيل غلا، وتشترك هذه السلطنة في حدودها الشرقية مع سلطنة أزجر³، وتتخذ من مدينة تمنغست في الجنوب الشرقي الجزائري مركزا لها، وتنتقل بين جبال الهقار على الحدود مع مالي والنيجر الحالية، وتتكون سلطنة الهقار من عدة قبائل أهمها:

كيل أغلا، تيطوق، تاغت ملت، ومن أهم شخصيات الحاكمة في سلطنة الهقار حيتعل ويعتبر رجلا محترما إلا أنه أضعف من أن يفرض هيئته على الجميع وينازعه في منصبه الشيخ

¹ _Henry duveyrier ,les touareg du nord ,challamel ainé ,paris ,1864,p329.

² _ العيد بشي ،"من مظاهر التلاحم الحضارى فى الصحراء الجزائرية قبيلة أوراغن وعلاقتها بالشعانية"، مجلة دراسات إنسانية، العدد الأول ،جامعة الجزائر ، الجزائر ، 1991 ، ص372.

³ _ محمد سعيد القشاط ، نفس المرجع السابق، ص 48.

تيتوك وإن هذا وإسمه سيدي أق خراجي وهو الأكثر نفوذا بين زعماء الهقار ويعود ذلك لفضل غزواته الناجحة¹.

5-3- سلطنة والليمدان كل أطرام:

تقع هذه السلطنة في جبل أدرار ومعناه "الجبل" وهي تمتد في جنوب الجزائر وشمال النيجر، وجبل أدرار يشكل إمتدا دمن الناحية الأنسانية حيث يعتبر حلقة وصل بين طوارق الجزائر وطوارق مالي²، وتحتل هذه السلطنة منطقة أزواغ الغربي ومنحني نهر النيجر ويحدها من جهة الغرب إقليم ولاتة في بلاد شنقيط (موريتانيا الحالية) ومن الشرق تتداخل مع سلطنة تكريقت، ومن الشمال تحدها تنزروفت تجاه سلطنة الهقار³ ومن الجنوب تحدها بلاد مالنكي التي تقطنها قبائل الزنوج البامبارا، وتشمل هذه السلطنة عددا كبيرا من القبائل تتشكل في إمارات كبرى أهمها:

-إمارة كل أنصار .

-إمارة تنكريقت: في منحني نهر النيجر .

-إمارة كونتة: وهي إمارة عربية حول مدينة غاو .

-إمارة إفوغاس: في أضغاغ وأدرار حول جبال أفوغاس .

5-4- سلطنة والليمدان أهل الشرق: وهي تتوسط بلاد الطوارق وتسمى "تقريقت" ومعناها البلاد الوسطى لأن موقعها وسطا بين السلطنات، إذ يحدها شمالا سلطنة الهقار وجنوبا

¹- أرقين فون باري، الطبيب الألماني أرقين فون باري-1846-1877 ورحلته إلى غات وبلاد الآبير ، ترجمة عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية سلسلة نصوص ووثائق-24، ليبيا، 1995، غات ، ص 123.

²-إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982، ص188.

³ _ Nicolas ,f,tamesna ,les ioullemmeden de l'est ou touareg kel dinnik ,paris ,mdcccl ,p16.

سلطنة كل أقراس، ومن الغرب سلطنة والليمدان كل أطرام، ومن الشرق سلطنة تمزقيدا وأيير ومركز هذه السلطنة مدينة طاوة شمال النيجر الحالي¹.

5-5- سلطنة الأيير: يمتاز إقليم أير بخصوبة أرضه، وأهمية هذا الإقليم إلى موقعه الجغرافي في الصحراء بوصفه ملتقى لشبكة من طرق تمتد بين سكوتو وأقاليم النيجر جنوبا وتوات وغدامس وملاحات بيلما من الشمال والشرق، قوافل التجارية، وأول القبائل التي سكنت إقليم أير الجوبيروية فرع من الهوسا، وإبتنوا فيه مدينة "تين شامن"، ويسكن الأير قبيل آخر من البربر وهم كيل أوي جاء من الشمال الغربي من مملكة الكوش بين وزندر وكوكا إستوطنوا 1740، ويبدو كيل أوي كانوا أقرب إلى الطوارق من حيث لون البشرة نهم إلى الهوسا ولكن تزواجهم بالسود الأمر الذي يحتقرهم لأجله إخوانهم بالشمال ويعتبرونهم إكلان أو زنوجا².

ينقسم سكان أير إلى فئتين رئيسيتين السود والطوارق وهم يختلفون عن طوارق الشمال من عدة أوجه يعتبرون أكثر تقدما من إخوانهم في الشمال على أن طوارق أير أقل تماسكا من حيث التنظيم الاجتماعي (تزوج مع السود) فبينما ظل أمنوكال شيخ الطوارق في الهقار يحتفظ بسلطته القوية عبر القرون فيما إذا كان أمنوكال طوارق أير لا يملك إلا سلطة إسمية وأهم سلاطين أير هو سلطان أغاديس والمراكز الاجتماعية في أير عبارة عن قرى وأكواخ ومخيمات بسيطة، وأغاديس هي المدينة الوحيدة التي بلغت إزدهارا كبيرا وأصبحت قصبة لمملكة مزدهرة³ ومن أهم قبائل الطوارق كيل أوي، إيكزكن، كل تدلي، أفوغاس، إهقارن، كل فروان، إغدالن).

¹ _Edmond Bernus, Op. Cit, p60.

² -إسماعيل العربي، نفس المرجع السابق، ص193.

³ -أسماعيل العربي نفس المرجع السابق، ص194.

5-6-سلطنة تمزقيدا: كانت هذه السلطنة من أقوى السلطنات التارقية إذ أنها تحتل أراضي خصبة تنزل بها الأمطار،وتتحكم في طرق القوافل القادمة من وإلى ليبيا وبلاد الهوسا، كما ترتبط بعلاقات تجارية مع شعوب بحيرة تشاد، ومملكة كانم وقبائل التبو،وقد ذكرها ابن بطوطة عندما ذهب في رحلة إصلاح بينها وبين سلطنة تكريريت بقوله:

"وفى أيام إقامتي بها توجه القاضي أبو ابراهيم، والخطيب محمد والمدرس أبو حفص، والشيخ سعيد بن علي السلطان تكدا، وهو بربري يسمى أزار وكان على مسيرة يوم منها، ووقعت بينه وبين التكريري وهو من سلاطين البربر أيضا منازعة فذهبوا إلى الإصلاح بينهما"¹.

وتحد مملكة تمزقيدا شمالا سلطنة أيير، وتحدها جنوبا مملكة كتسينا الهوساوية، ومن الغرب تحدها سلطنة تكريقرت وسلطنة كل أقرس، ومن الشرق تحدها مملكة برنو وكانو، وأيضا رمال ترقيت وقبائل التبو، وتحتل سلطنة تمزقيدا منطقة أزواغ الشرقي التي تسمى أحيانا الدمرغو، ومركزها تاركا غربي مدينة تانوت الحالية شمال زندر².

وأصل هذه السلطنة بحكم إختلاطهم بقبائل الهوسا صاروا مزدوجي اللغة(لغة الهوسا ولغة الطوارق)، وهناك من يقول أن أصل الهوسا عرب وهي من قبيلة الحوصة العربية وحُرف إسمها في أفريقيا لأن الأفارقة لا يستطيعون نطق الحاء فينطقونها هاءا.

5-7- سلطنة كل أقرس:وهي أقصى سلطنات الطوارق إلى جهة الهوسا، وتتكون من إتحاد مجموعة من القبائل التي تتمتع كل واحدة منها بنوع من الأستقلال الذاتي في شؤونها الخاصة، وفي علاقاتها مع جيرانها ورعاياها من القرويين السود، وغالبا ما تتحالف مع مملكة قوبير في حربها ضد سلطنة تكريقرت.

¹ _ ابن بطوطة، نفس المصدر السابق، ص 388.

² _ محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص 53.

وأهل هذه السلطنة يتطبعون بالكثير من العادات الهوسا وكذلك لغتهم، وأيضا في اللباس وبعض المظاهر الاجتماعية، وتتداخل سلطنة كل أقراس مع مملكة غوبير، وأصبح من العسير تحديد مناطق النفوذ بينهما، وتحتل سلطنة كل أقراس المنطقة المعروفة بأضر الواقعة جنوب أزواغ الأوسط، وهي منطقة جبلية تشعبت منها مجموعة من الوديان الصغيرة، لذلك سميت بإسم أضر الذي يعني عند الطوارق بلاد الوهاد أو الوادي ¹ .

5-1-1- نظام الحكم في السلطنات :

يتكون نظام الحكم في السلطنات التارقية من الهياكل التالية :

- منصب السلطنة أو السلطان ويسمى في اللغة التارقية الأمنوكال .
- منصب شيخ القبيلة ويسمى أمغار .
- منصب الإمام .

5-1-2- السلطان: الأمنوكال

هذا المنصب له أهمية كبيرة عند التوارق، فالسلطان هو الذي يستجيب الرعية له فهو من يصدر الأوامر، فمثلا هو من يحدد الهجرة والترحال، وهو من يسمح أو يرفض الرعي في حدوده، ويدين له الناس بالولاء، وإليه تعود الكلمة فيما إستعصى على القبائل من الشؤون الاجتماعية والأمور المتعلقة بمعاملاتهم (تنظيم أماكن الكلاً والماء وفض المنازعات)، ومن مظاهر الولاء أن الطبقات الأخرى يؤدون للأمنوكال ضرائب سنويا تجمع سواء من الملح أو الحبوب²، ولأهمية هذا المنصب فإنه يتولاه شيخ أقوى قبيلة من القبائل التي تشكل الاتحاد أو السلطنة، ويسمى "أمنوكال" وهو الرئيس الأعلى للبلاد ويساعد السلطان في حكمه مجموعة من الأتابال أي رؤساء القبائل أو بالأصح رؤساء مجموعات القبائل

¹ _ محمد سعيد القشاط ، نفس المرجع السابق، ص56.

² _ عبدالسلام بوشارب ، الهقار أمجاد وأنجاد ، المتحف الوطني للمجاهد ، م.و.إ.ن، إ، الرويبة الجزائر ، 1995 ، ص77.

لأن كل شخص من هؤلاء الرؤوساء تحت إمرته مجموعة من شيوخ القبائل الأمغار، ويتولى الحكم بعد السلطان ابن أخته وهو وريثه في الحكم ، فلا يتولاه إخوته أو أبناءه، ويرى الطوارق في ذلك أن ابن الأخت يجرى في عروقه الدم النقي الواضح لسلالة السلطان أكثر من الأخوة والأبناء الذين قد يشك في نقاء دمهم، وهذه العادة كانت عند العرب في القديم.

ويقول بعض الباحثين: "وقد بقيت هذه العادة حتى عهد قريب في عدد من السلطنات مثل الهقار وكل أقرس، وقد بطل العمل بها في السلطنات الأخرى مثل والليمدان، وتكريريت، وأبير، فأصبح الحكم وراثيا يتولاه أكبر الابناء للسلطان أو أحد أخوته"¹.

وفي الهقار وأطرام وتكريريت يسمى السلطان أمنوكال، أو أمغار ناكال، ومعناه إمام البلد أو شيخ البلد، وفي أبير وتمزقيدا وكل أقرس يسمى السلطان بالطبل لأنه يمسك ويتحكم في الطبل شعارالحكم والسلطنة، ويضرب عليه لإعلان الطوارئ والدعوة إلى الاجتماعات الرسمية، وفي حالة إضطرارية لأي قبيلة لتلتحق بقبيلة أخرى، فإنها لا بد وأن تأخذ ترخيصا خاصا من الأمنوكال لإستغلال المراعي أو الإقامة في أي منطقة لزمن غير محدود وفي حدود كونفدراليته ، لذا فان الأمنوكال يحتاج لمقربه كي يجيبون الضرائب .

ويأخذون الأتاوات، والأمنوكال هو من يقرر بداية ونهاية التنقل في المنطقة وخارجها خاصة الرعي في العيون المالحة².

ويرمز للسلطان بالطبل وهو رمز السيادة، لذلك لا يحق لأحد أن يستأثر بالطبل دون السلطان، ومن خلال هذا الطبل يمكن للأمنوكال إسماع أوامره لمرؤوسيه في مختلف القبائل، إذ أن صوت طبل الأمنوكال قوي ويصل لمسافة وتتبعه أصوات طبول رؤوساء القبائل الأخرى بنفس الأداء إلى أن يصل الأمر إلى إسماع أقاصي القبيلة في المنتجعات التارقية المتناثرة في صحراء السلطنة ،ولما كان للطبل كل هذه الأهمية، فإنهم وضعوا

¹ _ محمد سعيد القشاط، نفس المرجع السابق ، ص58.

² _ bernus ,Op. Cit, p80.

نواميس يتعارفون عليها بحيث يستطيع أبعد شخص في الطوارق عن طريق عدد ضرباته وأوقاتها أن يعرف المقصود من صوت الطبل ويستعد للأمر المطلوب منه¹ ومن أهم المواضيع التي يضرب فيها الطبل:

- الأمانى وهو التجمع العام .
- إختفاء إحدى القوافل .
- تغيير مكان مخيم الأمنوكال .
- إعلان هجوم الغزاة .
- إعلان الحرب، والعودة من عملية حربية .
- القيام بغزو والخروج في عملية ضد الأعداء .
- القيام بتغييرات خاصة.

وظل كل صنف من هذه الأشياء له شيفرة خاصة مقررة من المجلس العام، وتكون معروفة في جميع الأوساط في الكونفدرالية التي تخصها الشيفرة ولنذكر بعض النماذج:

- إعلان الحرب: وهى إثني عشرة ضربة على الطبل تعاد بدون إنقطاع كامل الليل والنهار .
- غزو الأعداء: ست ضربات علي الطبل تعاد على الأقل أربع مرات في اليوم .
- الإعلان عن قدوم غزو خارجي لم يصل بعد: يضرب علي الطبل بدون إنقطاع كامل الليل والنهار حسب زمن ورود الخبر .
- الاستدعاء العاجل للمجلس العام أمانى: ثلاث ضربات علي الطبل في النهار والليل.
- إختفاء أحد القوافل المهمة: ضربتان علي الطبل تعادان عدة مرات بدون إنقطاع.

¹ _ محمد سعيد القشاط نفس المرجع السابق، ص 60.

– الإعلان عن رفع الخطر: ثمانى ضربات علي الطبل فقط لا تعاد.

وهكذا يتفق هذا الشعب الصحراوي الذي تنتشر جموعه في الصحراء على هذه الشيفرة ليسهل عليه إبلاغه الخبر، ويسهل إستنفاره في أي لحظة من لحظات الليل والنهار، وكل هذا التجاوب بين هاته القبائل بأقل التكاليف والوسائل، بمجرد أن يضرب علي هذا الطبل تجد الأمر قد نفذ أو في طور التنفيذ، وهذه القضايا كلها تعني السلطان أو لا تنفذ بدون مشيئته، لأنه هو الموكل إليه الأمر والشخص الذي يضرب الطبل عادة ما يكون أحد العبيد تحت رهن إشارة السلطان ويأتي بعد السلطان في الأهمية شيخ القبيلة¹.

5-1-3 شيخ القبيلة: أمغار

والى جانب السلطان يوجد شيخ على رأس كل قبيلة يتولى الإشراف علي شؤون قبيلته ويمثلها في الأتتماعات العامة، ويحمي مصالحها ويجمع منها حصتها من الأموال المطلوبة لخزانة السلطنة أو لتمويل الحرب، ويقود رجال قبيلته في حالة الحرب أو للأغارة على إحدى الجهات المعادية ويسمي شيخ القبيلة أمغار أو خاكي².

وفي وقت الإحتلال الفرنسي مزق الفرنسيون الكونفدراليات الكبرى في بلاد الطوارق ورفعوا شيوخ القبائل المهمة إلى مستوى الزعماء التقليديين علي رأس مجموعات تابعة للإدارة الفرنسية مباشرة.

5-1-4- الأمام:

بعد إنتشار الاسلام بين بدو الطوارق إستحدثوا هذا المنصب، وفي العادة يتولى هذا المنصب أحد الفقهاء المتضلعين في الدين الإسلامي الحنيف، وتكون مهمته الأولى إرشاد السلطنات وتتويرها في مسائل الدين كما يشرف علي القضاء بمعناه الضيق، أي بالأصلاح بين الناس، وهذا المنصب لم يتمكن من الأستمرار إلا في سلطنة تكريقرت أما في

¹ _ محمد سعيد القشاط، نفس المرجع السابق، ص 62.

² _deuyrier ,Op. Cit, p331.

السلطنات الأخرى فإن الأمام تحول إلى مجرد مستشار أو قاض تابع للسلطنات إلي أن تم إلغاء منصبه نهائيا في أطرام وفي الهقار.

5-1-5- المجلس العام :

يتكون المجلس العام عند الطوارق من جميع شيوخ القبائل الممثلين في السلطنة ويجتمعون بدعوة من الأمنوكال حيث تعرض عليهم الأمور المهمة ويقررون الحرب والسلام والقضايا المهمة في التجارة وإرسال القوافل الكبيرة وإمكانية توفير الحماية لها ويتطرقون لقضايا الغزو وصدده، وأيضا قضايا رحيل المنتج بصفة جماعية طلبا للكلا أو خوفا من العدو أو الألتجاء إلى أرض دفاعية إستعداد للحرب¹، وإلى جانب هذا فهم يعينون الأمنوكال، وكذلك يعزلونه إذا بدا منه الضعف بسبب المرض، أو الشيخوخة وعدم القدرة على قيادة السلطنة، ويعينون بعد نقاش طويل أحد أفراد العائلة الحاكمة، ولهم معايير في إختيار الأمنوكال الجديد منها:

- أن يكون حسن السيرة ولم يقم بأي عمل مشين
- أن يكون قوي البنية والعقل.
- وأن يكون محبوبا من غالبية الشعب.

وإذ لم تتوفر هذه الشروط في أحد أفراد الأسرة الحاكمة (السلطان) فإنهم يختارونه من بين رؤوساء المجموعات شريطة أن يكون من أسرة شريفة، والشرف عند الطوارق يكون نسبه في أعلى السلم الاجتماعي في تنظيم البنية الاجتماعية.

5-1-6- إحتفالات التنصيب :

يعتبر تنصيب الأمنوكال الجديد عند الطوارق كمناسبة من المناسبات المهمة في حياتهم، لهذا يقيمون إحتفالات ذات مراسم معروفة ومتفق عليها، ولو أنها غير مكتوبة ومن

¹ _ محمد سعيد القشاط ، نفس المرجع السابق، ص 290.

هذه المراسم يقوم بترتيب الاحتفال مجموعة من المرابطين، ونادرا ما يلجأ السلطان الجديد الأمنوكال، ولكنه أحيانا يلجأ لذلك، وعندما يعرض أكثر من مرشح لتولي منصب الأمنوكال في هذه الحال يقوم المجلس بوضع كل شخص مرشح لهذا المنصب بعيدا في خيمة أو تحت شجرة، ويطلبون بعد نقاش طويل مع كل شخص يرغب في إختيار شخص من المرشحين أن ينتقل ويجلس بجانبه¹، وهنا يفوز بالسلطنة الأمنوكال أي الشخص الذي يجلس بجانبه أكثر عدد من شيوخ القبائل، وهنا يرضى الجميع بالنتيجة وقد يحدث أن يرفض أحد الخاسرين النتيجة فتقوم لذلك الحرب.

5-8- العلاقات بين السلطنات التارقية:

لم تقم بين هذه السلطنات على مدى التاريخ أية وحدة²، نظرا لأمر منها حب التسلط وحب الزعامة للقبائل بحكم أن لها عصبية قوية تتكل عليها، ونظرا لإتساع الأرض الصحراوية حيث يقطن التوارق، ولبعثرة القبائل في أرجائها الشاسعة، وقلة الموارد والأمطار، وسيطرة الجفاف في كثير من الأحيان على مناطق دون أخرى، ورحيل الطوارق البدو طلبا للكأ وسعيا لمعيشة حيواناتهم ، كما أنه هناك أسباب أخرى إقتصادية لسيطرة بعض القبائل على طرق القوافل المتجهة للشمال أو الجنوب لجلب العبيد، لكل هذه الأسباب مجتمعة أو بعضها كانت المنافسات بين هذه السلطنات التي أدت في بعضها إلى حروب طاحنة سببها النهب والغزو بينها، مثل حرب أنظروان بين سلطنتي الهقار وتكريريت في أواخر القرن التاسع عشر وسببها المباشر غارة لمجموعة من الهقار على أحياء قبيلة كيل فداي ونهبها كما تقوم معارك صغيرة بين الحين والآخر بين السلطنات وأحيانا بين قبائل السلطنة الواحدة كمعارك قبيلة منغساتن وقبيلة أوراغن، وكلتاهما من سلطنة أزفر، وذلك في أوائل القرن

¹ _ محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص 66.

² - تعد قبيلة المرابطين أهم دولة التي أنشأها أحفاد الطوارق ولقد كان لقيامها الأثر البارز في التاريخ وقد قامت برباط قرب نهر السنغال ولهذا سموا بالمرابطين .

العشرين، غير أنه يمكن إرجاع الأسباب الحقيقية لتوترالعلاقات بين هذه السلطنات إلى الغالب إلى النزاع على العيون المالحة في تكدا وعين أنقال، والتي كانت ملتقى سنوي يتجمع عنده أصحاب المكاسب من مربى الحيوانات، وخاصة الأبل التي تردها من كافة الجهات يأتون من أزواغ الغربي وأضغاغ وأزواغ الأوسط وأضر وكل أقرس وفي الهقار بالإضافة إلى قبائل الأيبر الموجودة فى تلك المنطقة، وذلك لفائدة تلك الملاحات للإبل وغيرها من الحيوانات، وتتوسط هذه المنطقة المراعي التي يرتادها الطوارق أثناء فصل الأمطار الموسمية، وقد جرت العادة على تواجد مختلف القبائل التابعة للسلطنات الطارقية في هذه السلطنات التارقية فى هذه المنطقة تكون بمثابة ملتقى سنوي يلتقي فيه زعماء القبائل، وينعقد فيه إجتماع بين بعض السلاطين للتباحث في الأمور التي تهم القبائل، ومن أجل تسوية النزاعات والمسائل التي تحدث بين رعاياها¹.

كما أن إيواء بعض السلطنات لبعض القبائل المنشقة عن السلطنات المجاورة سبب الحروب بينها، كما حدث بين سلطنة تكريقرت وأطرام، وكذلك بين كل أقرس وتكريقرت، وقد تحدث المعارك بين أتباع مجموعات تريد الإصلاح، وأخرى تتمسك بالتقاليد، وهذا مثل حرب حد حدا، والجيلاني وهما مصلحان إجتماعيان أرادا إرجاع الدين إلى مساره الصحيح في منطقة التوارق، أما العلاقات بين الطوارق والعالم الخارجي فهي ضعيفة جدا، إلا في إطار ما يصلهم من الحجاج من أخبار وأنباء عابرة.

6- الحياة الاجتماعية للمجتمع التارقي:

تعتبر الأسرة هي الخلية الصغرى عند مجتمع الطوارق، وفي المجتمعات القبلية بصفة عامة، وتسمى الأسرة عند الطوارق بإيهن، وكذلك عند العرب أيضا يسمون الأسرة بالبيت وهو الخيمة، وتتكون الأسرة من الأب والأم والأولاد وعدد من الخدم حسب مكانة رب الأسرة، وتأتى بعد الأسرة العائلة الكبيرة أو العشيرة، وتسمى عند الطوارق كل إيهن وتتكون من عدد

¹ _محمد سعيد القشاط، نفس المرجع السابق ، ص 67.

من الأسر تربطهم قرابة الدم وعادة ما ينحدرون من جد واحد للعائلة أو العشيرة ومجموعات من العبيد والموالى التابعين لها¹.

والمحلة أو الحي ويكون هذا الأخير مجموعة من العشائر أو العائلات التي تربطهم القرابة، وتكون أشبه بالتجمع عند عرب الصحراء، ويتعاون سكان هذا الحي ، أو المنتجع في حفر الآبار وسقي المواشي وحماية القوافل، كما يؤسس الحي-أغيوان- عند بعض الطوارق مسجدا للصلاة يؤدون فيه الصلوات، ويجتمعون فيه ويكون مصنوعا من الحصير أو الحشائش اليابسة ،وهو أشبه بالكوخ²، وأصل مأوى التوارق ليس الخيم كالبدو من العرب بل الأكواخ والزرائب المنصوبة من الحصير والخيم المصنوعة من الجلد السوداني عند المشايخ وجهاء القوم قليلا ما تشاهد، والتوارق لا يقيمون مجتمعين كقبائل العرب إلا عند ظهور الأخطار، وحينذاك يضطرون في واد يسهل الدفاع، أما في سائر الأيام فيقيمون مشتتين في الصحراء القليلة السكان في قاع كل واد وفي الكهوف وإن هذا الاعتكاف والأنفراد عند جميع الشعوب الصحراوية ليس منشأ الشجاعة ولكن خوفا من غدر الآخرين لذلك يخفون مؤنهم وأثاثهم الثمين في مزود من الجلد ويضعونها في حفر بمهاوي جبال التاسيلي وخصوصا النقود إنها عادة قديمة عند بربر الشمال الأفريقي عموما يدل على ذلك المغارات لحفظ المؤن في رؤوس الجبال وحافة الكهوف التي يتخذونها كمخازن³.

6-1- القبيلة:

تسمى القبيلة عند الطوارق بتوشيت، وهي تتكون من مجموعة من الأحياء التي تنتمي إليها، وتتجمع في منطقة واحدة متقاربة تضمها منطقة من الرعى واحدة ومجموعة من الآبار لسقي حيواناتها، وتجمع القبيلة كافة الطبقات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع الطارقي

¹ _ محمد سعيد القشاط، نفس المرجع السابق، ص 73.

² _ يُسمى المسجد عند الطوارق ومن يقوم على شؤونه بأهل تامسجيدا .

³ -عبد القادر جامي ، نفس المرجع السابق، ص 174.

(النبلاء والفقهاء والعبيد والحدادون) ويجمعها الولاء المشترك لأحد الأحياء في القبيلة الذي يتولى رئاستها عن طوع خاطر، ويجمعها كذلك جد مشترك يجتمع عنده معظم أفراد القبيلة ويرأس هذه القبيلة شيخ يكون من أقوى العشائر فيها ومهمته الدفاع عن القبيلة، وتمثيلها لدى السلطان، كما يقودها في الحرب والسلم ويمثلها في الاجتماعات الرسمية لدى القبائل، وتجتمع مجموعات القبائل في المنطقة تحت لواء سلطنة واحدة¹.

6-2- التقسيم الاجتماعي عند الطوارق:مجتمع الطوارق مجتمع طبقي على رأس جميع القبائل نجد الأمير أمينوكال، وهو الحاكم الأصلي، والأمير هو من يعلن الحرب ويفض الخلافات بين القبائل ويتقاضى الصرائ، يلي أمينوكال في السلم الطبقي شيوخ القبائل ثم الفرسان، ورجال الدين ثم الرعاة ثم الحرفيون، وفي الأسفل نجد العبيد والخدم والجواري، وهونوع من التنظيم الأرستقراطي الإقطاعي وإصطلحوا على تسمية كل قبيلة من القبائل التابعة باسم خاص لها (كيل) وتعنى أهل كذا وبني فلان، وتسمية القبيلة المتبوعة بالأسم الأصل وهو الطوارق وهذا تخصيص الرؤساء بإسم يتميزون به جار في بلاد آير وفي بلاد أهكار، وفي بلاد تادمكة وغيرها من بلاد الطوارق، وقد ذكر بعض المؤلفين أهل هذه البلاد يعنى بلاد تادمكة أنهم ثلاثة أقسام أهل العلم وأهل الحرب وأهل تنمية الأموال فأهل الحروب منهم يقال لهم إموشاغ وأهل العلم يقال لهم كلسوك، وأهل الأموال يقال لهم إمغاد².

6-3- أقسام طوارق الهقار: 6-3-1 فئة المحاربين: تحتل هذه الفئة الدرجة الأولى داخل المجتمع باعتبارها فئة محاربة تحترم من طرف بقية الفئات الأخرى لتمسكها بزمam الأمور وإصدارها الأحكام وهي صاحبة السلطة العليا، وتلقب أيضا بفئة الأحرار والأسياد والأشراف الذين حافظوا على قوتهم وشجاعتهم وحياتهم التي يتمتعون بها في الصحراء فعرفوا بالصبر والثبات وحبهم للعزلة والاستقلالية وتمسكهم بالسيادة والمكانة بين مرتفعات

¹ _ محمد سعيد القشاط، نفس المرجع السابق، ص 74.

² _ الشيخ العتيق، الجوهر الثمين في أخبار المثلثين، مخطوط المركز الأفريقي لأحياء التراث الإسلامي بالجامعة الإسلامية بالنيجر، ساي، النيجر، ص 44.

الهقار، وهذه الطبقة تتكون من أولئك الذين يتمسكون بالعادات والتقاليد التارقية العريقة، والذين يبرزون أنفسهم ويفرضون آرائهم على الآخرين ولا يهتمون بالتعليم، ولهم أعمال فهم من يقومون بقيادة وتنظيم المخيم بين الطوارق الرحل، وهم يتولون عملية البحث وإستكشاف مراعي جديدة والحراس للقبيلة، وحماية الطرق والقوافل التجارية وتوفير الأمن ويشترط في السلطان وشيخ القبيلة أن يكون من هذه الطبقة أي طبقة النبلاء، ومن نبلاء طوارق الهقار نذكر كيل أغلا، تيطوق، إمنغساتن، أوراغن، إلمطين ويطلق نبلاء كل غلا على الطوارق ينتمون إلى تين هينان لقب كل أهل ملن ويعني الخيام البيضاء¹.

6-3-2- طبقة الأمغاد:

وهم الأتباع وقد تكونت هذه الطبقة من الأسر والعشائر التي لم تساعدها الظروف على التمسك بالعادات والتقاليد التارقية، ولم يلزم أصحابها أنفسهم بالمحافظة على الضوابط الاجتماعية الصارمة التي يلتزم بها النبلاء، وذلك إما لكونهم لا يطمعون في تولى السلطنة، ولا يرغبون في فرض أنفسهم علي غيرهم من القبائل، أو لكونهم لا يطمعون في تولى السلطنة علي غيرهم من القبائل، أو لكونهم من قبيلة مقهورة تغلبت عليها قبيلة السلطان فأخضعتها لتبعيتها، أو كانت من قبيلة غريبة وفدت إلى المنطقة، وهي في حالة ضعف يكتفيها أن تحصل على السماح لها بالإستضافة، ورعي مواشيتها في مضارب القبائل المضيفة، مقتتعة بإنضمامها إلى رعايا القبيلة الحاكمة، والإيمغاد هم أحرار وأقل تنقلا من الأيموهاغ، ومع كونهم محاربين عندهم آلات حربية لا يرتقون إلى درجة محاربي الأيموهاغ ويشاركون مع الأيموهاغ في الغزو والحروب، ويميز غاست بين وضعين عند التبع بالأهقار، ولا يكاد يبين للملاحظ الأجنبي، فبعض قبائلهم تعود بأصولها إلى أقوام أخضعت قديما إهقارن، فتتطبق عليهم تسمية الأمراد (التبع)، ومن هؤلاء الداق غالي المقيمون في أتاكور وآيت لواين وكل أهنت، وهناك قبائل مثل إساكامارين لا تعترف رسميا بوضع التبع، وتعلن رفضها أداء

¹ _deuverye , Op. Cit, p331.

الضريبة بالغصب، وتدفع إلى الأمنوكال ما يعادلها تعبيراً عن الولاء، وأساس التقسيم بين الطبقتين: فالفئة الأولى من الأُمراء تمثل المهزومين أو المخضعين، والفئة الثانية تضم المجموعات الحديثة اندماج في عرق الطوارق¹، ومن أهم عشائر إيسوكمرن عشيرة إريجناتن التي تعيش في منطقة تامسنا في جنوب الهقار، وتمتد مجالات رعيها في الاتجاه الشمالي الغربي عبر أدرار إيفوغاس لتصل أحياناً إلى عرق الشيش، وهذه العشيرة الكثيرة العدد نوعاً الاستقلال مركز إجتماعي، وهم الأسوكمران وأصل الكلمة سغمارة والملاحظ أن العشائر التي تنتمي إلى أصل عربي من الطوارق تعيش خارج جبال الهقار في القوس التي يحيط بها في الغرب والجنوب الغربي والجنوب الشرقي حوالي أراضي قبائل طوارق أجرة².

6-3-3- طبقة الفقهاء: إنسلمن

تكونت هذه الطبقة من مجموعات من أفراد الذين تفقهوا في الدين وهم من الأشراف المرابطين، وظهرت هذه الطبقة لدى الطوارق بعد ظهور الإسلام، أي يعودون إلى أوائل المسلمين الفاتحين حيث استقروا بالمغرب الأقصى وإلى أولف وتوات، واستقر بعضهم بالهقار واكتسبوا عادات الطوارق، وأهم أعمالهم نشر تعاليم الدين بين أواسط الطوارق وهي طبقة لها مكانتها عند جميع التوارق، وذلك لما للتوارق وساداتهم من إحترام للدين فكانوا يلحقون بهم، وأفراد هذه القبائل لا يحملون السلاح، ويلجأون دائماً إلى حماية أنفسهم بالنبلاء الذين يوفرون لهم الرعاية والحماية، ويكون الأمام دائماً في سلطنات الطوارق من هذه الطبقة وتسمى هذه الطبقة بإيمزواغن أي المزواغة³، وقد يسميهم النبلاء إنتقاصا من قيمتهم بإبروكورين، أي تعبيراً لهم بلونهم الأبيض المائل للحمرة على غير عادة الطوارق التي تميل

¹- غابريال كامب، نفس المرجع السابق، ص 365.

²- إسماعيل العربي، نفس المرجع السابق، ص 193.

³ _ bernus , Op. Cit , P 74.

ألوانهم إلى السمرة، وهذه الطبقة تحمل لواء اللغة العربية وآدابها، وهي في الغالب تنتمي إلى أصول عربية¹.

6-3-4- الحدادون: (إنيضن، إيكوان، إيكدمان):

يقول الطوارق أن هذه القبيلة ترجع إلى أصول قديمة، ويسمونها الطوارق بإنيضن ومعناها بلغتهم ابن العصر القديم، ومفردها "إيناظ"، ويقول الطوارق أن الكتابات والنقوش القديمة في الصخور والكهوف هي من صنع إنيضن، وهذه الطبقة تحتكر الصناعات بأنواعها وهي التي أذاعت صيت حضارة الطوارق، وذلك بما يصنعونه من لوازم الحياة في الصحراء كالمواد المنزلية من القصاع والأقداح²، وهم في مرتبة وسطى بين الأيمغاد والعبيد، إلا أنه ربما قد تحظى برتبة أقرب من الأيمهاجن، ذلك لأنهم أحياناً يقومون بدور المستشار والوكيل ومراقب العبيد، وأحياناً دور المهرج، وهم على دراية كاملة بكل شئ في القبيلة خاصة فيما يتعلق بالأنساب، وأيضاً يقومون بدور الجواسيس، وهم معروفون بلسانهم اللاذع، وينظمون الشعروالأياناد متعلقون كلياً بأسيادهم، لكنهم ليسوا من العبيد إذ يلعبون دوراً يقربون من الأيمهاجن فهم أمناء السر وكمستشارين في السياسة، وهذا المنصب تأثيره قوى، وهو بالنسبة للطوارق كالنساب (griots) عند المجتمعات السودانية، ولمهارتهم إعتد عليهم الفرنسيون عند إجراء الأحصاء³.

6-3-5- طبقة العبيد والموالي: (إيكلان، إيدرفان إبروكن) هذه الطبقة أغلبها من السود الذين كانوا⁴ يستخدمون لدى القبائل القوية، وقد إمتزجوا بالمجتمع التارقي، وأصبح كل شخص ينتمي إلى قبيلة سيده، وعلى مدى الزمن تحرروا وأصبحوا جزءاً من قبائل الطوارق التي

¹ _ محمد سعيد القشاط، نفس المرجع السابق، ص 78.

² _ نفسه، ص 55.

³ _ hamani djibo, contribution à l'étude de l'histoire des états hausa, l'adair precoloniale, irsh, 1975, p15

⁴ _ محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص 88.

صاروا ينسبون إليها، وقد جاؤوا في البداية كرقيق من إفريقيا عن طريق الشراء أو الخطف أو الأغارة، ولكن الآخرين منهم قدموا أنفسهم كعبيد بطوع أنفسهم لينقذهم أسيادهم الجدد من الجوع في سنوات القحط والمجاعة وليس شرطاً أن العبيد هم دائماً سود البشرة، بل نجد منهم بيض البشرة جاؤوا إلى مجتمع الطوارق كأسرى حرب من قبائل أخرى، وبعضهم من قبائل الطوارق أنفسهم، ويشغل هؤلاء العبيد والموالي بالرعي لأسيادهم وخاصة الإبل.

وهناك فئة أخرى من العبيد مُحَرَّرُونَ مِنْ قَبْلِ آبَائِهِمْ يعرفون بـ (Iklan nEguef)¹ وهم المزارعون يمارسون كل ما يتعلق بالزراعة وأعمال المنازل ، ويقومون بجلب للمياه من الآبار، وجلب الحطب لإشعال نار الموقد، وليس لهؤلاء الناس قبيلة مخصوصة وإنما هم متوزعون في كل القبائل، أما الموالى فهم أبناء العتقاء الذين كانوا في البداية عبيدا وتحروروا منذ عهد الإسلام الأولى، وأصبحوا يزاولون أعمالهم الخاصة ضمن قبائلهم المتواجدين فيها، وتسمى هذه المجموعة في موريتانيا بإسم الحراطين، وقد يتزوج السيد من أمه فينتج ابناً هجيناً يصبح حراً بحكم مولده، وهكذا يتكاثر السود في القبائل الصحراوية من أبناء الإماء وخاصة في سلطنات تمزقيدا، وكل أقرس وأبير والعبيد بعد أن يتحرروا يطلق عليهم إيدفارن والأيوغوالان على أن يتركوا المخيم الذي يعيشون فيه إلى مخيم آخر، ويكمل الهقار بمجموعات المزارعين، وهي الفئات الغير مندمجة في التنظيم الاجتماعي لأهقارن ويشكلون مجتمع موازى جئ بهم من توات .

6-4- نظرة في أصل التقسيم عند الهقار: يتميز مجتمع الصحراء الكبرى عموماً، والطوارق الهقار خصوصاً بوجود فوارق متباينة ومتميزة فينقسم طوارق الهقار إلى طبقتين، فأما الأولى فهي الطبقة الأرستقراطية التي يكونها إيموهاغ، وتتألف من عدة مجموعات تستأثر بالسيادة،

¹ _Bernus, Op. Cit, p75.

نذكر منها كيل غلا الذين يقولون بإنسابهم من جهة الأم الى سلف أمومي هي تين هينان، وهم المتحكمون في الطبول ومنهم يختار على الدوام الأمينوكال¹ .

6-4-1- وأصل هذا التقسيم:

أن رعاة مربى الجمل وهم سكان من البربر إستقروا بالصحراء كما يشير مؤلف "إيكولوجية وثقافة البدو بأن غزوا للبدو إستعملت فيه الجمال، وكان هذا الغزو لقبائل بربرية على مجموعات قديمة كانت تسكن الهقارتعرف بالأسباتن، وأن هولاء الغزاة كانوا يستعملون الجمال، وإن غزوهم لبلاد الهقار أعطى ما يسمى بالتقسيم الطبقي طوارق نبلاء وطوارق حلفاء²، والطبقة الأخرى هي على وجه التحديد طبقة التبغ "الأمراد" الذين يسمون بكيل أولى وتعنى "أصحاب الماعز"، ويتكون الأمراد من قبائل عديدة ذات قاعدة تراتبية بعكس قبائل الأيموهاق، ويكون الأمراد أساسا للتنظيم الاجتماعي والاقتصادي التقليدي لمجتمع الطوارق لأنهم هم الميرة والمورد، وهم الذين يضمنون في الواقع البقاء للنبلاء، ويسمونهم بصيغة الجمع "تامسقيت والتي تعني "القوت"³، ونؤكد أن التراتبية (منظومة الطبل) موجهة لخدمة المجموعة الغالبة، وليس من النظام الأقطاعي بل يقوم على توزيع الاختصاص لكل فئة حسبما تجيده وتتقنه، فالأمنوكال يعتبر كملك راعي للمصالح العامة يأخذ الجزية، ويحصل رسوما من غنائم الغارات والأمنوكال يقوم على التوزيع السخي للقسم الأكبر من هذه المنتجات والعطايا العينية، فيكون بذلك الأمنوكال يشكل الحماية المادية لمجتمع الطوارق⁴.

¹ _ غابريال كامب ، البربر ذاكرة وهوية ، ترجمة : عبدالرحيم حزل ، إفريقيا الشرق، المغرب ، 2014، ص 364.

² _ أكناته ولد النقرة ، ولد النقرة أكناته ، الطوارق من الهوية إلى القضية، المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الاستراتيجية، طوب بريس ، نواكشوط ، موريتانيا ، 2014، ص 45.

³ _ غابريال كامب، نفس المرجع السابق ، ص 364.

⁴ _ نفسه، ص 366.

7- الحياة الفكرية عند الطوارق:

إن الطوارق شعب عريق عاش آلاف السنين إكتسب فيها معارف، وعلوم كثيرة والتي رغم بساطتها في نظر العلماء والرحالة عريقة بجذورها السامية التي حافظت عليها الطبيعة من خلال الكتابات والرسومات كما حافظ عليها الطارقي إستقلاليته وإدخاره لتلك المعارف التي إكتسبها إما بالسماع أو بفضل تجربته.

7-1- الإسلام والتعليم :

إعتقد الطوارق الإسلام منذ الفتح إذ يتبعون المذهب المالكي لكن يبقى تطبيقهم لأركانه سطحيا فهم لا يواظبون على صلواتهم وكانت للطوارق خبرة بالبيئة التي يعيشون فيها ومن خلال ما توصل إليه الطوارق في معرفة البيئة التي ألفوها نبغوا في تحديد الأيام والأوزان والسوائل ذلك في معاملاتهم التجارية وبالتالي وصفوا بميزات حسنة جعلتهم يعيشون حياة راقية ساعدتهم في تسخير إمكانياتها في خدمة الفرد والجماعة يظهر فيهم من هو متعلم يحمل أوراقا ويراقب أسعار السوق من خلال تلك الجداول التي تشير إلى الأسعار¹.

ويشير الشيخ "محمد العتيق" إلى حنكة الطوارق وبأن الكثير من المعارف لم تدون " كثيرة ما يصنع من لجلود وحفر البير وغيرها مما لا يعلم الا بالتعلم من أساتذته ولكن لا نرى من يضبط شيئا من تلك العلوم بقلمهم الخاص ولا من يشغل نفسه بتدوين شئ مهم به"².

ومن تلك المعارف نذكر:

أ- معرفة الطوارق للمرات والطرق والالاتجاهات:

¹-آمال هاشمي، الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الاحتلال الفرنسي، مذكرة

ماجسترا في التاريخ والحضارة ، جامعة وهران، 2007-2008، ص97.

²- الشيخ العتيق ، نفس المرجع السابق، ص200.

الطارقي خبير بالصحراء وأسرارها يسافر ليلاً تحت ضوء القمر ويحدودون الطرقات أثناء الليل بالنجوم يعرفون الظواهر كالخسوف، ومواقيت اليوم وساعاته حيث يستعملون طريقة تتمثل في غرس عود الرمل به يحسبون الزاوية التي يرسمها ظل العمود فوق الأرض وهذه المعارف والمعلومات إكتسبها الطارقي عبر التجربة والمشاهدة .

ب-التأريخ عند الطوارق: يتعرف الطوارق على نسبهم وتاريخ ميلادهم باستعمال طريقة الحوليات إذ يتذكرون كل سنة مضت بحدث تاريخي مهم مثلاً سنة ظهور الجراد التي حدثت 1891 ويؤرخون بأحداث أخرى¹.

ج-الحساب والعد: يجهل الطوارق الأعداد فهم لا يجيدون كتابتها رغم أنهم يتلفظون بالأعداد لكنهم يحسبون باستعمال الحجارة أو يرسم خطوط على الرمل .

د-الوزن السوائل: لكون الطوارق تجاراً فعرفوا بعض الموازين فالكيلوغرام "يسمى بالكلوتان واللتر يدعى "مودا والنصف يدعى "أديس".

و-النباتات والحيوانات والمياه:

للطوارق خبرة بالبيئة التي يعيشون فيها سواء بالنسبة للنباتات البرية فيعرفون فترة نموها ونضجها، وهم لا يتخلون عن فحص الأراضي ولهم معرفة بأمكان وجود الماء من أجل حفر الآبار وإستغلالها في السقي أو في الري، ومن خلال ما توصل إليه الطوارق من معرفة البيئة التي ألفوها نبغوا في تحديد الأيام الفصول والتعرف على الأوزان ووصفوا بميزات حسنة جعلتهم يقومون بتسخير إمكاناتها ويظهر فيهم من هو متعلم يحمل قلماً ويتولى مراقبة الأسعار، لذلك لم ينصفوا من قبل الأوروبيين، وظلوا يوصفون بالهمجية².

¹-آمال هاشمي، نفس المرجع السابق، ص94.

²-نفسه، ص97.

7-2-المعتقدات الشعبية عند الطوارق:

الصحراويون عموما يرجعون كل الأشياء لمسببات ويعتبرون أن هناك قوة خفية تحرك كل شئ وعلى المرء أن يكتشف سرها ليتقي شرها وإلا وجد نفسه ضحية تلك الشرور فعندما يشاهد سقوط نجمة في الليل(شهب) بأن حيوانا أو أنسانا قد مات وعندما يرون حول القمر هالة فإنهم يقولون أن الشيخ أو السلطان غاضب¹.

وكان لأنعزال الطوارق في الصحراء معتقدات ومعارف غيبية لمعرفة ما خلف أفاق واقعهم وما بعد أيامهم في أفق الغيب مثل غارات القبائل الأخرى أو وصول قادم بخير أو قافلة ينتظرونها فكانو يلجأون للريح ويستنبؤنها السحب أو معرفة أخبار الغائبين في غزوات ،أو في قوافل أو بنظام قراءة خطوط الكف ويعرف هذا العلم بعلم القيافة وأهل أزقر هم أعلم الناس بعلم الخط ينسب إلى دانيال النبي الرجل إذا تلفت له ضالة أو عدم شيئا من أموره خط لها في الرمل خطأ فيعلم بذلك موضع ضالته، فيسير حتى يجد متاعه كما أبصره في خطه، وربما سرق الرجل منهم متاع صاحبه ويدفنه في الأرض بعيدا أو قريبا فيخط الرجل الفاقد ويقصد موضع الخبيئة ويخط بإزائها خطأ ثانيا ويقصد بعلمه إلى موضع الخبيئة فيستخرج منها متاعه ويعلم مما خطه الرجل الذي تعد عليه وأخذ متاعه ويجمع أسياخ القبائل فيخطون له خطأ فيعلمون من ذلك البرئ من الفاعل²، كما يستعينون بأرواح الموتى فتعتمد النساء إلى فتاة بكر يلبسها أجمل الثياب ويصطحبها إلى مقابرهم القديمة يدينين، وهي من أثار ما قبل التاريخ وعبرة بعض أكوام الحجارة رصت فوق الميت في شكل هرمي تحيط به دائرة من حجارة تجلس عليها الفتاة وتبيت فيها ليلتها.

¹ -محمد سعيد القشاط، نفس المرجع السابق، ص 146.

² - الشريف الأدريسي ، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذ من من نزهة المشتق في إختراق الأفاق ، مطبعة بريل، ليدن ، 1863، ص36.

7-3- الفأل والتطير :

أ-يمنع على راعي الغنم حمل عصا محروقة بالنار .

ب-الموقع الذي يسفك فيه دم الحيوان أو الإنسان يعتبر مسكنا للجن .

ومن الحيوانات التي يجب أن يراها المسافر التارقي ويتفاءل برؤيتها:أنثى الغزال والخروف ،
أما الحيوانات التي لا يجب أن يراها:

-خنزير البر: يدل على أن السفر سيكون سيئا.

-الضبع: تدل على أن السفر سيكون فيه مهانة وإهدار للكرامة .

-إبن آوى: رؤيته تدل على أن المسافر سيضل الطريق وتحصل له مغالطات كثيرة في رحلته.

-الأرنب:

تدل على أن السفر أو الرحلة يكون فيها خبث ومكر .

هناك ما يمنع نزول المطر عند الطوارق كنهيق الحمار وظهور قوس قزح ، ويستجلب بفرش غطاء ويأتي الأهالي بالمواد الغذائية ثم يتصدق به على الفقراء ¹.

7-5- الجن :

الصحراء مليئة بالجن يؤمنون بالسحر والأرواح والخرافات لذ يضع الطوارق فوق كؤوس الحليب عمودين على شكل + لطرد الأرواح والجن ليلا ومنهم خروج النسوة ليلا الطوارق يخشون دخول المغارات كغار الجنون أو سهل أمدغور أوالأقتراب من بعض المرتفعات كمرتفع أودان معتقدين أن الأرواح تسكنه فإذا ما دخله أحد يصاب بمكروه.

¹-محمد سعيد القشاط، نفس المرجع السابق، ص145.

7-6-آداب الطوارق:

ليس للتوارق أدب مكتوب تنتقله الأجيال، وإنما لهم أدب شفوي ينقله الكبار للصغار بالحديث والسمر ان كان شعرا أو قصصا يستمعه الصغار في مجالس آبائهم أو نراه أمثالا يقال حسب مكانها ووقتها أو شعرا على عادة العرب فيما قبل الإسلام وللتوارق آداب في شتى صورها أمثالا وحكما أملتھا التجارب ومعارك الحياة والصراع معها .

أ-الشعر:إهتم الطوارق بقول الشعر وتعتبر النساء بحكم تعلمهن وإتقانهن للكتابة الحارسات الأمينات على النشاط الفكري والفني في القبيلة وكان الشعر والموسيقى من مواهب النساء،والشعر فيه الشعرالحربي والشعر الغزلي،والشعرله أهمية كبيرة عند الطوارق في ضرب الأمثال وفي وصف معاشهم،والشعر الحربي يُسمى الآهال وهو أهم ما يميز طوارق الأهقار،وينظم هذا الشعر إما لوصف قتال أو غزو أو انهزام أو لهجاء والطبل يضرب في الحروب من قبل النساء يشجعن المتحاربين بضربهن على هذه الآلة ذات الرجع القوي كما يستعمل في ليالي السمر يجتمع الشباب عند فتاة تجيد العزف على الأيمزاد فيتعلقون على كثيب رمل يستمعون في إصغاء تام لصوت الآلة وأصابع الفتاة تحرك بها أوتار القلوب وتغني على أنغامها فتزيد الصحراء وسكونها الصوت رهبة،وعند انطلاق التوارق للحرب يجتمعون ليلة هجومهم على العدو أو خروجهم للغزو جميعا يستمعون للامزاد للصباح حيث ينطلق الجميع من ذلك الموقع ركوبا على جمالهم باتجاه العدو والذي يخشى العدو أو يتأخر يذكرونه بليلة الأمزاد فيتقدم لأن الجميع سيسمعون ليلة ما بعد العودة أخبار المعركة تُغني على الأمزاد وتذكر الشجعان وتشيد بهم وكذلك تذكر الجبناء وتفضحهم¹.

¹ -محمد سعيد القشاط، نفس المرجع السابق،ص177.

والتارقي يعتبر الأمزاد شيئاً مقدساً، وقد نقل لنا الأب دوفوكو يدفع لكل شخص يمنحه بيتاً شعرياً 0.3 فرنك فعمل تدوينه بالتفيناغية ثم ترجمه وهناك قصيدة نظمها موسى أق أمستان حيث إنتصر على قبيلة كيل فداي التابعة لطوارق أوليمدان سنة 1894 حيث قال :

-نساء كل فداي سحقت .

-قتلت سليمان وإستوليت على درعه المصنوع بجلد الغزال.

-وعلى خنجره وسيفه وحصانه الذي هو أجود أحصنة العدو.

-كل ممتلكات منطقة أم غال جلبناها وإستولينا عليها وحملناها نحو الغرب .

ب-النثر: للتوارق أدب نثري قوامه القصص والبطولات والأساطير الشعبية عن العفاريت والجن.

ج-الأمثال الشعبية التارقية:

*أمان إيمان

*أُسْتَنْتِيَا إيلوان أسناس آمان أسيلوان.

المعنى: إذا رأيت قوما مترفين ويعيشون في رفاه من العيش فأعلم أن سبب ذلك توفر الماء.

*أقمشك توقوست أدغيتارزوا

المسحاة لا تنكسر إلا في المزرعة ويقصدون الشخص يجب أن يقضي عمره في مجال تخصصه والمثل ينبع من نظرتهم الاجتماعية لرسوخ الطبقات في مجتمع الطوارق.

*-أيورنرا أقاض إقمض آجير

من لا يحب الغبار فلا يبحث عن أجير حبوب مدفونة في تراب الصحراء يحفر عليها
الأطفال بالعصي ويأكلونها والمثل يضرب لمن يريد المكاسب بلا تعب.

د-الأحاجي والألغاز:

*- النص بلغة الطوارق:آكال إيجان تيكست وتعني: أرض مرقعة.

حل اللغز : بيت النمل.

*-طولمان كراضيت سي هيين تقيم أيت وارتازجنت

ترجمته:له ثلاث نوق اذا نقصت واحدة لا يحصل على اللبن

الحل:حجر الصوان والحديد والخرقة وهي الأشياء الثلاثة التي يحصل بها التارقي على
النار.

7-7-الغناء والموسيقى: الغناء بالأمجاد والبطولات وأما غناء مواسم معينة ولهم ألحان
فالمرأة تغني في الأفراح وهي تضرب على آلة التيندي والرقص يرقص إذا فرح وإذا غضب
فللمريض يرقصون وللتوارق مجموعات من الرقص:

*رقصة السلاح

*رقصة الرمح

*رقصة التام تام: رقصة خاصة بالمريض

7-8-ألعابهم الشعبية:

التوارق ككل المجتمعات الصحراوية يتسلون في أوقات فراغهم.

*الداما

*كرة العصا.

8-الحياة الثقافية والاجتماعية لقبائل طوارق الهقار:

8-1-الألبسة:

كان القماش الأزرق ذا الصبغ الكحلي الذي يعلق بالجسم هو أفضل ما يقتنيه التوارق ومن أغلي ملابسهم ويتخذون منه القمصان الواسعة والعمائم، ويسمي بطاري، ويتكون لباس الطوارق من سروال أزرق وقميص من نفس اللون ذي أكمام واسعة فضفاضة يرفعونها إلى أعلى ويربطونها خلف رقبتهم حتى تتحرر سواعدهم، وهم يلفون رداء أزرق حول رأسهم ولا يظهر منها سوى عيونهم وقاموا بقص شعورهم بعد إعتناقهم الإسلام وتركوا بعضا منها على قمة رأسهم العارية، ويلفون حول وسطهم حزاما قاتم اللون إلى جانب بعض السهام والقوس، ويحملون في أيديهم حرابا جيدة الصنع يبلغ طولها خمسة أقدام ويلبسون حول زنودهم وقرب الأبط شارتهم المميزة وهي حلقة من مادة قرنية أو من الحجر، ويتسلح التجار بالبنادق ويستخدم الآخرون السيف فقط والحراب والسكاكين التي يحملونها دائما على ساعدهم الأيسر وتبدو نصل السكين النحاسية لامعة دائما¹.

وهم يحتفظون بطريقة صنعها سرا، ويمسك بترس مصنوع من جلد جاموس الماء، كما يزين التارقي صدره بمجموعة من الأحجبة والتعاويذ الجلدية والمعدنية وتكون مربوطة في سير من الجلد معلق في رقبته، وتكون مهمتها حفظه من العين والحسد، ولرمزيتها عي إعتقادهم في أنها تحجزه عن الرصاص وللنصر، كما يزين عمامته هي الأخيرة بتعويذة فيها أو إثنين يحرص على أن تظهر في واجهة رأسه عندما يتعمم وقد يزين رقبة جملة لتحميه من العثار وتساعد على الجري زعما منهم وحال ركوبه الجمل فإنه يقفز على فوق جملة،

¹- هورنمان (فريدريك)، يوميات الرحالة فريدريك، (الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصم فزان 1797)، تعريب محمد مصطفى جودة، مكتبة الفرجاني، طرابلس - ليبيا، 1968، ص 122.

حافي القدمين ويعقد رجليه علي رقبة الجمل ليجعل منهما مهمازا لجمله ماسكا بخطام جملة المثبت بحلقة من المعدن في أنف البعير ليسهل قياده، ويكون قد علق علي جوانب الراحلة تيركت، وهي غرائر من الجلد من صنع الحدادين ليضع فيها كل ما يلزمه في رحلته من زاد وماء، وعلى مقدمة الراحلة جهة اليمين تعلق قصعة صغيرة من النحاس تسمى بأمناس، يسقي فيها التارقي جملة ويشرب هو فيها ويتناول طعامه فيها وإذا جاع فصد جملة وإخرج دمه في تلك القصعة ووضع علي النار وطبخه وأكله¹.

8-2- اللثام :

ستار يستر الوجه والرأس والعينين وهو رمز الرجولة لدى الطوارق ويعد كشف اللثام يعد عيبا أمام أكابر القبيلة ومن عاداتهم أظهار العظمة نحو بعضهم وخصوصا في المجالس التي يعبر عنها بالميعاد فترى أيديهم لا تهدأ من تفقد النقاب الذي على وجوههم يتقلدون أوضاعا مليئة بالغرور والكبرياء، ويحبون الكلام بصوت خشن إذا كان الميعاد يجمع رؤساء قبائل مختلفة².

ولباس أطفال التوارق فهم في أغلب الأحيان يتكون بدون لباس³ حتى سن السابعة يلبسون قميصا واسعا ومشقوقا من الجانبين أو هو بالأحرى قطعة قماش مربوطة من الجانبين، ومشقوقة في الوسط حيث يدخل الولد رأسه ، ويخرج يديه من جانبيها الواسعين جد، وبعض القبائل تترك للولد قطعاً من الشعر في المقدمة والوسط والمؤخرة وفي الجانبين علي شكل قرون ويحلق الباقي، وتترك المرأة وجهها عاريا بعد أن تلبس مجموعة من القمصان الواسعة والتي تنجر علي الأرض خلفها عندما تسير مثيرة الغبار وراءها وتربط رأسها بخرقه بعد أن

¹ -محمد سعيد القشاط ، نفس المرجع السابق، ص93.

² -عبد القادر جامي ، نفس المرجع السابق، ص190.

تضفر شعرها بطريقة مربعات جميلة وضمائر صغيرة تتجمع في ضفيرة كبيرة من كل جانب
تلوي للخلف وتوضع في لفافة من القماش.

8-3- الزواج عند الطوارق :

عندما يؤدم الله بين الراغبين في الزواج، من الرجل والمرأة ينبغي أن يكونا من طبقة واحدة
في أغلب الأحيان، يرحل الشاب مع أصدقائه وأقاربه للخطبة، وبعد الموافقة يُعينان المهر
المطلوب .

8-3-1- المهر :

والمهر لدي قبائل النبلاء سبع نياق، أما لدى الموالي والعبيد فيكون إثنين من الماعز،
ويختلف باختلاف المناطق التارقية وإلي جانب المهر فإن أم العريس تشتترط تاغتست وهي
هدية خاصة لها تكون ثورا أو جملا وله طريقة خاصة في تقديمه، ويحضر العريس مع المهر
عدة أمور تسمى تيوسي هي متكونة من كمية من الشاي، كمية من العطور وكمية من
التبغ، ملحفة لأم العروس (تيسغناس) وعدة أحذية متنوعة ،وعند تحديد موعد الزواج يعود الزوج
ومعه مجموعة من أصدقائه، وتبدأ الاحتفالات بوضع آلة الضرب تيندي في ساحة عمومية
واسعة، وفي المساء التي تكون فيه ليلة الدخول بالعروس يجهزون جملا لركوب العروس فيه
وتقوده النسوة بعيدا عن الخيام حيث تتركب العروس وأختها، ونفس الأمر بالنسبة لمنطقة
توات في ركوب العروس علي الجمل، ويسرن إلى خيام العريس، وتستقبلهم أم العريس بقرع
الطبل، وتقوم بمساعدة مواليتها وجيرانها ويقمن بنصب خيمة العروس الجديدة، وتكون خارج
الخيام تكون نسبيا ناحية الشرق، وبينها وبين مخيم أهل آكمة لتسترها عن المخيم ،وعند
وصول العروس تقوم بتوزيع الهدايا¹ التي جلبتها معها حيث تشرف أم العريس ونساء منتجعه

¹ محمد سعيد القشاط ، المرجع السابق ، ص 126.

علي ذلك، وتأخذ أم العريس النصيب الأكبر من هذه الهدايا، ومن الأشياء التي تجلبها العروس لبית زوجها:

*جمل للركوب .

*خيمة واهكيت

*نسيج من السعف لصد الرياح ويسمى بأسبر .

*غرائر من الجلد تضع المرأة فيها لوازمها.

*قدح من الخشب .

*أربع مرايات وحقيبة كبيرة تسمى تيسايات .

*أعمدة للخيام وتسمى عندهم تمانكاين .

*نسيج لتغطية القصاع وتسمى أسوسون ولايها .

*عمود برأسه فروع لوضع القصعة التي بها الحليب .

*قصعة اللبن وتسمى عندهم تزوت.

*الملعقة .

*إثتان من المخدات الجلدية .

وفي الأفراح عند التوارق، حيث يسابق التارقي بجمله فانه لا يضع علي جملة أحمالا زائدة وإنما يضعون الراحلة فقط وهي عبارة عن سرج من الخشب من صنع الحدادين ، ويكون ملبسا بالجلد ومزخرفا.

8-4- الطب الشعبي عند الطوارق :

والطوارق أطباء بالفطرة يطيبون المرضى بالفصد والكي والحقن والعلاج بالأعشاب من الورق المغلي والمجفف والجذور ويستعملونها بفطنة ومرض الأسهال يعالجونه بشجر النبق، ويعملون بعض الجراحات لعلاج الجروح، والمرض عندهم ينقسم لمرض جسدي يعالج بالأدوية ومرض روحي يعالج بالسحر وعلاج من تلبسه الأرواح إلقاء الرعب في قلبه عن طريق رقصة مخيفة بالأقنعة¹.

8-4-1- طب الحيوانات:(البيطرة):

لحاجة الطوارق لحيواناتهم إعتنوا بها أشد العناية، لأنها مصدر عيشهم ولذا تجدهم يعرفون كل خباياها وخاصة مداوة الأبل .

8-4-2- الجروح العميقة :الدبرة:

كثيرا ما تصاب الجمال أثناء حمل الانتقال بجروح عميقة أمام السنام أو خلفه سببها ضغط المتاع علي ذلك المكان وقلة الوقاء الذي يحول بين الأثاث والبعر²تفرش على الحيوان وبسبب ذلك يصاب الأبل بجروح تتعفن ويزيدها الطيور ألما وخاصة الغربان حيث تركز على سنام الجمل المصاب،وتتنقر الجرح مما يزيده إتساعا وعمقا، وتزيد البعير ألما ويعالج الطوارق هذه الجروح بالأشياء التالية:

*يغلى الماء مع روث البقر ثم يوضع فوق الجرح العميق.

*الجروح التي تحصل للجمل في أخفافه والناجمة عن السير لمسافات طويلة فوق الحجارة الصلبة ويوضع عليها الشحم ثم تكوى بالنار .

¹ _مصطفى محمود ،نفس المرجع السابق، ص67.

²محمد سعيد القشاط ، نفس المرجع السابق ، ص 136.

أ-مرض الشايون:

وهو مرض يصيب الأغنام والخيول والحمير، ويقول الطوارق عنه أن المرض سببه كثرة الدم في الحيوان.

9-جهود الأستعمار الفرنسي في التعرف على الطوارق في القرن التاسع عشر:

لقي الهقار اهتماما كبيرا من قبل الفرنسيين لموقعه الجيد الرابط ببلاد السودان لذا حاول الأستعمار التعرف على سكانه الطوارق وعاداتهم وإن أول من قدم الطوارق للأوربيين دوفيرييه ووصفهم فرسان الصحراء النبلاء وإغتر الفرنسيون بذلك ووقعوا ضحايا وذلك لأن التوارق أكثر شعوب الصحراء حرصا على الأستقلال وإنهم لا يقبلون الغير في أي شكل من الأشكال إلا إذا غلبوا على أمرهم أمام قوة القاهرة وتناول موريس بن حازيرة عن أوضاع الثقافة للطوارق والموسيقى والشعر النواحي التاريخية والسياسية والحضارية.

كذلك من بين الرحالة دوفيرييه كتابا عبارة عن دراسة شاملة لمنطقة الطوارق الشمالية وتتضمن الجغرافية الطبيعية وطبقات الأرض والأحوال الجوية والموارد المياه و ملاحظات تتعلق بالحيوانات والنباتات وأحوال المعيشة والطقوس الدينية وأخلاق الطوارق وعاداتهم وتقاليدهم وأصلهم ، وكل ذلك بتفصيل ودقة متناهية، كذلك معلومات التي يقدمها الرحالة دوفيرييه عن الطوارق والتي إستقاها من الكتب أو روايات السكان أوهي تمثل مشاهداته الشخصية ثم يأتي شارل دو فوكول كمبشر وقد أهدى بمعالم الأستكشاف التي وضعها سلفه الذي كان على اتصال دائم به وكان الحديث بينما لا ينصب إلا على الطوارق¹، وشارل دو فوكو، وتعد أعماله جد قيمة نظرا لجهوده الكبيرة في المنطقة بالتعريف بعادات الهقار ولغتهم، وهي جهود لا يستهان بها ولكن أعماله كان لخلفيات أخرى فلقد أستطاع بالتستر بالرهينة

¹-إسماعيل العربي، نفس المرجع السابق، ص113.

كغطاء لأعمال عسكرية وإستخبارتية وتبشيرية، وقام بالتعرف على نظام الطوارق ونظمه وملاحم الطوارق العامة¹.

9-1- لماذا اختار منطقة الهقار ؟ :

كان يتنقل في الصحراء ما عدا الأماكن غير آمنة وقد جاء في مذكراته: "إخترت الإقامة بتمنراست التي وجد بها 22كانو(أي أسرة) وموقعها في قلب جبل الهقار منعزلة عن القرى الأهلة بالسكان يلوح لي أن هذه القرية ستبقى بعيدة عن العمران الأوربي لا تتخذ فيها قسلة عسكرية، ولا محطة للبريد والمواصلات، كما لا تتخذها البعثات مقرا ولهذا الأسباب أخترت المقام المهجور وألقيت فيه عصا التسيار"²، وأنشأ خلوته بجبل الأسكرام على حوالي بعد 80 كلم عن تمنراست أين كان يتركز السكان الأوائل قبل تعمير المدينة.

9-2- أهم أعماله العلمية:

في 1905م قضى وقته في التقرب من الطوارق وتعلم منهم اللهجة التارقية وإستطاع أن ينجز عملا لغويا فيه جميع عادات وتقاليد الطوارق ضمه في معجم من التارقية إلى الفرنسية وإستغرق لكتابته مدة ستة أشهر، ولقد جمع حوله الفقراء والمعوزين عن طريق العلاج المجاني (أفة الرمد) ويؤم الصدقات للمعوزين، ويستفيد مقابل مساعدته الاجتماعية لهم بإيفاده بالمعلومات والرسائل التي كان يخبئها في أحجبة من الجلد وكثيرا ما يقرأ أو يترجم الكتابة التارقية، وكان يشاركه في هذا العمل الرائد "لابرين" الذي يشرح له النصوص التارقية التي حجزها³.

¹ _عبد السلام بوشارب، الهقار أمجاد وأنجاد، المتحف الوطني للمجاهد، م.و.إ.ن، إ، الرويبة -الجزائر، 1995، ص117.

² - محمد هقاري، "دور منطقة الهقار في تجارة القوافل الصحراوية ما بين القرن 17 و 18م"، مجلة أفلق علمية، العدد الحادي عشر، المركز الجامعي لتامنغست، جوان 2016، ص36.

³ _عبد السلام بوشارب، نفس المرجع السابق، ص 115

9-3-آليات تحقيق مشروعه:

إتخذ شارل فوكو أسلوب التستر بالدين لقضاء مأربه لذا فإنه يقول عنه رجال الكنيسة والجيش الفرنسي بأنهم يعرفونه حق المعرفة الشخصية : " نشاط الراهب دي فوكو سواء أكان هذا الأخير عسكرياً أو رجل مخابرات كان يتعبد بطريقة هائجة لم يكن تدينه لا هادئاً ولا عميقاً ولا صلباً ولا نزيهاً لقد تقمص الديانة كما يتقمص الزي العسكري، لهذا فتعاطيه للمخابرات والدسائس والمكائد لم يكن من العبادة والأيمان في شئ" ، ولم يسمح له إلا بعد مجئ أق أمستان¹.

9-4-أساليبه:

الراهب دو فوكو حاول بكيد الدسائس للأسلام وأن يستعين بالسكان وجند الأهالي ومحاولة كسبهم بأعماله الخيرية ونلخصها فيما يلي:

- 1-محاربة اللغة العربية ومحاولة طمسها في الهقار.
- 2-اللجوء إلى شراء العبيد وإعطائهم حريتهم لكي يكونوا أعوانا له .
- 3-تقديم الهدايا للضعفاء لأستمالتهم .
- 4-تقديم الهدايا للمواطنين .
- 5 -مساعدة الفقراء .
- 6 -جلب إهتمام كبار العسكريين الفرنسيين وإغرائهم بخيرات الصحراء .
- 7 - الاتصال برؤساء القبائل والعشائر وتوطيد أواصر صداقة معهم حتى يضمن خروج الزعيم وبالتالي قد تسعى وراءه قبيلته.

¹_نفسه ، ص117.

9-5- لماذا فشل مشروعه:

رغم الكثير من النجاحات التي نجح في التفريق ولكنه إصطدم بشعب راسخ بإنتمائهم الإسلامي وكان قبلها يشكك في إسلام هاته الفئة، ويمكن أن نلخص أهم أسباب فشله:

-تمسك الطوارق بعقيدتهم .

-إعتزاز طوارق الهقار باللغة العربية¹ .

- تعلق الطوارق بحفظ التاريخ ومعرفتهم بالأنساب .

ونجد أن المجتمع الطارقي بحدوث لم يقو على مقاومة التقلبات بفعل أنظمة جديدة وكان هذا التدني الذي وقع للنبلاء غربيا في وقت كان هؤلاء الايموهاق يزلزون الأرض من أقصاها إلى التدني راجع للغزو الفرنسي رغم مقاومته وقتل وأدت السيطرة الأوربية على المغرب وإفريقيا السودان على إضعاف التجارة فالتجارة كانت موردا هاما كضرائب أدى الاستعمار الفرنسي إلى قطع كل الغزوات وصار المزارعون إلى التحرير لذا أصبح الطوارق في ستينات القرن الماضي وليس لهم غير ثلاث مزار للدخل : قطعانهم من الماعز والجمال التي ترعى في الساحل ومحاصيل البساتين ، ومداخيل تجارة الملح زهيدة يقايضونه بالذرة في النيجر ثم صارت المصادر إلى نقص شديد فمنذ الاستقلال وبفضل المبادئ الاشتراكية أصبح العاملون في البساتين ملاكا، وصاروا لا يدفعون إتاوات وفقد ملح أمادور معظم قيمته التجارية بفعل المنافسة التي صار يلقاها من الإنتاج الصناعي بحيث لم للمقايضة من نفع ونقصت القطعان وما عاد وجوده ثروة للإبل².

وفي نهاية هذا الفصل يمكن أن نلخص ما جاء فيه أن طوارق الهقار يسكنون المناطق الجبلية العالية منذ القدم، وكان لموقعهم الجيد المفضي لبلاد السودان أن عمرت بالعنصر

¹ _عبدالسلام بوشارب، نفس المرجع السابق، ص 123.

² -كامب(غابريال)، في أصول بلاد البربر ماسينسا أوبدايات التاريخ ، تعريب وتحقيق العربي العقون ، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2009، ص367.

الأسود والبربري ثم أنضاف اليهم العنصر العربي والشرفاء، وكان العنصر الطارقي الليبي هو الغالب والمسيطر وسموا أنفسهم بالغزاة أو الأيموهاغ غير أن نقص مصادر الهقار لم يثنهم إلى تحدي الطبيعة والصبر واستدرار بعض الأغذية من حليب الأبل وألبانها ، كذلك بالاعتماد على موارد ضريبية لمرور القوافل التجارية، كذلك إعتد رجال الهقار على الإغارة حيث مكنهم الجمال من السطو والانتقال لبلاد النيجر للسطو وجلب العبيد، وفي الجانب السياسي تنتظم داخل جهاز قبلي محكم يكون فيه السادة والتابعين والعبيد والحرفيين كل له دور في القبيلة ،ويحتكمون لأوامر القبيلة عبر الطبل الذي يعتبر شارة ورمزا للملك والحكم، ولهم تقاليد في تنصيب الحاكم كما قامت عدة سلطنات بالهقار والنيجر ومالي، وكان لا يوجد حدود بين هذه السلطنات، وكل سلطنة تستقل بمجالها وحكمها ولها نبلاءها الذين تتحدر أصولهم من عدة قبائل بعكس طوارق الهقار الذين يعتبرون طوارق خلص كما أبرزنا الجوانب الثقافية لطوارق الهقار فبعد أن إعتنق طوارق الهقار الأسلام وظهر منهم الشرفاء المنتسبون للأسلام، لكن بقوا على الكثير من عاداتهم التي في عمومها منافية للأسلام، ومن جهة أخرى كان الطوارق شعبا محتفظا بأدابه وشعره يحتكمون للتجربة والحكمة، ومن جهة أخرى يمكن أن نشير الى رحلة الراهب شارل فوكو وأنها من الرحلات المهمة وأنها رحلة علمية التي توجت بقاموس لطوارق الهقار، لكنها تشتمل على خلفيات مرتبطة بالتبشير وبالمسيحية.

الفصل الثاني تطور الصنائع الجلدية لقبائل طوارق الهقار.

تطور الصنائع الجلدية لقبائل طوارق الهقار

1-الصناعة الجلدية عند الطوارق ومقوماتها:

2-مواد الدباغة

طرق وتقنيات الدباغة:

3-3صبغة الجلود

4-الصناعة

4-1أدوات الصناعة

4-3صناعات الجلود المدبوغة

4-4صناعات الجلود الغير مבוغة

5-الانتاج الصناعي

5-1العمل الجلدي.

تمهيد:

إرتبط الإنسان بالهقار بالبيئة ، فكان يستفيد من الحيوانات في طعامه وإستفاد من جلودها المتنوعة في مسكنه ولباسه وإستفاد منها في إعداد جل أدواته فإستعملوها في الأدوات الحربية كالدروع وأستعملت في تغليف السروج وأيضاً كانت تصنع منها الخيم والحبال والقرب والوسائد والنعال والأربطة.

وتعد الصناعة الجلدية بمنطقة الهقار لها هوية وملامحها الخاصة فهي ضاربة في القدم في العصور القديمة أستعمل الهقاريين هذه الأدوات كمعدات في أدواتهم الحربية كدروع وحمالات مثلت فئة الأيموهاغ المحاربين، وفي العصر الوسيط بعد إدخال الجمل بالهقار كان معاش هؤلاء على الترحال والتجارة لذا كانوا مترجلين يعيشون على التجارة والرعي وإستعملوا الأدوات الجلدية كالرواحل والقرب .

إن الصناعات الجلدية بالهقار تعد ضمن الأنشطة اليومية للإنسان الهقار فقد كان الأهالي بالهقار يحضرون الجلود المتنوعة بالدباغة حيث لكل جلد دبغة معينة ومدروسة من المواد النباتية الدباغية والمواد المعدنية ثم تعالج الجلود بمعدات بسيطة كالحجارة يحولونها الى قرب وعلب الزبدة ولحفظ الأطعمة، وحبال ومعالق ومساند تتصف بميزات منها المتانة والأحكام ، ويصنعون المحافظ والمحافظ التي لم تخلو من جانب فني تحلى به الصانع، فكانت الزينة متنوعة والنقوش أصيلة من زخارف هندسية كانت في الغالب من عمل المرأة.

لقد تطور العمل على الجلد بالهقار عند بعض الأسر بالهقار خاصة نساء الهقار فكانت لهم مهارات في صنع حقائب متنوعة تستعمل داخل الخيم، وحقائب أخرى للسفر تستعمل في الترحال ونقل الامتعة، وكانوا متنوعه الأشكال والرسوم ، بأصبغة تحضر محليا ويضفرون اللجام ومعدات السروج، ولقد إتخذت الصناعات الجلدية شكلا أكثر تطورا حيث أنتقلت من مهنة وحرفة يدوية إلى صناعة لها أصولها وتخصصاتها بعد أن تمكن الأيموهاج وهم الفرسان المحاربين من السيطرة على مجموعة من الحرفيين التي إلتحمت داخل تركيبة

طوارق الهقار مما كان له الدور في نشاط جملة من الصنائع بالهقار، وهاته الفئة لديها معارف تقنية جد عالية لاسيما في تصنيع الأدوات الحربية كالسيوف وأغلفتها والتروس الجلدية ومختلف الحقائق والغرائر والنعال الجلدية والطبول وكذلك كانوا يصنعون السروج ومعدات كالجسم والأزمة ولاشك أن السروج الموجودة لدى الطوارق الهقار إقتسبه البدو من الأقوام التي إستقرت بجانبها حيث ظلت منطقة الهقار محط لسكن مختلف الجاليات، وكانت هذه الأدوات الجلدية تزين برسومات متنوعة سواء بنقشها أو بصباغتها برسومات بخطوط التقيناغ من أشكال (مثلثات وصليب ودوائر ومعينات) والتي إعتبرت في كثير من الأحيان رسومات رمزية ذات صبغة طقسية لحماية المحارب والراكب، وكذلك نساءهم برزوا في بعض المهن كصنع الوسائد والمحافظ والحمائل وضفر الحبال، ومن جهة أخرى كانت منطقة الهقار تبرز كمركز صناعي هام تتزود منه القوافل المارة لبلاد السودان لاسيما وأنها كانت موقع هام للربط ببلاد السودان .

وإن هاته الصنائع الجلدية المتعددة إنعكست على جوانب حضارية للمجتمع الهقاري فهي تبرز تحضر قبائل طوارق الهقار فالطبل الجلدي هو رمز من رموز السلطة والذي كان يصنع من الجلد وينقش عليه رموز بالتقيناغ، ومن جهة أخرى إنعكس إكتساب هذه التحف على طوائف المجتمع في إتخاذ وإكتساب هذه المنتجات من الوسائد والسروج الرفيعة فبرزت الفئات الغنية بالهقار من التجار والتي تميزت عن المجتمع بلباسها وأغراضها الجلدية المطرزة مثل نعال تمبا تمبا، بينما ظلت الفئات الفقيرة تمتلك أدوات جلدية بسيطة وكذلك برز الفرسان المحاربون الطوارق بعدتهم وآلاتهم الحربية وسروجهم الوظيفية من جهة أخرى وهي مطرزة بنوعية فاخرة وكانت هذه المنتجات ذات قيمة إقتصادية وإرتبطت بالمجتمع فهي وسيلة للتقايض، وكذلك إرتبطت أهميتها كقيمة هائلة تقدم ضمن مهرور الزواج، ومن الجوانب الاجتماعية هي تعاضد بين أفراد المجتمع لأجل صناعة مثل بعض الأنواع من

الجلود التي تستغرق فترة طويلة في زخرفتها فكانت نساء الطارقيات يقسمن أعمال زخرفة هذه الحقائق أو المحافظ .

1- صناعة الجلود في الصحراء من خلال المصادر التاريخية والأثرية:

تعد صناعة الجلد من أقدم النشاطات التي مارسها الإنسان خلال فترة ما قبل التاريخ وعالج الجلود بالمحكات والمكاشط إلى جانب الأدوات الحجرية، ولقد عثر على رسومات ونقوش جدارية لجماعات في إفريقيا الشمالية والصحراء في جبل أحنث بالهقار والنيجر في منطقة عين أنغال ترتدي: أثواب، أحزمة، حمالة سيوف، تنورات ودروع كلها من الجلد وتحمل زخارف مزركشة بالسجف، وألبسة مزخرفة بحواشي جلدية، وأحذية تتسم بدقة إثنوغرافية رحالة الصحراء الوسطى كانوا يرتدون ألبسة من الجلد، وفن إرتداء الجلد عُرف عند البربر منذ القدم فيشير هيرودوت أن شمال إفريقيا أنه كان للنساء الليبيات ألبسة جلدية "إيجي"، وهي جلود تم نبقها وتزينها بخيوط متدلّية ودهنها بالفوة وهو نبات يستخرج من جذره مادة حمراء، وقد إستعاره اليونان منهم¹، ويذكر هيرودوت أنه كان الليبيون يحمون أنفسهم بدروع من جلود النعام²، ولا يزال الطوارق محافظين على نوع من الحمالات الجلدية، وهو عبارة عن شريطين متقاطعين حول الجسم، وهذه الحمائل تُظهر الملامح الأولى للأقوام الليبية³.

ومن ملامح الإنتاج الصناعي للطوارق أنه عرف تنوعا نظرا لأحتكاكه عبر فتراته التاريخية بمختلف الحضارات وإندمجت بعض الصناعات داخل الطوارق فمنذ الفترات القديمة وجدت صناعات قديمة في الهقار كالحلي التي تصنع من الحجارة وسيوف ذات شكل الصليبي من الرومان، وما ميز الصناعات التارقية والأدوات المستعملة أشكالها البدائية الأولى، ولقد دخلت بعض الصنائع داخل الصحراء مع الفتح العربي حيث أنه أدخلت عناصر حضارية للمنطقة

¹ - تيلوين (جرمين)، الحريم وأبناء العم، ترجمة عز الدين الخطابي وإدريس كثير، دار الساقى، بيروت لبنان، 2000.

² - هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين، ترجمة وتعليق مصطفى أعشي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، المغرب، ص 48

³ - Romion (Jennifer) , « Des egeptiens portant un baudriier libyen » , ENiM 4,2011,p94.

كصناعة الخيم المصنوعة من القماش (الفليج) ، ولكن ظل الطوارق أقل تأثراً فهم يستعملون نوع الخيم المصنوعة من الجلد¹، والعديد من أدواتهم أغلبها من صناعات الجلود كالألبسة الجلدية والخيم والأحزمة ، والطبول هي مرتبطة بحضارتهم وبيئتهم، وهناك صناعات قد إندمجت داخل الطوارق خاصة السروج ومعدات التهجين، فهي ليست منتسبة إلى العصور القديمة، بل ترجع في وقت لاحق ،وعمد الطوارق إلى صناعة الرجل لأهميته في النقل فأستغلوا جميع المواد المتاحة الرئيسية لصناعة مثل هذه السروج من الأخشاب، وتشهد التقنيات وأساليب تصنيع السرج ومعداته (الخرج واللجم والأزمة والسياط) ومواد صباغته عن أسرار صنعة خاصة بالطوارق ،ويبدو ظهوره بإحتكاك الطوارق بالعرب وشكله يوحي أنه مرتبط بذوق الطارقي لذوق الفاتحين العربي².

1-1 الصناعة الجلدية عند الطوارق ومقوماتها:

تتواجد الكثير من الصناعات بالصحراء وهي ذات صبغة محلية محلية حيث الإقليم الممتد والواسع لشعوب الصحراء سمح بقيام الكثير من الصناعات وتعتبر الصناعة الجلدية أبرزها، ويشيد بذلك ابن خلدون " أن الصنائع ببلاد المغرب قليلة إلا ما كان من صناعات النسيج والجلد في دبعه وفرزه بلغوا فيه المبالغ وكون هذين أغلب السلع في قطرهم لما هم عليه من حال البداوة وبرزت مدن متخصصة "تفيلالات ومراكش وفاس وعرفت بتحضير جلود الماروكان والدباغين لهم مهارة في إستجادته ويصنعون منه الأحذية، والأغلفة، محافظ وأحزمة وتجليد الكتب وجميع السلع الجلدية³.

واعتبرت الدباغة وصناعة الجلود من جملة الحرف المتطورة والمنتشرة ببلاد الطوارق حيث كانت صناعة الجلد ودباغتها من المهن الأصلية المرتبطة بالبيئة، فالمواد التي يعتمد

¹ جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها ببلاد المشرق الاسلامي، ترجمة محمود عبدالصمد هيكل ، مطبعة الانتصار ، مصر ،1991،ص،237.

² Killialn c , « l'art des touareg », la ranaissance , n711, 1934,p152.

¹ ابن خلدون ، كتاب المقدمة، تحقيق عادل بن ساعد ،الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان ، ص318.

عليها إعداد المصنوعات الجلدية هي من قبيل مواد الدباغة والصباغة إنما يتحصل عليها من أشجار ونبات تنمو ببئتهم، ويعرفون بفضنة تعريفات النباتات ومضارها وإستعمالاتها ولذلك عُولج كل جلد بنوع معين من النباتات¹، وكانت أهم الأشجار المعروفة المستعملة في الدباغة شجر القرظ، وهي أجود ما يدبغ بثمره وورقه وشجرته، وينبت في الصحارى والقيعان، ولدى البدو قدرة ومعرفة بإنتاج ما يحتاجونه من المصنوعات الجلدية كأوعية لحفظ الأطعمة سواء الجافة أو السائلة وهؤلاء البدو هم المنتجون الحقيقيون للمادة الخام التي تعتمد عليها حرفة الجلود إعتقادا كليا، وهذه الجلود كانت تخضع للدباغة وهذه الأخيرة تقوم على أساس إصلاح جلود الحيوانات وإبعاد الصوف والشعر منها وتليينها وتنظيفها وتبديل رائحتها لكي تكون صالحة للاستفادة منها، وتتوقف هذه العملية على وسائل بدائية، وإستعمال لبعض المواد الخاصة كالجير والشب والملح حتى لا تضر بالجلد وتتفغن²، ومهنة الصناعة ودبغ الجلود لم يزوالها إلا فئات معينة لأحتقارها وأنها من المهن المستهجنة، لذا فالشرفاء ونبلاء الطوارق ممن كانت لهم حظوة بالمجتمع تأنفوا عن هذه الأعمال، وإعتبروها من عمل الغلمان والعبيد* وإذا إكتملت دباغة الجلود إنتقلت إلى أصحاب الحرف المختلفة ليصنعوا منها أشياء متنوعة³.

ومن أهم مقومات الصناعة الجلدية بالهقار هو توفر جلود الحيوانات حيث توزعت في الصحراء الكبرى عدة أنواع من الظباء والغزلان بأنواعه والفنك وتظهر مشاهد الرسومات لصيادين بالطاسيلي وجود مثل هذه الأنواع، ويُرَبِّي الطوارق الضأن وهي الحيوانات الداجنة ويصطلح عليها بإسم المواشي، وهي حيوانات تألف الإنسان وتحتاج إلى رعاية خاصة لكي تعمّر كالرعي وغيره، ومن ضمن هذه الحيوانات نذكر الأبقار التي كانت كثيرة على حواف

¹ _ henry savage landor, Across widest africa vol II , charles scribner's sons, new york, 1907, p344.

² _ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المجلد السابع، الطبعة الثانية، جامعة بغداد - العراق، 1993، ص 587.
* تذكر كتب التاريخ حادثة عقبة بن نافع مع كسيلة حين أمره بسلخ الشاة فإعتبرها إهانة، وبأنه ليس من أعمال السادة، وأخبره بأن هذا العمل يكفيه غلمانه عنه فأبى عقبة ذلك، للمزيد أنظر إبن خلدون، كتاب المقدمة.

³ - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، الجزء الثاني منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان، 1983، ص 239.

الصحراء وإملاكها شائعا بين السكان¹ وكانت قبائل توارق أفوغاس تملك الكثير منها، وعلى غرار الإستفادة من لحومها فإنه يُستفاد من جلودها القاسية في صناعة الأحذية والسروج، وتتخذ منها أسبات للنشاشيب، وقد تتخذ منها درقات للمحاربين، أما الدلى فكلها من جلود الأبقار، كما كانت تصنع منها أكياس ومخال جيدة²، وأبقار السودان تتميز بأنها من النوع الصغير الحجم أما قرونها فهي كبيرة وقد تلتوي في شكل حلزوني فوق رأس الثور، وقد كانت الأبقار في الصحراء الكبرى تتخذ للحمل، كما كانت تتخذ من جلودها بعض الخيام، وتبطن بها سقوف بعض الدكاكين أو الحجرات مثل بيلما³.

وتأتي في الدرجة الثانية بعد الأبقار ما يعرف بالأغنام، وهي ذات أنواع من الموفلون والماعر بأنواعه والكباش الدمانية، ويعتبر الجمل كأحد أهم الحيوانات الذي يعيش بالصحراء وإرتبطت معيشتهم به لتعدد منافعه وإستغلال وبره وجلوده في بعض الصناعات كما كانت الذئاب والثعالب والظباء والغزلان المتوفرة بكثرة ويُتحصل عليها عبر الصيد لاسيما ما يُعرف بالريم أداكس والغزال (دوراكس) والأرخب (oryx) الذي تتواجد بهاته الصحراء الكبرى، وتنتشر في كثير من الهضاب ومجاري الأودية بالهقار، وتؤكد المصادر ذلك "بأنه أكثر ما يوجد بصحراء الملتمين هي دواب الأفناك والظباء وخاصة ما يسمى بحيوان اللط⁴"، ويشير إليه البكري بأنه "دابة دون البقر لها قرون حادة لذكرانها كبر⁵"، وتبين لبعض الباحثين أن ما

¹ _ عبد القادر زبادية، صنغاي في عهد الأسقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970، ص 150.

² _ نفسه، ص 151.

³ _ البكري، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليفون، أندري فيري، الدار العربية للكتاب - بيت الحكمة، بيروت - لبنان، تونس، 1992، ص 59.

⁴ _ هو حيوان يشبه الثور لكنه أصغر منه وحوافره وقرونها أدق، يميل جلده إلى البياض، إلا أن أضلافه شديدة السواد وهو سريع جدا، ويصطاد بسهولة في الصيف لأنه يفقد بسبب حرارة الرمل أضلافه بسبب سرعة عدوه، حتى يمنعه الألم من العدو وتصطاد الوعول والوعول لنفس السبب وتصنع من جلد اللط تروس صلبة جدا بحيث لا يخترقها شيء وتباع بأثمان باهضة. للمزيد أنظر ليون الأفريقي.

⁵ _ البكري، نفس المرجع السابق، ص 171.

أطلق عليه الكتاب العرب في العصر الوسيط إسم اللط هو حيوان المها الذي يعتبر من أسرة الظباء¹.

وظبي المها (الأرخ) يتواجد في جنوب الهقار ويستخدمه السكان جلده في صناعة أكياس كبيرة وصناعة الدروع الجلدية ، كما لا تزال الظباء من نوع (غزال داما) موجودة بأعداد معتبرة في جنوب شرق الكدية وغزال الدامة يوجد بنواحي الهقار ، جبلية تاهلغة (جنوب غرب تمنراست) يصنعون منه حقائب كبيرة ، والموفلون كثير بالهقار يصطاده البدو بالرماح من جلده يصنعون حقيبة أجرة²، كما الشيهم الضربان المعروف بالأروي منتشر وأيضا يوجد حيوان الفهد منتشر بكثرة في الهقار، ويستعملونه في صناعة وتغليف السروج وتنتشر كثيرا بالهقار السحالي بأنواع متعددة³، وكذلك تتوفر جلود النعام بالهقار والتي تصدر الى تيديكت⁴.

ونساء النبلاء الطوارق ينتقلن إلى الأحياء مجاورة لجلب بعض الجلود من العشائر الأخرى⁵.

2- مواد الدباغة: توفرت مواد الدباغة وتنوعها، ولقد أفادت المصادر بمواد الدباغة على نحو يُستفاد منه فتشير هذه الأخيرة بخاصة إلى أن غدامس مدينة ضاربة في بلاد السودان تدبغ فيها الجلود الغدامسية لأشئ فوقها في الجودة، كأنها الخز في النعومة⁶، وأشار كذلك الرحالة إلى مواد الدباغة بالهقار كل من "بارت" ودوفيرييه، ولقد تعدد إستعمال هذه المواد ومقاديرها في الهقار حسب كل جلد، وتختلف حسب مواد الدباغة وفقا للمعارف المحلية

¹ _ الناني ولد الحسين، صحراء الملثمين، المدار الإسلامي، بيروت ، 2006، ص 55.

² -Mounier, « travail des peaux chez les touareg hoggar », TRIS, vol, 1942, Alger, pp133-169.

³ -claude blanguernon, le hoggar , arthaud, paris, p40.

⁴ - Eugene Dumas, Grand dezerit itineraire d une caravane du sahara au pays des negres, et ausone de chancel, 1848 , p147.

⁵ _ Catherine hinker , style touareg , iramam , paris, 2005, p38.

⁶ _ القزويني أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت -لبنان، 1971، ص، 668.

القديمة، وأيضاً للعلاقة مع الأقليم والبيئة التي تتضمن النباتات والمعادن المستخرجة من الأقليم¹.

أ- المواد النباتية*:

1-نبته السلم:(القرظ)شجرة ذات أشواك يدبغ بورقها وقشرها، وهي على نوعين: سنط سيال وسنط رديانا ، يستخرجون عصارتها ونضجها وماءه بالدق والعصر ويجعل في أواني مرحرجة تلقاء الشمس حتى يغلظ، وشجرته هي السنط وورقها هو القرظ بالحقيقة² .

وتستعمل أوراق ولحاء السنط سيال وتعرف محليا "تمات"، ويجمع لحاءه من الأغصان وبعد جفافها وطحنها للدبغ، وتُدبغ بها القرب والحقائب المصنوعة من جلد الموفلون، وتستمر عملية دبغه لمدة 8 أيام، ويمكن تنقيص المدة بخلط مواد الدباغة (ويمكن إستعمال هذا الدبغ مع نبتة تازليت (ثمار أكاسيا أرابيكا)، وتاماريس أقاليا مما يقلل من المدة من العمل لمدة 3 أو 4 أيام ويمكن بها دبغ ومعالجة جميع الأدوات الجلدية من شكوة، مزود، تاسوفرا غطاء الخيم)، وهذه النبتة لا يستعمل لوحدها في الدبغ، بل تخلط مع مادة أخرى لفعاليتها لئلا يحرقه³.

2- الغدة النباتية لتماريس: تسمى محليا أثيل وتاباركت وهو الطلح بالعربية وفي تيديكلت تسمى هذه النبتة بالمركبة وهي تنبت في مجاري الأودية يجمعها السكان الأصليون من الأرض ويصنعون منها مسحوقاً يستخدمونه ممزوجاً بالماء (3/1 و 3/2 من تاكيرميس) لدباغة جميع الجلود، ما عدا القرب، وإن الجلد المعالج بهذه الطريقة يخاطر بالحرق إذا لم تم

¹- Gast, « Cuir et peaux », revue encyclopedie berbère , volume n°14, Conseil – Danse, Aix-en-Provence, Edisud, 1994, p6.

*إن أغلب أشجار الطلح والسنط والعفص يحتوى على مادة التانين التي تؤثر على ألياف الجلد وتجعلها منتفخة والتانين هي ذرات تجعل خلايا الجلد تتشبث بها.

² _البغدادي، الأفادة والأعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، 1286هجري، وادى النيل -مصر، ص 15.

³ - Mounier, opcit, p133.

استخدامه بشكل متكرر، إذا تم استيفاء هذا الشرط فإن العملية لا تستغرق أكثر من يومين، ولكنها لا تعطي جلود ناعمة أبدًا؛ لذا فإنه سيستعمل "تاكرومست" دائمًا ممزوجًا بدبغ آخر¹.

وهذه النبتة تسمى عند المغاربة بالعذبة، وهي حب صغير يشبه النبق إلا أنه أملس منه تنتج شجرا لأثل المسماة بالعربية التلاي وبالبربرية تكاوت وذكره البكري بإسم "الطرفاء" و"تكاوت" وأنه يستعملونه بالدبغ، وإسم الشجرة العلمي (articulata tamarix) يطحن العذبة بعد تزيتها في الرحي الحجرية حتى يصير رقيقا مثل الدقيق ثم يُطلى بدقيقها الجلد وتلين بها الجلد حتى لا تتكسر إذا يبس الجلد².

3-لحاء روس:

يستعمل هذا اللحاء كسمحاق دبغ ويُسمى جداري بالعربية أما محليا ثاحونك ويوجد في الأدوية والشعاب الجبلية ،يجمع لحاءه الأخضر يجفف تطحن لمدة 8 أيام وتعالج به القرب.

4-أوراق الرتم: وهي قصب الرمال تتواجد في الوديان والمرتفعات وتدبغ به الجلود.

5-ثمار السنط العربي:

يستعمل السنط العربي تجدارت وثماره تزلت، وتطحن بعد جفافها ثم تدبغ بها الجلود في مقدار 1قصة من هذه المادة في ليتر واحد، والدبغ هذا في أقرب مدة يومان آخر لأنها مادة مركزة تحرق الجلد ،لذا يفضل إستعماله مع مادة أخرى³.

6-خلائط مواد الدباغة:

¹ -Mounier,opcit,p133.

² _عبدالله حمادي الأدريسي ، سجل ماسة قاعدة المغرب قبل فاس ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، 1970، ص 351.

³ _ Mounier,Op. Cit, p135.

يستعمل 1لتر من الطلح المهروس مع 1كيلو من أغصان تازليت، وحزمة من أوراق تامت لمعالجة الجلود ودبغها في يوم واحد من العمل المتواصل مما يعطي اللون الأحمر وهذه التقنية تُخص سائر الجلود السمكية والصلبة المعدة لأدوات الخيم والحقائب، وإذا إستعمل 3/1 من مادة تاكرومست مع 3/2 من مادة تامت يكفي لدباغة الجلود في مدة ثلاث أيام وتميل الجلود المدبوجة إلى اللون الأحمر والأجوري¹.

ب- مواد الدباغة المعدنية :

❖ الشب:

يُسمى محليا أزريف، يجمعه الطوارق في واد إيمدر لما يجلبون التمر من عين صالح إلى الهقار، ويستعمل كمسحوق بخلطه مع الملح للدباغة مخلوطا مع الملح حيث 1/2 من الملح يقابله 3/2 من الماء، ويمعس به الجلد جيدا في اليوم الأول في جميع الجوانب، ثم يطوى، وفي اليوم الثاني يتم ضربه بحجر لتنعيمه ، وعملية دبغه تنتهي في اليوم الثالث أو الرابع ، وفي آخر عمله دبغه بذلك الجلد بزبدة الطوارق².

❖ أوكسوم: هذه المادة ملحية تسمى بالعربية "كلبو" وتتواجد المادة مناطق واد عين لحي المقابل لواد تافدوك (بعد مشي 4ساعات شمال غرب إدلس) ويُصدره الطوارق إلى عين صالح، ويبادلونه بالتمور ويستعملونه في دباغة جلود النعال.

ويستخدم الطوارق كلوريد الصوديوم (الملح الخشن) على نطاق واسع في دبغ جلود البقر والجمال وطريقة الدبغ تكون بوضع هذه المادة حيث 3/1 من ملح مقابله 3/2 وتبقى مغطوسة في حاوية مملوءة مسبقًا بالماء حيث 3/1 لـ 3/2 من الماء ويُمعس الجلد جيدا بالذلك وتبقى هناك 3 أيام في الصيف و5 أيام في الشتاء، وينتهي دبغه حينما يكون لونه مائلا إلى

¹ -Mounier,opcit,p134.

² _ بن شعبة فاطمة ، تلف الجلود للمجموعة الأنتوغرافية بمتحف البارود ،مذكرة ماجستار،قسم الآثار ، جامعة الجزائر ،2010،ص21.

البياض ، ثم يتم تجفيفه ثم يتم ضربه لزيادة تليينه ويمكن أن توضع الجلد بالقرب من السباح ثم يدفن في حفرة ويغطى برمل مبلل لتليينه أكثر¹.

2-2 مواد النتف: برغولاريا طومنتورا: تسمى تشكات بتمهق، السلاخة بالعربية وهي نبتة تزيل الشعر بعد 24 ساعة.

-لبتادينيا بيروتكنيكا: تُسمى بالعربية أسباي وتستعمل في نفس الظروف مع النبتة السابقة على أن العملية تدوم ليومين أو ثلاث أيام.

-الرماد: يستعمل الطوارق رماد في نزع الشعر جلود القرب (خاصة رماد الطلح) يرشونه ساخنا على جهة الشحم ويخلطونه بالملح المسحوق ويفركن الجلد بقوة، ثم يوضع بالقرب من النار وبعد 24 ساعة من إزالة الشعر بسهولة، وتتميز هذه العملية لها ميزة عن التاشكات بأنها لا ترقق الجلد الذي يظل مقاوما للماء، وهو أمر مهم في أوعية الحليب²، ومن ناحية أخرى، يفضل أن تبخير الماء من خلال جدارن الأنية لأنه يبقئها ندية ؛ ولهذا السبب دائما ما يتم إزالة شعر جلود التيسوفروين باستخدام التاشكات³.

3- طرق وتقنيات الدباغة:

يُسمى الجلد بالأهاب وهو جلد البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ⁴، ويطلق محليا عند الطوارق "إغث"، أقلم بالمزبت (غرداية) وورقلة وأقلم وأفلي في منطقة القبائل وعلميا هو منتج طبيعي ناتج عن مجموعة من العمليات التي تعرف بالدباغة والتي تهدف إلى تحويل جلد الحيوانات لمادة غير متعفنة مقاومة لحركة الماء، وهي مادة حية تتميز بليوننة ورقة بشرة الجلد بفضل عناية الدباغ، والجلد المدبوغ يُسمى تقالت وهي مجموعة من العمليات تهدف لجعل الجلد بفضل عناية الدباغ، وعالج الطوارق عدة جلود من الماعز والضأن والعجول والكباش الغزلان

¹-Mounier, Op. Cit, p135.

² _ Gabus , au sahara art et symboles , baconnier , neuchatel ,1958, p100.

³ -Mounier,opcit,p135.

⁴-إبن منظور ، لسان العرب (أ-ب)، تحقيق عامرأحمد حيدر ،المجلد الأول، دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان، ص258.

والظباء ما عدا جلود الأحصنة والحمير والبغال التي رغم كثرتها لا ينتفع بجلودها الطوارق
لحرماتها حسب المذهب المالكي¹.

3-1 مراحل ما قبل الدباغة:

1-السلخ:

إن سلخ جلد والغنم الماعز عملية دقيقة لذلك ينبغي لمن يتولى السلخ أن يكون حذرا ذا يد
ماهرة حريصا على عدم ثقب الجلد أو شقه ويسلخ الجلد بتمرير السكين مرة واحدة تحت
الذيل وخلف القائمتين الخلفيتين ثم يسلخ عن الذبيحة بإتجاه الرأس وتكون نقطة النهاية هي
فتحة الرقبة التي تترك لتبقى مفتوحة بينما تتم خياطة الفتحة التي تحت الذيل مع فتحات
الأرجل²، أما جلد البقر فيسلخ جلده سطحا إلا أن سطحه على البطن وجلد البعير سطحه
على الظهر(على السنام) إلا الرقبة فلا يسطحون جلدها، بل يسلخونه بدون سطح لأنهم
يحتاجونه ضروريا حبالا(شريحة واحدة للسواني حيث يقدونه بالدوران تكون أقل من 2سم)³.

2-التنظيف والتملح:بعد أن ينزع الجلد نهائيا تكون عملية تنظيفه وإعداده من مهام النساء
نزع طبقات الشحم ثم يملح جيدا من الداخل ويرزن أي يطوى على الملح لمدة يوم وليلة،
أثناء ذلك يُعد التمار وهو طحين من البر أو الشعير، وتوضع كمية داخل الجلد المملح بعد
قلبه أي يكون الشعر للداخل ويترك لمدة خمسة أيام في الصيف، وخلال هذه الفترة يكشف
الجلد يوميا ويسكب داخله قليلا قليلا من الماء ويحرك داخل الجلد والهدف من عملية

¹- بن شعبة فاطمة ، نفس المرجع السابق،ص15.

²- ديكسون ، عرب الصحراء، ترجمة شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، ط2 بيروت، 1998.ص 93.

³- التويجري، طرائف وذكريات وعجائب في أحوال الأولين والسوالف المجلد الثاني، دار العاصمة، السعودية، 2004،ص 54.

العطان هذه هي زيادة سماكة سمت الجلد وإشباعه بمادة التمار من ناحية، ومن ناحية أخرى جعله يهل أو يحث الصوف أو الشعر شيئاً فشيئاً حتى يسهل نزعها فيما بعد¹.

3-السلت:

يحمل الجلد إلى مكان به رمل كثير ونظيف لأتمام نزع الصوف وتجري هذه العملية باستخدام سكين قديمة، وتشد أطراف الجلد بالأيدي والأرجل ويبدأ كشطه من الخارج بدقة وعناية حتى إذا لم يبق منه إلا القليل يدعك جيداً بالرمل حتى يصبح أملس خارجه كداخله بعد ذلك يغسل بالماء عدة مرات حتى ينظف، وتذهب رائحته ثم يملح من الداخل مرة ثانية ثم يرزن ويوضع فوقه حجر ثقيل لضغطه وإخراج الماء منه بشكل تام، وأما إذا بقي الشعر في بشرة الجلود تتبع بأن تحلى سواده ووسخه وشعره فإن لم تقلع ذلك عن الإهاب أخذ الدباغ أو الدباغة نشفة وهو حجر خشن مثقب، ثم لفت جانباً من الإهاب على يدها ثم إعتمدت بتلك النشفة عليه لتقلع عنه ما لم تُخرج به المحلاة لأنه بدون نزع هذه الشوائب فإنه لا يقبل الدباغة بوجودها²، وهناك بعض الجلود التي لا تنزع صوفها ولا شعرها وهي الجلود المعدة لصناعة الجلود المشعرة والفراء.

3-2الدباغة: وإذا فرغ من ذلك كله وتيسر الجلد للدبغ ألقى في الدباغ (شجر القرظ والسنت) داخل أنية لعدة أيام أكثر من إسبوعين، ويُعس الجلد جيداً بالذلك، حتى إذا تمت دباغته، ونضج في الدباغ أخرجوه أديماً وعلامة نضوجه في الدباغ بأن يستحيل لونه من جلد إلى لون الدباغ من الأصفرار، ويختبر الجلد بمدى قابليته للدباغ بفرك جزء منه باليد فإذا كان مرناً قابلاً للفرك فهو مدبوغ جيداً وإلا فإنه يعاد لماء الدباغ، وبعد أن يأخذ الجلد لون الدباغ ويقوى متته فإنه يبلى أي يسطح ويفرد ثم يترك حتى يجف تماماً وتلي هذه المرحلة عملية

¹-أحمد بن عمر الزيلعي، "الجلود"، موسوعة الثقافة التقليدية في السعودية، المجلد الثالث، دار الدائرة للنشر والتوثيق، السعودية، 2000، ص 433.

²-ابن منظور، نفس المرجع السابق، ص 73.

الدهان حيث يطلى الجلد ويدلك كله بالودك من الداخل والخارج ويقلب في الشمس مرار ليتشرب بعضه حتى يكون لنا طريا جاهزا للخرازة¹.

والجلد أول ما يدبغ فهو منيئة ثم أفيق ثم يكون أديما، والأديم هو كل جلد جيد مدبوغ مرناً وألين الأدم هي جلود الغزلان فكانت تصنع وتجدل منها الأزمة وأجود الأدم كله هي جلود الأروي وكانت تجدل منه الأجرة².

وإذا فسد الجلد في الدباغ سواء بحرقه بسبب تركيز مواد الدباغ أو حين ييبس أو يتقرب فإن الطوارق يعالجونه بمواد مركزة لغلق وسد الثقوب، وتسمى هذه العملية محليا allefen وتقوم على أربع عمليات:

1- ورقة أكاسيا راديانا أو أكاسيا سيال. تترك لتجف ، سحقها في الهاون ثم ضعيها في أو تري يُرج لمدة ساعة ويفارغ.

2- ورقة كاسيا أوبوفاتا وهي الحناء يتم سحقها في الهاون ، جافة أو خضراء ، وتأخيرها في الماء ثم تبليها في القربة (وبالتالي فإن هذه العملية غير معروفة للطوارق ؛ وقد أشار إلينا كل من كيل-أميجيد).

3- يستعمل جذر أفزو بعد تجفيفها وتعتيقها ثم وضعها في القربة بالماء .

4- يؤتى بنبتة أجرام حيث تطحن ويعالج بها الجلد الفاسد، ويبقى الجلد مغموسا لعدة أيام وكذلك يستعمل الطوارق تقنية أخرى ورقة الكاسية وأجدار التي تطحن في هاون خشبي ثم بالماء ثم تشد على القربة ،وتدلك لمدة 10 دقائق، وهذه التقنية لا يعرفها كل الطوارق بل هي

¹-التوبجري ، نفس المرجع السابق، ص 53.

² _أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري، تحقيق: برنهارد لفين الناشر، النصف الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس، دار النشر فرانز شتاينر بفيسابان، ألمانيا، 1974، ص114.

خاصة بكال أمقيد، وتستعمل كذلك نبتة الأرطي والعجرم، ويختص بها معلوم تمراسست وتسد بها الجزء الفاسد ، وحينئذ يصير الجلد صلباً¹.

3-3 صبغة الجلود وتلوينها:

تتخذ الصبغة على الجلود لما تدبغ، وينتج عن الدباغة بالقرظ ألوان حمراء، وقد تصبغ جلود وهي أفق (غير مدبوغة) خاصة في الخيم، والجلود إذا صبغت وهي أفق لم تشق الأصبغة، ويُصب فيها وهو يفور ثم يُعل به حتى تستحكم ألوانها² وعرف الطوارق عدة أصباغ صفراء وخضراء.

1- اللون الأبيض: تتوقف بعض الألوان كاللون الأبيض على بعض الأصناف من الجلود الرقيقة مثل الجداء والأفناك والمادة المستعملة عبارة عن خليط من الجاروش (القمح والشعير المطحون) والملح والحليب بمراعاة مقادير معينة كالاتي (4/1 4/1 2/1) ثم يحك الجلد بمحك حجري من جهة الشحم ثم تنتقع ليومين في الخليط ليسهل عملية الدبغ³.

2- اللون الأخضر: يفضل الطوارق في صبغ جلودهم ويجلبونه من السودان لكن يتم الحصول على هذه المادة زنجار محليا بالهقار بحك النحاس الأحمر في الحليب مع كمية قليلة من الملح النشادري وينتج نوعاً من العجينة التي تبسط على الجلد بعيداً عن الرياح.

3- الأحمر: يُستخلص من نبات الفوة (عروق الصباغين) ساقه مشبعة وغلظتها أو تستخرج اللون الأحمر من لحاء تلاق التي تسمى حمارة بعد أن تطحن وتوضع في كمية من الماء مع الزيت أو الزبدة وهناك صبغة حمراء أو بنية يستعملها كثيراً الطوارق في صبغ الخيم تستخرج من حجر تافست، ذو لون أجوري تمقهويت يجلبونه من محاجر المغرة الطبيعية⁴ وهي متواجدة بعدة أماكن بالهقار توجد في الكودية ، في مكانين: على منحدر جبل

¹ -Mounier, Op.Cit,p137.

² -الدينوري ، نفس المرجع السابق، ص121.

³ -Mounier, op. Cit,p139.

⁴ _ M. Gast, « Cuir et peaux », *revue encyclopedie berbère* , volume n°14, Conseil – Danse, Aix-en-Provence, Edisud, 1994 , p9.

تجيمجت في الهامش الصخري بالقرب من تاساكيمة ، وفي أحد الكهوف وهو يقع في جانب تل يطل على وادي نهنكت nahnahqet ، ويعتقد السكان الأصليون أن هذا الكهف يتمتع بطابع سحري ، يعالج الجلد المعد لصناعة الخيم بهذه المادة، وذلك بعد يعالج الجلد بعد أن ينتف شعره ودبغه بأوراق الأكاسيا ثم يدهن بالزبدة ، ثم يفرك وينعم ويلين، ثم يفرك بهذه المادة تمقهويت مع فضلات الماعز المطحونة للحصول على اللون المطلوب ثم الجلد يغمس في ماء ليومين حتى ترتخي أليافه ويشد ويصير محكما ثم يقطع ويخاط وفركه في كل الاتجاهات، عندما يتم الانتهاء ، يتم طلاء الوجه الخارجي بالزبدة ليصبح جاهزا ويعالج الجلد المعد لصناعة الخيم بهذه المادة، وذلك بأن ينقعوه في الماء ، ثم يُفرك بقوة ، ثم يدهن بالزبدة، ثم ينشر الجلد ويتركونه يجف ؛ بعد أيام قليلة يلين يدفن بالتراب الرطب حتى يهل وفركه في كل الاتجاهات، عندما يتم الانتهاء ، يتم طلاء الوجه الخارجي بالزبدة ليصبح جاهزا¹.

ويشير فوكو أن الطوارق يعالجون الجلود بأغصان egdou لتصير الجلود حمراء².

4-اللون الأسود: للحصول على اللون الأسود إصطفان تقوم بجمع نواة التمر وصدا الحديد ثم يضاف إليه الماء كما يستعملون مادة الطملة التي تميل إلى اللون رمادي وذلك بعد وضعها في الماء وتمريها فوق الجلد³.

-تاونكت: تتمثل في سulfates الحديد المبلور مع الرمل الطين والشوائب. وهناك بالهقار يسعى الصانعون في وديان لأجل النقاط هذه المادة في أمكنة من الهقار، ويقضون ساعات عدة مواد لأجل جلب هذه المادة⁴.

¹ - claude blanguernon, opcit, p99.

² - Foucauld ,dictionnaire touareg francais : dialecte de l'ahaggar ,tome I ,MDCCCCL , paris, p400.

³ _ibid, p302.

⁴ -mounier, opcit, p141.

- **تافيلت:** أحجار صفراء تنضج في الجمر لمدة عشر دقائق ثم يتم تبريدها في زبدة الطوارق توضع في المهراس مع برارز الماعز ويطحن الكل وتصبغ بها الجلود وتصبغ بالزبدة.

- **إيكورنجل:** خليط رطب من برادة الحديد وحببيات الجاروش المطحونة وتضاف لها الماء ويتحول لسائل بعد شهر، يبدو أن هذه العملية مستخدمة خاصة من قبل المعلمين كما يتم صبغ جلود الحواف (الأهداب) والمحافظ باللون الأسود من جانب الشعر، وللقيام بذلك نغطي الجزء المراد تلوينه بمحلول النيلة (بابا) وهذه المادة يستوردها الطوارق من السودان¹.

5- اللون الأصفر: يستخلص من أوراق قشور الرمان المجفف مضاف إليه الماء، وتتميز صباغة الجلود المدبوغة بالمواد المعدنية أنها أكثر سهولة في عملية التلوين حيث تتميز الجلود بأنها أكثر رقة والأداة المستعملة في الصباغة تكون بإستعمال قطعة صوف أو تكون منفذة بواسطة ريشة².

4- الصناعة:

وكانت تلك الجلود بعد دباغتها وتجهيزها تدخل في مختلف الصناعات الجلدية التي يحتاج إليها الطوارق وعرفت مهنة العمل على الجلد بإسم "الخرزة"، وتعتبر مهنة خرزة الجلود من الصناعات الأصلية عند الطوارق، وإرتبطت الصناعة الجلدية بنوعية كل جلد وشكله وحجمه وجلد الماعز كان يعد المادة الرئيسة عند الخرازين، ويبدو أن هذا الضرب من الجلود له صفات الذي كان محببا لمتانته وطراوته وإستعمل في شتى صنائعهم من خيم ونعال وغشاء لمختلف آلات إيقاع موسيقية (تام تام، دربوكة، الطبول) وإستعمل جلد الضأن لتبطين المصنوعات الجلدية كالأحذية³، وكان الصانع يقوم بقص الجلد المدبوغ ونقشه وتغيرته

¹ -mounier,opcit,p142.

² _ Gironcourt, M. G. (de), « L'art chez les Touareg », *Revue d'ethnographie et de sociologie*, 5, 1914,p53.

³ _cortier (Le lieu maurice) , d'une rive à l'autre du sahara ,fontana et cie , paris , 1908 , p349.

وخياطته وصبغه وطلاؤه كما يمكن الجمع بينه وبين مواد أخرى كالقماش والخشب، مع استخدام تقنيات كالحياكة وتتألف عملية صنع الجلود من أربع خطوات: التصميم القص والتجميع. التلوين-التشطيب¹، ويعمل الصناع ونساء كيل غلا وداغ غالي بالهقار على خياطة الأدوات كالخيم والمزاود بإستعمال سيور رقيقة تدعى "أزامين"²، والخارز قبل ذلك يُسحي باطن الجلود ويقشره ويدهنه ثم يخرز فتسهل³.

4-1 أدوات الصناعة:

1-المِخْط وهي منضدة يوضع عليها الجلد ويُصقل بها الأديم من جهة الشعر ويُملّس عليها لنزع أي أعوجاج ويشترط أن تكون دائرية غير حادة⁴، وتتوفر بالهقار نوع من الحجارة tazehelenhou منحوتة وهي من أصل بركاني تستعمل لكشط الجلود وأوحكها .

2-وعاء:قصعة من جلد غير مدبوغ من جلد الجمل أو الثور وتسمى محليا الحدجة والقيسيرية بالعربية .

3-الضرب:حجارة مصفحة وعصا يضرب بها الجلد وينعم بها من جهة بشرة الجلد (الشعر)بخشبة أسلوم بالعربية أو تابوراق .

4-شفرة سكين: تستعمل للزخرفة بإقامة رسومات بنقعهما في الملون ،ويستخدم الصناع زخارف متنوعة بالسكاكين ،أو تكون بنقعهما في الملون⁵.

¹ عزة عبد الخالق، "الصناعات التقليدية في دولة مالي الحديثة"، مجلة الفنون الشعبية، العددان 92/93، ديسمبر 2012، يناير 2013، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر ، ص 134.

² -mounier, opcit, p165.

³ _ ابن سيده ، المخصص ، تحقيق عبد الحمدي أحمد يوسف الهنداوي ، الجزء الرابع دار الكتب العلمية- بيروت لبنان ، 1971، ص 502

⁴ -أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق عبدالرزاق المهدي ، إحياء التراث العربي ، بيروت -لبنان ، 2002، ص 204.

⁵ -Mounier, Op. Cit, p138.

5-المخراز: يُستعمل في الخياطة المخراز وهي أداة لها سن حادة ومقبض من خشب ويستعمل في خياطة جميع الأدوات الجلدية بإستعمال السير الجلدي وهي شرائط جلدية والمرأة تعمل على تحضير هذه الشرائط بأن تشدها إلى أصابع الأرجل¹، والخراز يعمل بإحداث ثقوب على مستوى أطراف الجلد، ثم يمرر السير الجلدي على هاته الثقوب بالمخراز، ليتم فيما بعد جبهه لتتم لخياطة،ويمكن أن نشير أن طوارق الهقار لاسيما قبائل الأسكماران نادرا ما يستعملون هذه الأبر بل يفضلون إستعمال قرن الغزال لحدتها وهي ذات طول 7 سم وهو المأخذ الحسن لليد².

6-الغراء: يصنع الغراء بغمر الدقيق الأحرش الرقيق في الماء ومرسه فيه وعصره بعدما يلين حتى يكون كالحليب ثم يغلى على النار حتى يغلظ القطع الجلدية ويستعملونه لثبنت الرحلة كما يستخدم الطوارق الغراء في بعض النباتات التي تحوي على غراء القرظ³.

والإنتاج الجلدي للطوارق كان على قسمين منتج عائلي يصنعه البدو والرحل بأنفسهم وهو ضروري لمعيشتهم من أوعية اللبن والسمن والفرش، ولوزام الخيم من الوسائد والحلي الجلدية والصنادل والحقائب، وعادة تكون المرأة هي من تقوم بهاته الأعمال، وهي تؤدي عملها بدرجة عالية من الدقة والتفنن⁴، وأما الأدوات المصنعة فتتصف بدقة تقنياتها وأدواتها وإرتفاع قيمة منتوجاتها ولا يصنعها إلا فئات معينة⁵.

¹ -hinker(h),opcit,,p26.

² -Mounier, Op.Cit, p138.

³ -Mounier,opcit,p138.

⁴ - محمود (مصطفى)، مغامرة في الصحراء، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، مصر، 1977، ص68.

⁵ - توجد بالهقار فئات محترفة تعرف بالأنبيض ولها مهارات عالية في تصنيع الأدوات من السروج ومن الأسلحة وتمتاز أعمالهم بالدقة والجمالية .

4-2 الإنتاج العائلي:

كان البدو أكثر عملهم ومصالحهم على صلاح جلود المواشي، ولهذا كانوا يحرصون على سلامتها من الخروق، وكانوا يصنعون منها عدة أغراض، وحاجيات سواء في مساكنهم ولباسهم ونعالهم وآنية مائهم وطعامهم وأسلحتهم ورحال مطاياهم والحبال، وما ميز هذه الأدوات، والأواني المصنعة من الجلد خفة الوزن وسهولة النقل مما ساعد على تكيّف البدو مع بيئتهم الفقيرة القاسية¹، ومن جملة صناعات البدو الرحل هي :

4-3 صناعات الجلود المدبوغة:

1- الخيم: بدو طوارق الهقار من الطواغن صنعوا خيما متقلّة تكون أكثر خفة، ويعرفون بخيمهم الملونة بالأحمر والأسود* وهي تتميز بالصغر، وعادة ما يكون النبلاء هم من يرتادون ويختارون مواضع الإقامة، والتي تكون دائما بجانب الماء والمرعى، وكانت تصنع الخيام من جلود الماعز والموتون وأحيانا من جلود الغنم أو العجول، ويحرص في الخيم على جلود الموفلون والماعز لصلابتها، بينما بالسودان لا يتوفر على هذه الجلود، والخيمة المتوسطة المنتهية 42 قطعة، وتبدأ عملية صناعة الخيمة بدباغة الجلد بنّة تاشكات ويجهز بصفة خاصة ويكون ناعم الملمس وذا لون يميل إلى الحمرة بالمغرة (تم صبغ كل جلد من جهة الشعر)، وبعد إعدادة يقطع إلى قطع متلائمة ثم تخاط كل قطعة بأخرى بعناية بخيط من الجلد ويصنعون الشريحة الكبيرة من 7 قطع وتجمع بشريحة أخرى بنفس الحجم، ويجعلون جلود الموتون في الوسط ثم تمرر الزبدة ويدلك به على الجلد، المعالج للمرة الثانية باللون البني (المرة الأولى الجلد كان صبغ وهو أفق أي غير مدبوغ وتركب على ستة أعمدة عمودية أفقية من الخشب ويدهن الجلد بالزبدة لجعله أكثر كتامة، وبعدما تنصب الخيمة، وتشد جلد الخيمة في أطرافها بسيور جلدية إلى أوتاد مغروزة في الأرض، أو تثبت بحجارة

¹ _ lhote, Comment campent les touareg , collection des peuple campeure , j.susse, paris , 1947,p51.

وأغلب * _ تتميز طوارق السودان بخيمهم الصفراء والخضراء وتصنع من جلود البقر "الجاموس" وتخييط بسيور جلدية وتدهن بالدهان مساكنهم يصنعونها من القصب.

كبيرة، والخيمة الكبيرة تتكون من 100 قطعة ولا يكسبها إلا النبلاء، وتقايض بجملين، بينما خيم العبيد "إيمغاد" فتتكون من 40 قطعة جلد وتقايض بجمال واحد¹.

وهذه الخيم غالبا ما تلحق عملية بناء الخيمة عند الطوارق بالنسوة، فهن المسؤولات عن صناعتها أما الرجال هم يشاركونهم بجلب القطع الخشبية المساندة للخيمة كالأوتاد والمناصب، وربما هناك بعض النساء النبيلات بين مجموعات الطوارق كن ماهرات في الأعمال الخشبية ولربما أنتجت مكونات الخيمة بأنفسهم، ولاشك أن الاسلام كان عنده تأثير على تقسيم العمل عند الطوارق، وأعتبر عملهم من صناعة الخيمة وتجهيزها كإمتداد لأدوارهم المنتجة في مجتمع الطوارق². وأغلب حاجيات الخيم من وسائل وأسرة وحصائر لا تصنع إلا في السودان وتجلب من مضارب الطوارق الجنوبية خاصة بمنطقة الأير ولا تكون إلا للسادة مثل "أق أخموك"³.

وخيم الأمنوكال هي تتكون من خمسة عشر خيمة المخيم، وأول ما تضرب هي خيمة النبلاء ومقربيه ثم تتوالى خيم الشيوخ القبيلة والعبيد وعشائريهم، بينما تأتي خيم الصناع بعيدا عن المخيم وخيمة النبيل يكون فيها الطبل رمز الأمانة والذي يعلق في وسط منتجع الأقليد أو على باب خيمته⁴، وتحوي الخيمة على الأسلحة والسروج والحقائب الجلدية وسرج للمرأة (المحفة) وتزين مداخل الخيم عند طوارق الهقار بطوق مسنن أو منشاري، ينفذ ويرقق بالسكين مباشرة على الجلد⁵، وهذه الأعمال من تزيين مداخل الخيم وهي من أكثر الأعمال المرتبطة بشعائر وطقوس معينة لاتعرفها إلا المرأة فهم يضعون شبشا ضد الأرواح الشريرة.

¹ -Mounier, opcit, p157.

² - Jessie Sirico , the sociale lives of touareg bracelets and tent posts in the collection of the spencer museume, mémoire of master arts, university kanasas ,2014 ,p Museum, p33.

³ _Lhote, Op. Cit, p46.

⁴ _ Bernus, « _récit historiques de l'azawagh tradition des illuemmeden kel dinnik », bulletin de l'I.F.A.N.T.XXXII, sèr.b, n°2, 1970. p438.

⁵ _ نلاحظ في خيم طوارق منعطف النيجر خصوصا قبيلة تتغريف أنهم يزينون مداخل الخيم بطوق جلدي مشرف ومضفور كحلية وعادة ما تقتزن هذه الشراشيف بطقوس لحماية أهل الخيمة، للمزيد أنظر Lhote, op.cit, p37

2-أثاث الخيم:يغطي أرض الخيمة بالرمال الملساء التي تجلب من الوديان ثم تفرش فوقها حصائر من القش والجلد المزينة بشعر الماعز أو صوف الكباش، مصنوعة من الجلود الرقيقة كجلود والماعز ، وتوجد زرابي مصنوعة من قطع جلد الماعز (الفرو)، ويحضر جلد الفراش بالملح مخلوطا مع الشب بعد أن ينظف الجلد بالماء ثم ينشر الجلد ،وتكون لحميته بإتجاه السماء لمدة يومين ويتعاهده يوميا بالرش الماء فوق اللحمية ثم يطوى الجلد على بعضه،تعلق على عصا لتجف تحت الشمس،وتستعمل للصلاة كبساط للراحة¹، ويمكن الإشارة أن بعض أنواع هذه البسط المعروفة بأغليم تصنع من جلود الموفلون من 6 إلى 8 قطع ويستعملها خاصة تجار القوافل من تيديكلت، ويستفيدون من هذه البسط كغطاء تقيمهم من حرارة الشمس والبرد²، ويستخدم كذلك هذه الفرو كفراش للرحى لجلب الدقيق حين عند الطحن³،ويتخذ الطوارق أمكنة وآسرة النوم من حفنة من الرمال تستعمل كوسادة لهم، وقليلًا ما نجدهم يفترشون الأرض بل يضعون الهيدورة والزرابي، والأغطية الصوفية التي تجلب عادة من تيديكلت وقورارة، وتتنوع أدوات المطبخ من أوعية وجفان ورُحي مصنوعة من الحجر لدق الحبوب وعرفت منذ العصر النيوليتي بالمنطقة ،وكذلك نجد في الخيمة مكان وضع للأطفال الرضع وهو أرجوحة يُصنع من سعاف السلال، ويغلفونها بالجلد الأحمر وإستعملت الحقائق الجلدية من نوع الجراب الكبير للمؤن المصنوع من جلد الغزال⁴وهي بمثابة صندوق لسعتها ويغلقونه بقفل وعادة ما يكون مفتاح هذا القفل محتفظ به ومربوطا يشددنه إلي أطراف حُجبهن، وهي عادة خاصة بنساء الطبقة النبيلة من الطوارق وهذا المفتاح هو أول ما يلتفت أنظار الأوربيين في كلامهم عن المرأة البدوية عموماً⁵، والوسائد عديدة جدًا في الخيمة بعضها على شكل مثلث محشوة بفضلات الماعز المجففة⁶.

¹-عبدالله حمادي الأدريسي ، نفس المرجع السابق، ص 356.

²-Mounier ,Op. Cit, p158.

³-التومي الحاج سعيديان، سكان تيديكلت القدماء والأنتكال على النفس، دار هومة، الجزائر، 2005، ص153.

⁴ _ غابريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبدالرحيم حزل، إفريقيا الشرق، المغرب، 2004، ص 342.

⁵ _ ديكسون،نفس المرجع السابق،ص64.

⁶ _lhote,opcit,p44.

وما يميز هذه الأدوات أنها حددت أمكنتها على طول الخيمة كل في مكانه سواء بتعليقه في جدار الخيمة أو بركنه في جهة من جهات الخيمة، وأيضا يتم بتعليق كل الحقائق في أوتاد وأشجار ذات أنواط، فنجد مثلا الوتد ذا الجفنة وتد قطره أربع سم وعلوه يتجاوز المتر مصنوع من السنط النيلي، ويحتوى على سلسلتين أو ثلاث من الشوك والتي تستعمل في تعليق الأواني المنزلية، وهو ما يُفسر وجود حلقات على الجفان والمعالق الكبيرة ويدعى هذا النوع بالغنجتين، وهناك نوع آخر من الأوتاد تاسكات يستعمل لحمل الصحون والمتميز بشكله ذوالنحت الدقيق، وهو عبارة عن عصا عمودية تنتهي بتركيبة مخروطية الشكل ذات ثلاث أو خمس أضلاع خشبية مثبتة على حلقة خشبية مغطاة بالجلد ويوضع عليه الحليب يثبت على قمة الوتد شرائط من الجلد التي تتدلى إلى أسفل¹(الصورة 1).

ويمكن للمرء أن يستنتج أن الأثاث عند الطوارق له ثلاث سمات مشتركة :

أ) أنها وظيفية للغاية ؛

ب) أنها متناثره جدا.

ج) أن الأثاث له طابع وظيفي وغني جدا في زخرفته حيث لا يتعارض مع الوظيفة².

ورغم أن العوائل في الهقار يسكنون في خيم موحدة ولديهم نفس الأدوات والأوعية والأفرشة إلا أن ما يختلف هو الحجم، ونوعية تنفيذ المنتجات وزخرفتها، فالصانعة الصحراوية تعمل على إضفاء حلة زاهية على منتجاتها من الوسائد والحقائب، وهذا التزيين كان معتمدا على ثروة الأسرة فميسوري الحال هم من تتاح لهم ويأمررون بعمل الحافات والأشرطة الرقيقة المطرزة³.

3-القرب: القرب ظرف من الجلد لحفظ الماء ، ويفضل صناعتها من جلد كامل من الماعز

¹ _ Hinker , opcit ,p 62.

² _ Creaufmüller, Wolfgang, Völker der sahara mauren and twareg , Linden Museum Stuttgart. Staatliches Museum für Völkerkunde, p 96.

³ _ Bernus _ « the tuareg wanderere of the dezert » swisair gazette ,n° 11,pp20-27.

لأنه يتميز بشحومته وتصير أقل نفاذية وتضيع للماء، وتصنع القربة من جلود التيس ورغم أنه سميك لكنه أقل ليونة وهو عرضة للتمزق بسهولة، وجلود الجديان ناعمة وجرابها صغير، والقرب الجيدة هي المتوسطة الحجم هي ذات سعة تتراوح من 20 و 25 ليتر، ولصناعة القرب يسلخ بعناية كبيرة لتفادي أي ثقب في الجلد وتملح وتنظف الجلد من الوبر، ويفضل الطوارق دباعة القرب بلحاء الجداري، وعندما لا يتمكنون من الحصول عليه يستخدمون لحاء الطلح، يُفرك الجلد المراد تحضيره أولاً على جانب اللحم بمسحوق الطلح ويتم قلبه، ويربط فتحات الأرجل الأربعة وإدخال 2 كجم 2/1 من مسحوق الجداري، ويجب تقليب هذا الجلد المدبوغ بهذا المسحوق بقوة مرة واحدة على الأقل يومياً وتوضع القربة إذا كان الجو باردا بجوار النار أو في الشمس، وتستمر عملية الدباغة بعد 8 إلى 10 أيام في الطقس الحار، و 15 يوماً في الطقس البارد؛ ويمكننا تحديد ذلك من خلال فحص جزء من الجلد والذي يجب أن يكون أبيضاً تماماً، ثم قم بفك غرز القربة وتقليبها وتغسل جيداً بكمية كبيرة من الماء، ثم ثم تترك لتجف في الشمس ثم تطلّى بزبدة الماعز وتلك بها جيداً، وإن لم يراعى الدباغ مقدار الدباغة المشار إليها، فتنتج قربة مضيعة للماء، ولذا فيعالجها الدباغون بعملية بأعواد أفزوا وأوراق مطحونة، وجذر afez'ou أو غصين Casa أو ورقة agerge، وتُصر مؤخرتها وتخز جيداً بأعواد تسمى عند الطوارق بتدمكارت¹ والخرازون يقومون ب إصلاح القرب الممزقة بقطع من الجل asesil، تُخيط على الفتحة بشرائط من الجلد، ثم تُغطى بزبدة الطوارق، وفي الصيف يغلف البدو هذه القرب بالخيش لتبقي محافظة على برودتها ولا تتبخر². (الصورة رقم 2)

4-الشكوة :

ظرف من الجلد لحفظ اللبن أسقية صغار تتخذ من مسك السخلة، وكان العرب قديماً يدبغون جلدها بأن يتركونه لينتن حتى إذا لحن السقاء من قبل ماء يجعلونه فيه، فإذا إنتن ألقوا فيه

¹ _Mounier , Op. Cit, p145.

² -lhote, opcit, p56.

الدباغ فتمعسه صاحبتة وتحلؤه بحجر فتخرجه من الدباغ وتغسله فيحتقن فيه اللبن بأن وتقوم بخرزه بسيور جلدية¹.

تستخدم هذه الحاويات أيضاً لنقل اللبن، وفي نقل الكليلة*، وبعد حلب الماعز يوضع الحليب في الصميل (تانورات) وفي الغد يصب الحليب في جراب "المروب" يشبه القربة لكنها بدون شعر الذي ينزعونه بالرماد، تسمى لدى الطوارق "أنوار والشكوة بالعربية، وتملى الشكوة تانورات تملئ 4/3 من الحليب ثم ينفخ الجراب ويعلق على عمودي الخيمة من خلال حبل ، ثم يحرك ويمخض حتى تخرج الزبدة، ثم يضاف للزبدة التمر وحبوب مطحونة، مع أغصان ثم تطبخ تملأ أوعية جلدية ثم يتم طهيها مع نباتات محليا "أهاينسيس" وتمور مطحونة ، بعضها يستخدم bechna مما يعطيها نكهة يقدرها السكان الأصليون².

5-بطة الدهان: يعرف الطوارق إستخلاص الجبن والدهان والزبدة ويحضرون نوعا من الجبن يسمونه تيكمارين* ويحفظ الطوارق مختلف الدهون في وعاء تسمى "ارها" له شكل مستدير وله سعة من 8 إلى 10 ليتر، يوضع في السفر والترحال ما بين حقوي الجمل، وهناك نوع تسمى تاهيتان كبيرة الحجم لها عنق دائري تسع 25 من 100ل، ونوع آخر تاسجاني جلدة لها فتحة مستطيلة تشد من أغصان الأكاسيا وتكون صناعة الأوعية كالآتي:

يحضر جلد الجمل ليحف من الدهون، ثم يغمس في ماء لثلاث أيام ثم يحك بحجارة من جهة الشعر لتنعيمه ولنتف الشعر والدهون، وينقع الجلد في الماء لمدة 24 ساعة إلى تجويف محفور لهذا الغرض ويتم تصنيع هذه الأداة بجلدة تؤخذ من جلد جنب البعير قطعة غير مدبوغ، فتسوى الجلدة مستديرة ثم تملأ رملا سهلا ثم يضم أطرافها وتخل بخلال ويوكئ عليها

¹ _ أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري ، نفس المرجع السابق ،ص117.

*الكليلة هي جبن يحضره البدو بغلي وطبخ اللبن فوق النار .

² -mounier , opcit,p146.

* -جبن خاثر، يعمدون الى معدة خروف يبسونها ثم يغمسونه في اللبن ويقطعونها قطعاً يغمسونه في اللبن ثم يجفف في أعواد أفزو

ويصبح صالحا.للمزيد أنظر blanguernon ,le hoggar

مقبوضة بحبل وتترك¹ ثم تعلق على أغصان ليجف لأكثر من عشرة أيام تقريباً بعدها تنظف مما بقي من الحصى، يدهن سطحها بمربي التمر مع القمح وتعرض في الشمس، ولأجل صنع هذه العلبة بأقصر مدة يتم الدبغ بالحجارة الرمل مخلوطاً بروث الجمال، وتكفي قطعة جلد كاملة من جلد الجمل لصنع ثلاث أوعية من حافظات الزبدة واحدة صغيرة وإثنين من الحجم الكبير² والبدو يستعينون في كثير من الأحيان بالقرب الكبيرة وأجربة جلدية لنقل الزبدة بدل الجرار، وميزة هذه الأوعية الجلدية بأنها مدبوغة بمواد طبيعية ومطهرة، ويبقى فيه الدهان حاراً³. (الشكل 2)

6- تاسوفرا: كيس دائري ينقل فيه الماء أو الحليب، بعكس القربة لا تحوي شعراً، وهي تصنع من جلدي ماعز، جلد خاص بالجرب، والقطعة الأخرى خاصة بالأهداب، يتم تحضير الجلد مثل المزود ذات سعة من 6 إلى 12 .

7- الدلو: سطل يتكون من جراب جلدي هو وعاء دائري أو أسطوانى مصنوع من جلد قاعدته قطر أصغر من فوهته وله أطراف معقوفة ومخروزة بشكل متين تعلق هذه الجلدة بمجموعة سيور رقيقة، مصنوع بشكل عام من 3 جلود ماعز، ويدبغ مثل القرب، وأغلب البدو يصنعون الدلو من قرب قديمة وتكون أكثر نزع الشعر، إثنان منهم يشكلان الحاوية، والثالث (متين) يوفر أنبوب التدفق، وغالباً ما يكون الدلو في السودان مصنوعاً من جلد البقر في السودان بينما في الهقار فنادر⁴ (أنظر الشكل رقم 3) يتم تعليق الدلو بواسطة دائرة خشبية من حبل الجر (أحميل).

¹ _ ابن منظور، نفس المصدر السابق، ص 735.

² _ Mounier, Op. Cit, p147.

³ - P.jean lethielleux, le mouton dans les tribu nomades presaharienne ,presentation et edition de francisco moscoso garcia, el jardni de la voz 22, madrid, 2022, p.114

⁴ -mounier, opcit, p14.

8-أوعية العسل: ينقل عسل السودان في قارورات من الرق مغلقة بغشاء حلدي ملفوف على الرقبة (عفاص) يلبس عليها وهذه القارورات يتم تصنيعها جنوب الهقار وهي تصنع الأير ، زندر ،كانو يستخدم جلد البقر منزوع الشعر وغير المربوط. تتراوح سعنها من 2 إلى 10 لترات جلد الثور غير مدبوغ ولكنه ينتفون شعره ذو سعة 2لتر¹.

4-4صناعات الجلود الغير مدبوغة:

عرف بدو الهقار تأهيل الجلود الغير مدبوغة (erit) خاصة من جلود البعير والثور ورغم غلظتها لكن كان يتم إصلاحها بالعمل المتتالي بالضرب مما يتطلب جهدا عضليا وتسمى هذه العملية محليا "ottad"². ثم تصنع منه عدة أدوات مثل الحبال والسياط و وكذلك صنعت من الجلود الغير مدبوغة أحواض لشرب الدواب، وصنعت منها حلق وعروات وركائز (جلد مدبوغ) لشد الأدوات ، وذلك لأن الجلود ما دامت لينة فتعمل منها عديد الأشكال.

واستعملت الجلود الغير مدبوغة في عدة مجالات:

أ- الاغلفة: واستعمل القد وهو سير جلدى غير مدبوغ يُقد من جلود سيقان الأبل والبقر ورقابها ويستعمل وهو طرى على كثير من الأدوات الزراعية والمنزلية خصوصا تلك المصنوعة من الخشب حتى يزداد ربطها قوة عندما يجف القد³، ولهذا مكنت هذه الميزات الهقاريين من تبطين لوحات السرج به، وتغليف أدوات النقل الخشبية المحدبة لقتب وأكاف الحمار يدعى محليا "أروكو"⁴، وتستخدم وهي رخوة وتيبس فتصبح مساند مبطنة جيدة وتستخدم الجلود في تغليف الطبول وتكون صلبة فتسمى أغراف⁵.

ب-التثبيت والأربطة:

¹ -Mounier, opcit, p148.

² -foucauld, opcit, p318.

³ -الزليعي، نفس المرجع السابق، ص453.

⁴ -Mounier, opcit, p1973.

⁵ -Foucauld , opcit, p545.

جلد البعير يحتوي سيرا رقيقا ستعمل الطوارق منه سيورا ورباطات قوية هامة كرباطات شداد البعير حيث يحمل عليه الأحمال الثقيلة والقذ هو سير غير مدبوغ فتشد بها الأفتاب والمحاميل وسمى الأدم التي يضم ما بين ظلفتى الرجل وجمع بينهما، ويدخل فيهما بالكر¹ ويطلق الطوارق عليه إسم (أكار) وهي سريحة جلدية قوية عرضها حوالى 2سم تتخذ عادة من رقاب وسيقان الأبل والبقر والأبل.

-**المعالق:** قطع من جلد متينة تضفر بسيور جلدية وتكون مفتوحة لتشد إليها مختلف الأكياس والسياط ذلك الجلد ما دام رطباً فهو لين جدا تعمله كيف تشاء فإذا يبس إشتد وتسمى بالهقار بالركايز²(انظر الشكل رقم4).

ج-**أدوات السقي:** وصنعوا العجلات والنواعير من جلود البقر خاصة فى المناطق الشبه جافة تكتسب هذه جلود الخام صفة صلابة الخشب ومن الصعب فكها أو قطعها.

وصنعت حبال لجبد الماء من الأبار تستخدم في ربط الدلاء تكون مصنوعة دائماً في الهقار من خيوط النخيل ولها ميزة لكونها صلبة للغاية، وغير مكلفة، ولكنها تبلى بسرعة ولا تتحمل الرطوبة لذلك يتم إستبدالها بحبال مصنوعة من الجلد أو شعر الماعز، وتصنع الحبال من الجلد بأطوال مختلفة بطريقة القلاد(الضفر) خاصة الحبال الملحقة بالدلاء(الجباد) التي تصنع بالطريقة التالية :

يُنقع الجلد ثم تقطع من جلد الثور، وهي تحتاج إلى 6سيور عرض (25سم) ثم تلف في بعضهما بقضيين خشبيين، ويتم الحصول على حبل 2 من 3 أوتار، ثم نقوم بلف شريط ثالث في الأخدود الحلزوني المتبقي ونتركه يجف، وتنتهي العملية أخيراً بضربه بعصا قوية ويشحم بزبدة الماعز ثم يترك لتجف ثم تضرب بمطرقة كبيرة لتلينها ولصنع واحدة من هذه الحبل، يستلزم صناعة هذا الجباد قطعة كاملة من جلد البقر³.

¹إبن منظور، نفس المرجع السابق، ص136.

² _Foucauld, opcit, p1633.

³ _Mounier , Op. Cit , p167.

ويستعملون في نهاية هذا الحبل ثلاث سيور مخططة تتخذ شكلا مخروطيا ويلوي يثنى ويثلاث¹(أنظر الشكل 5).

ويستعملون حبالا مصنوع من مادة نباتية أو من الجلد ، وهذا الحبل هو جزء من مصيدة شعاعية لصيد الغزلان تسمى محليا²tetunba ،يصنعون من الجلد آلة "الكر" وتصنع من جلد البعير لصعود ولرقى النخل ويعتمدون عليه في رأس النخلة على ثقة من قوته³.

د-أدوات الرعي والحمولات:

-الحوض: صنع البدو أحواض لشرب دوابهم من الأغنام من قطعة من جلد غير مدبوغة tāfaraout تستقر على الأرض، حوافها مرفوعة ومدعومة بالحجارة أو الرمل ، أو أنها كذلك تُخيط في طوق وتوضع على قاعدة محمولة مصنوعة من عصي مُجمعة⁴.

-السياط:

واعتبرت صنعتها عملا تتطلب جهدا كبيرا وتمثل صناعة السوط إنموذجا لصناعة الجلود غير مدبوغة عند الطوارق، فقد كانت العرب قديما يُسوون سيوطهم من جلد الأبل التي لم تدبغ ويأخذون الشريحة العريضة فيقطعون منها سيورا عراضا، ويدفنونها في الثرى فإذا نديت، ولانت جعلوا منها أربع قوى ثم فتلوها ثم علقوها في شعبي خشبة فتقلها من الأرض ممدودة وقد أثلوها حتى تيبس⁵،وهي نفس طريقة صنع السياط عند الطوارق ويسمونه محليا alekkod، وهم يصنعونه من عدة شرائح من البقر أو جلد المها والتي تقتل ثم تنعم

¹ -Foucauld , opcit,p1044.

² -Mounier,opcit,p162.

³ _ التوجيهي ، نفس المرجع السابق، ص 52.

⁴ _Foucauld ,Op. Cit ,p336.

⁵ _ الفيرزوبادي، تاج العروس، تحقيق عبدالمعطي الطهطاوي، الجزء 31،"نعل حلكم"،بيروت،2000، ص 55.

بضربها بحجارة ،عادةً ما تتم هذه العملية في ثلاثة أيام وسيط الطوارق عالية الجودة بطول 80سم إلى 1 متر،وغالبًا ما تزين السوط بالعديد من الشرائط¹.

ه-حقائب التخزين:

1-كيس أقرأ: عبارة عن كيس جلدي كبير شكل جلد واحد مدبوغ أو من الموفلون أو الظباء أو من نفس الحجم وهي ذات سعة نصف حمل الجمل (90 لتر) يبلل جلدها، ثم يملؤه الطوارق بالرمل الذي يحزمونه بقوة ويرصونه، ويوضع فيها الذرة القمح الكاولين(لتبييض الجدران) وما إلى ذلك²(أنظر الصورة رقم2).

2-حقيبة تامهيت :

جلد متوسطة الحجم من جلد واحد سواء من الماعز أو الأغنام أو الأغنام الصغيرة وبالعربية تسمى الطيبة،وفي هذه الحقيبة يضع الطوارق الطعام أثناء الرحلات(قمح مطحون ، الذرةالمطحونة) ويتم وضعها عبر كليتي الجمل السرج كما أنها تستخدم للنقل على ظهر الحمار أو البذور أو المواد المختلفة.

3-حقيبة أميتال:

حقيبة جلد متوسطة الحجم تصنع من جلد مدبوغ من الماعز أو الأغنام أو الأغنام الصغيرة أو حيوان من نفس الحجم(تصنع فقط في Agades من جلود الفيلاي بسعة عشرة لترات؛ يتم شراء هذه الحقائب من قبل القوافل التي تصل إلى الهقار وإنها مليئة بالدخن وتوضع تحت مؤخرة القتب وعلى ظهور الإبل ،وتشد بالحبال التي تربط الأحمال وهي معلقة على الجانبين، وهذه الحمولة لا توضع مباشرة بل تفرش الوسائد على الرجل التي تجنب الحيوانات من الإصابة عند الوصول، وعند شراء هذه الحقائب تقوم النسوة بالهقار بتزيين أطراف هذه

¹ -Mounier ,Op. Cit, p167.

² _ mounier,opcit,p149.

الحقائب مزينة بشراشيف والأهداب، ويحفظ البدو في قطع من جلود مدبوغة من الإبل أو البقر أو الزرافة أو بعض أنواع جلود الظباء مختلف اللحوم المجففة أو الجبن أو الدهون الحيوانية¹.

ويمكن القول أن هذه الأدوات سواء المصنوعات الجلدية المدبوغة أو الغير مدبوغة هي من أفادت بدو وأهالي الهقار بالصحراء الوسطى في إعمار المنطقة زراعيًا ورعويًا مثل الحبال والمراكب والأحواض والمحارم، ومن جهة أخرى كانت هذه الأدوات تلقى عناية كبيرة بحفظها عند إستخدامها من قبل تنظيفها ودهنها بين الحين والآخر، وبتعليقها على أوتاد الخيم أو معالق أو مع طيها بالطريقة المناسبة، ورغم إجادة البدو والأهالي في تصنيع هذه الأدوات الجلدية وكذلك نساءهم لأعمال الجلد وخياطة الحقائب وصنع الخيم وأشياء صغيرة إلا أنه هذه الصنائع لم تكن ترقى لصنائع وأدوات أخرى يصنعها فئات متخصصة في الحرف المسمين "الأينضن"².

5- الإنتاج الصناعي:

وهي سائر المنتجات المطرزة والراقية الصنع من السروج ومن التروس وإختص بصنعها جماعات تعرف بإنبيضن ولمعلم بالعربية، وأغلبهم كانوا حدادين ،ولقد بلغ تصنيع الجلود على أيدي الصناع مكانة عظيمة حيث أسهم هؤلاء المعلمين الطوارق بصنع جملة من منتجات الجلد المحكمة الصنع من مُعدات الجمال من الأسرجة والأحزمة ،وأغلفة الأسلحة من الأغمدة والحمالات للسيوف ،والنعال الجلدية والطبول الجلدية وصناعة تلك التروس التي ضربت بها المثل في دقة الصنعة³، والتي يحليها الصانع بالنقوش عادة ما تكون رموزًا بالتفيناغ ،والتي كانت في الغالب من عمل نساء الحرفيين خاصة الفنون التزينية للسروج وتزيين مختلف المواد الجلدية (الحقائب الجلدية، مقاليد الجمال ، السراويل وأربطة التعليق،

¹ -Mounier, Op. Cit,p 150.

² _ Catherine hinker , "identite et metier des inaden" , etude essais, l'homme169,2004,p141.

³ _ عبدالسلام، بوشارب، الهقار أمجاد وأنجاد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، روية، الجزائر، 1995، ص 66.

محافظ ، حاملي تميمة ، الخ)¹، وإن هؤلاء الصناع كانت لهم أدوات من الكير والمطارق ولهم ورش خاصة بهم ،ويتركزون بجنوب الهقار من بلاد السودان.

5-1 العمل الجلدي:

العمل الجلدي عند الطوارق يسمى بأشغال وأخدام (طوارق الغرب) وتتميزت الاعمال الجلدية بأنها وظيفية وجمالية ،فالصانع يفاضل بإختيار نوعيات الجلد فيجعل السميك منه لعمل النعال والحمايل وأغلفة الآلات. أما الجلود التي من ظاهرها لين (الجهة المبطن بالصوف) فجعلها الصانع كحرز للأوراق كحرز للأوراق النفيسية كالقرآن الكريم وذلك لقساقتها². وتعددت أعمال ومنتجات الجلد في الهقار شملت حقائب السرج المستعملة كخرج وحقائب خاصة بالمرأة، والوسائد ،ومحافظ ،والعمل الجلدي عند الطوارق يظهر في جانبه التصنيعي (تفصيل الوحدات والأهداب) وفي جوانب فنية حيث كانت عمل تلك العناصر المزينة على الجلد يتم مباشرة بأساليب أكثر دقة محفورة بإسلوب الحز وهذا الأسلوب هو فن طارقي أصيل قديم يشبه الفن الفلاني³.

ويظهر العمل الجلدي عند الصناع في تزيين هذه المنتجات الجلدية ،ولا يستطيع المرء أن يمنع نفسه من الإعجاب والأهتمام بصانع الجلود الطارقي، وقد برز بالناحية الفنية والزخرفية في عمله حيث يزين منتجاته الجلدية من الحقائب بشريط يبلغ عرضه حوالي عشرين سم ، وغالبًا ما يتم تقسيمه إلى مستطيلات بألوان مختلفة، يوجد داخل كل منها تصميمات هندسية (خطوط وشيفرون وأحيانًا رقعة شطرنج)، وتسمى بالطارقية (أسنغال) وهي ذات ثراء متفاوت وقيمة فنية،إنها مصنوعة يدويًا بنوع من الأسلوب (غالبًا ما يكون طرف السكين مغموسًا في الصبغة).

¹ _ Killialn c , « l'art des touareg », la ranaissance , n711, 1934,pp147.169.

² -shoup, Op. Cit, p132

³ _Killian , Op. Cit, p153.

وتظهر المنتوجات الأكياس وبعض الوسائد بشكل أكثر ثراء حيث يُغطى الجلد بأشكال هندسية ، ومستطيلات ، ومربعات ، ومعينات ، ومثلثات ، مصبوغة على أسطح باللون الأحمر أو الأسود، وقد يزيل الحرفي أرضية الجلد بخدشها وهذا القطع الذي يكون في إتجاه متباعد مما ينشأ عنه شكل رقع شطرنجية¹.

لقد تطور العمل على الجلود عند الطوارق فكانت الحقائق لها حليات وتنقش فيها نوع من زخرف صليبي أو قلادة (مكونا من قطع من جلد أخضر يلصق على الجلد)، وهذا العنصر يشغل مساحة هامة وهذه الزينة تكون على الحقائق الكبيرة تاهيها وموجودة خاصة في بلدات الطوارق الجنوبية كثيرا ويدل على نضج فني².

5-2 تقنيات التزيين:

التزيين على الجلد تقني للغاية وتتوعد حيث الكشط والاضافة كلها من فنون الزخرفة على الجلد عند الطوارق، ومن هذه التقنيات المستعملة لدى الصناع:

أولا-تقنية الطابع: هي رسوم مطبوعة على آلة حديدية ثم تضرب تلك الآلة على الجلد فتتطبع هاته الرسوم ويستعملونه بشرط أن يكون مبللا³، ومن جملة هذه الأختام :

1-مرشم نكت:يحتوي هذا المرشم على نقطة داخل دائرة وتستعمل لطباعة رسومات صغيرة تكون عليها خطوط مستقيمة أو خطوط منقطة في مثلث.

2-مرشم حاشي: صليب ذو خط عادي يعطي تزيينات متعرجة ولهذا يسمى في بعض المناطق زيق زاق.

¹ -mounier, opcit,p143.

² - creyaufumller wolfagang,opcit,p120.

³ _ عنايات المهدي، فن الزخرفة على الجلد، دار ابن سينا، القاهرة، 1998، ص 97.

3-مرشم زرار: عبارة عن نقطة صغيرة تشبه رمز عين النملة يستعملها حدادو الطوارق **4-**
مرشم تكلت ناهنض: وهي عبارة عن قطعة معدنية أسطوانية الشكل تحمل في قمته زخارف
مخططة على هيئة مثلث متساوي الأضلاع في كل زاوية خطين أفقيين وهذا الشكل يشبه
آثار مشية الغزال يسمى ب"تكلت ناهنض" والغزال يسمى بالطارقة "ناهنض" ومنه أخذت
الزخرفة التسمية وفيه مثلثات ويعبر عن أثر المشي¹. (أنظر الشكل رقم 6)

ثانيا تقنية الحفر:

يعمل الصانع بإستعمال على عمل شرشف ولأجل تفريغ وحفر على الجلد خاصة في أغمدة
السكاكين، بإستخدام مثقبين، ويستعين الصانع بأجزاء من الورق المقوي لنحت وإضافة
أنماط فنية في هذه الأغمدة².

وكل التحف الجلدية للطوارق تزين بواسطة الأهداب الجلدية ويتم زخرفتها بإستعمال سكين
حاد ويعمل الصانع عليها زخارف محزوزة أو مفرغة وبتصاميم متقلبة من مثلثات ودوائر
وخطوط في مساحات ضيقة بأسلوب ذكي متناسق مع زخرف بدن التحفة³ (أنظر الصورة 4).

ثالثا التطعيم:

قطع مضافة للحرفي تنقش عليه رسومات ثم تجمع القطع المزخرفة لتخاط على التحف لتزين
بها أسطح الحقيبة الحمراء، وتبرز هذه الرقاقات المزينة بأشكال هندسية ذات أشكال مربعة
ومستطيلة ودوائر جلدية مشكلة من الجلد الأخضر ولون مختلف عن لون الخلفية، ولا
تلتصق مباشرة هذه الرقاقات إلا بحفر جزء قليل من أرضية الجلد ، وهذا لجعل اللصق

¹ _ بن عبدالله نور الدين، الحلي التقليدية لطوارق الهقار ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ،قسم الثقافة الشعبية- جامعة تلمسان ، 2000-2001 ص 95.

² -Mounier, opcit, 164.

³ _Wilferd d.hamply ,culture of areas of nigeria , filed museume of natural history ,vol xxi ,no

3chicago ,1893,p420.

محكما¹، وعادة ما يكون هذا الطرز غالبا مع تفريغ بأشكال هندسية على أرضية حمراء والطرز بالجلود الخضراء وخيوط الحرير على حقائب الجبيرة وتاهيهات وهي تنتشر عادة فقط في المستوطنات الكبيرة من السودان².

5-3 تقنيات الصناعة الجلدية:

الأدوات الجلدية متقنة جدا تطلبت من الحرفي أن يكون ذا دراية بالمواد الكيماوية والمواد التي تزخرف النحت وتجعله زاهيا³، والصانع الحقيقي حينما يعرف استعمال الأدوات والمواد بطريقة تساعده على دقة منتوجاته، حيث كان الصانع يستعمل عدة أدوات ويعمل على الجلد لساعات كثيرة لإظهار أنماط سطحه، وتفريغه ونقشه . حيث نحت الجلود هو نوع من أنواع الصناعة، والصناع على الجلد لهم تقنيات استعماله فأجريد هو استعمال شفرة السكين بإتجاه عمودي و"لمسيد" هي استعمال شفرة السكين بإتجاه مائلة حيث تشكل زاوية حادة فضلا عن تقنية "تشفار" بإستعمال شفرة السكين بزاوية قدرها أربعون درجة⁴ ومن أساسيات الصناعة الجلدية توفير لأصبغة الخضراء (أمازار) الذي كان استعماله شائع كثيرا في أعمال الجلود والسروج المسماة تامزك وأيضا تظهر تقنيات الصناعة والزخرفة في صنع بعض المنتوجات من حقائب السرج تدعى "أباون" حيث يتطلب صنعه مجهودا لزخارفه المتنوعة والدقيقة ، حيث مواضع تحلى بالصباغة رقائق سوداء تنفذ بالسكين، بعض المطرارات تضاف وأهداب منقوشة لذا فإنه لا ينتهي منه إلا في شهر ،ولا يصنعه إلا القلة، لأنه يعتمد بشكل كبير على الجانب الفني والجمالي ،ويتضح أن مثل هاته الأعمال تعتمد على المهارة اليدوية لذا فإن الصناع يؤلون ويضعون القدرة اليدوية فوق كل إعتبار (amédis n afus)

¹ _ Foureau (lamy) ,esquisse ethnographique touareg l'air ,mission scientifique , tome ii , paris , p891.

² -وعلى النقيض عند الحرفيين المور ففي كثير من الأحيان يقومون بصبغ أرضية المنتجات الجلدية بالألوان البيضاء أو صفراء مما ينشأ عنه تباين متعدد الألوان ، للمزيد أنظر . creyaufumiller wolfagang ,Op.Cit,p67.

³ _Bissuelle(h) ,les touareg de l'ouest , adolphe jourdan ,alger, 1888 , p166.

⁴ _gabus , au sahara art et symboles , baconnier , neuchatel ,1958 , p318.

،والطوارق يطلقون على بعض المنتجات المتقنة الصنعة عدة أسماء منها " تاهوري" التي تعني عمل حسن أو عظيم وهذا يدل على أن لهم تذوق خاص في الأعمال الفنية¹.

4-5 أهم الرموز التزيينية: الزخرفة في الهقار بسيطة تقوم على عناصر هندسية ،ولا يستعمل الزخارف النباتية ، ترقيعات على وخطوط بأصباغ وتحاكي الزخرفة طوارق إيلوميدان ، وتتلاقى الزخرفة في الهقار بالفن البربري القبائل، ولقد كان لموقع الأهقار الرابط بين الشمال والجنوب أن إلتقت العناصر الزخرفية المغربية والسودانية فالرسوم الهندسية كالمثلث والدوائر ورموز الشطرنج والمثلث المتساوي الأضلاع والدامة ونار إبليس ، والخطوط المنعرجة وعنصر ثقب المفتاح ، وهذه الأشكال قد وجدت منذ عصر حجرية قديمة على المغارات والرسومات الصخرية بالطاسيلي وأهم المواضيع التي أشارت إليها هذه الرموز: الحيوانات، الرموز الجنسية/ ونجد رسومات تذكر بالشمس ، النجوم، وكذلك معتقدات الطوارق الدينية ، ويمكننا القول بأن هذه الرموز الأكثر إستعمالا في هذا الفن متعلقة بالعبادات لما قبل الإسلام حيث نجد رمز الصليب والنجمة السداسية حاضرة بقوة ليس في مجال العمل الجلدي بل أيضا في الأعمال الخشبية والمعدنية ويمكن القول أن الحرفيين بتنفيذ هذه الرموز قد وسموا حضارة الطوارق بميسم مكين*، ومن الجفاء إعتبار الرمز من البدائية حيث هذه الرموز لها تفسيرات متعلقة في طريقة العيش البدوية التقليدية لشعب الطوارق التي تتطلب فيها تجارة القوافل أو رحلات الصيد توجيهها جيدا في التضاريس ومن جهة أخرى كانت الزخارف على الجلود لها معان جمالية ورمزية ووقائية فأغلب الأدوات الجلدية كالسروج والطبول والتروس يتم تزيينها بزينة وظيفية وهي نوع من الرموز السحرية مما يؤكد أن هؤلاء الأشخاص يتمتعون بخبرة ليست تقنية فحسب وإنما سحرية أيضا²، ومن أهم الرموز الموجودة على الأدوات الجلدية:

¹ -catherine hinker , Du beau à l'identité. Représentations touarègues de l'expression esthétique, Revue semestrielle d'anthropologie des techniques, ehessé , paris ,p139.

²عبدالله أركيبي، نفس المرجع السابق، 117. *لقد كان طوارق الهقار يستعملون الرسم على الحيوانات فكل قبيلة من الهقار لها وسمها الخاص .

أثار سير الحيوانات: حافر الغزال، أرجل الذئب، أرجل الضبع، الفراشة، العظاية ،
والوعل(طائر الليل)¹.

✓ المثلث: يشير ويرمز عند الطوارق المثلث إلى المرأة الجالسة

✓ قرص الشمس: يستعمل قرص الشمس بكثرة على الجلود ويمكن أن هذا الرمز لآثار
عبادة الشمس للسكان البربر وهي العبادة الأولى لسكان شمال إفريقيا².

✓ النجمة: تستعمل النجمة السداسية نجمة دافيد (النبي داوود) في فنون تزيين الجلد
وتتجلى وظيفتها في الوقاية من العين الشريرة ويحمون أنفسهم من العين الشريرة
بالاعتماد على بعض العادات القديمة كتعليق التمايم وبعض التزيينات الرمزية
المرسومة على الجلد كطلسم القلادة ذات الأبعاد الطقسية وطلسم النعل "صنادل
النبي" التي تعمل لأجل التبرك³.

✓ الصليب: يتنوع وجود الصلبان على الأدوات الجلدية لاسيما الصليب المعقوف وهو
مستعمل بنوعه الأصيل على السروج وعلى الخناجر .

✓ الخط المنعرج: يستعمل الخط المنعرج (الزيق زاق) بكثرة وهذا شكل أصيل بالصحراء
وجد على سقوف البيوت الصحراوية وهو طراز جزائري*.

ثقب المفتاح:

هو رمز منتشر على نطاق واسع عند الطوارق وهو يتواجد في منطقة توات(عنصر قديم
جدا)وأنتقل للهقار مما يعني أن الهقار كان محط لترحال كثير من القبائل التي نزلت به

¹ -gabus ,opcit,p191.

² -Killian ,Op. Cit,p154.

³ - sotkiewics, "amuelets and talisman of the centrale sahara tuareg art in contexte of magical and mystical ",the art of the orient studies on the art of asia ,tom3(2014),p235.

*يرى الأستاذ محمد الطيب عقاب بأن الشكل المنعرج(المشرشب)هو شكل محلي زخرفي جزائري وجد في أغلب زخرفة أعلى
الجدران(الطنف).

سواء من القبائل البربرية والعربية وإنضمت في تكوينهم وإستقرت معهم لأن الحركات البربرية والهجرات من الشمال إلى الجنوب كانت موجودة موجودة¹. (أنظر الشكل رقم 7).

5-5 نماذج عن الصناعات الطارقية:

1-الأدوات الحربية:

يختص المحاربين في الهقار بتروس جلدية تعرف بالعربية بالدرقة ومحليا آرار ترس مصنوع من الظباء المهر (إينهر) ويصنعه طوارق الغرب بنوع من جلد يسمى الورك، وهذه الأنواع من جلود الوحوش ينطعونها في ألبان لمدة حتى تزداد قوة ومتانة وتظهر الدقة في إختيارهم اللبنة فالجلد يشرب اللبن وتصيره سميكاً وغير نافذ وهي ناصعة البياض، ويمكن القول أن الدروع الجيدة يقتنيها الطوارق من الأير لأنه يتطلب صناعة دقيقة من الدبغ والتنظيف، ثم يمدد وتجفيف على إطار خشبي مثبت في الأرض بعد يومين يزيلون القطعة والحداد يصنع له مقابض وينحته بإستعمال إزميل ويتم تزيين الدرع بقطع قماش حمراء وبقطع من النحاس² بتزيينات تتخذ أشكال هندسية من صلبان ودوائر ونبوءات خماسية ، الرمزية لتيفيناغ وتعني هذه الزخارف أرجل طائر الحبار كرمزية وتسمى عند الطوارق agais ، وتتسب إلى بعض الجلود قوي غامضة والمحارب يستمد قوته من لبسه جلد هذا الحيوان والتروس بالهقار ذات بياض ناصع وتسمى هذا النوع ب³ afrar، وفي وسط الدرع توجد تصاميم منفذة بالنقش وأخرى مسامير تتخذ أشكالاً تبين أن لها علاقة بالرمزية الخطية لتيفيناغ ، فلها مضامين طقوسية لأبعاد الشرور عن هذا المحارب⁴، وإشتهر الطوارق بسيوف التاكوبة ذات النصال الحادة، ويجعلون لها أغمدة من قطع جلد تدخل ضمن الغمد، وعند نقلها توضع في أظرفة

¹ - Killian, Op. Cit, p154.

² - Nicolas (Français) , « l'industrie du production chez les touareg de l'azawagh » , hesperis, tome xxv 1938 , p80.

³ - foucauld, opcit, p400.

⁴ - Mercadier G, « Note sur le bouclier des Touareg », In: La Terre et La Vie, Revue d'Histoire naturelle, tome 5, n°1, 1935. pp. 36-37.

جلدية(نجاد) تعرف محليا "إقاروي" تقد لها جعبة من جلد الثور تكون بنفس مقاس السيف، ثم يرققون قطع صغيرة من الجلد تأخذ أشكالا هندسية وشراشيف أي أن إزاره من الجلد المرقق من جلد الماعز الذي يلبس ظاهرا وخلته جلد الذي يبطن به من جلد الثور¹، وتكون مطرزة ومتقنة الصنع "ونادر ما توجد صناعته بالهقار بل هو خاص فقط بالصناع من كيل غرس، ولا يمتلكها إلا نبلاء الهقار وأغنياء من فئة الأيمغاد ويستعملونه في الاحتفالات وهذه الحمالة تقايض في الهقار بحمل²(أنظر الصورة 5).

وتتميز محاربو طوارق الأهقار بنوع من الحمائل الجلدية التي تلتصق تحت إبط المحارب، وهي حلية ووشاح على شكل صليبي يختص بها زعماء العشائر والأرستقراطية يلبسونها لأيام الحرب لكن بقيت رمزيته بحيث لا تزال القبائل المسالمة تلبسه، وتحتفل بأيام وانتصارات الماضي وتتحدد الرتبة والحالة الاجتماعية من لبيه³.

2- **النعال:** ينتعل طوارق الهقار عدة أحذية وتأتيهم من كافة المراكز المجاورة وكانت تصنع النعال المتينة حسب جودة الجلود والطوارق يختارون جلود الظباء في الدرجة الأولى ثم جلد الجمل ينتج نعال رديئة لكن قاسية ومتينة ثم تأتي في الدرجة الأخيرة كل من جلود الماعز وجلود البقر، وتبدأ صناعة بلغة إيغتمين من قطعة من الجلد غليظة كجلد الجمل وتغلف بجلد الماعز أو الخروف (الفيلاي)، ويشدها في الوسط بشراك "تنهري" وهو السير الجلدي الذي يغرز داخل النعل ومن خلاله يتم تثبيت أصبع القدم (أنظر الشكل 8) وهذه البلغة هونوع من الأحذية الفاخرة عند قبائل بدو إموهاغ وهو مستعمل عند سكان الواحات التي تجاور مناطق التوارق وإستعمال هذا الحذاء كان تقريبا موجهًا للجانب الزخرفي أو الرفاهي

¹ _Bissuelle(h) ,les touareg de l'ouest , adolphe jourdan ,alger, 1888 , p166.

² -mounier,opcit,p164.

³ _ Jennifer romion, « Des egyptiens portant un baudriier libyen » , ENiM 4,2011 ,PP91-102.

بحكم خفة هذا النعل، وجلبه من المناطق المجاورة بحيث يتم شراؤه من الأسواق أغاديس وتومبكتو¹.

وهناك نعل ايمركدن له شكل مثلث، ويتم صناعته من عدة طبقات من الجلد تتراوح من سبع طبقات إلى ثمانية، وهذا النعل يكون موجهًا للدور الوظيفي بحكم أنه يستعمل للسير في الأراضي الصخرية الوعرة والجبال، وهناك نوع ينتعله سكان الهقار وتسمى تقديت وهي تصنع من قطعة واحدة من الجلد ويحمي الأصابع بفأض جلدة وتصنعها المرأة في مضارب الهقار وتزين عليها زخارف تسمى محليا gasnem وهي مستوحاة من زخارف الرسومات الصخرية القديمة².

إن الصنادل المستخدمة بشكل شائع هي tifedilin وهي مصنوعة من قبل طوارق الأير والأفوغاس وهو صندل ذو أطراف مطوية قليلا على نفسه (صندل مصنوع من قطعة واحدة من الجلد والتي تطوى في نهاية القدم لحمايته) وعادة ما تكون قطعة الجلد المستخدمة من جلود البقر وتسمى هذه الصنادل بالهقار tegourga وهذه النعال هي مصنوعة من قبل نساء وأهالي الهقار.

وأما إفكلين فهو صندل خشن مصنوع من عدة قطع قديمة مخططة تقريبا من طبقات من الجلد تتراوح من سبع طبقات إلى ثمانية، وتكون هذه الأخيرة ملتصقة ببعضهما، وتكون مفصلة على شكل مستطيل، ونجد أن النقاط الأمامية للنعل تكون بارزة أحيانا على حسب الشكل المرغوب فيه، وهناك شريط طويل من جلد الماعز مثبت من الأمام قرب الأبهام يمر داخل حلقتين من الجلد موجودتين على الجانبين، هذا الجلد يكون من جلد الماعز أو الخروف أو جلود الأروية المدبوغة، وقد يتم إستغلال مادة الجلد فيصنع من بقايا جلود الحقائق البالية أو من جلود الخيام البالية، هذا النعل يكون موجهًا للدور الوظيفي بحكم أنه

¹-bourgeot, « costume masculin des kel ahaggar », *libyca*, tome vii, crape, 1969, p369.

² - ibid, p370.

يستعمل في الأراضي الصخرية الوعرة والجبال وفي السنوات الأخيرة ظهر بالهقار نوع من الأحذية "صباط" وهو تنتشر صناعته بالوحدات الشمالية من تيديكلت واقليم توات ويمكن الإشارة أن فرسان الهقار لا يستعملون الخفاف الطويلة بل يقتصرون لصعود المهاري على النعال الرقيقة (البلغة)¹. وتتقن نساء الهقار صناعة هذا النعال.

3- أدوات حفظ الأغراض المحافظ وأدوات الزينة:

لقد طور الصناع بالهقار تصنيع هذه الحقائق بأشكال وأحجام متنوعة من حقائق خاصة بنقل الأدوات أو الخاصة لنقل أغراضهم في السفر والترحال ويهيئ فيها متاع السفر ولوازمه ف "تيركت" يضع فيه ثيابه فيها، وأيضا يضع فيه بعض الأدوات كالمنقاش لأصلاح نعله أو لجامه الذي يهترئ .

وما ميز صناعتها أنها بشكل كبير وصغير بنفس الزينة وتتخذ من عدة جلود (الأغنام، الماعز، الغزال) وجلد مدبوغ بعدة مواد تاكات وأوراق التامات وتنتهي في غضون 10 أيام، وتصنع الحقيبة جلود مخاطة حيث تزداد بين كل قطعتي جلد بقطعة وخرقة فتتسع (7 قطع)، وتجعل لها فوهة التي تنزلق بأسفلها شريط جلدي مدلاة عليها لغلقتها وعادة ما تغلق هذه الحقائق بأقفال وكانت هذه الأقفال على حد سواء نفعية وزخرفية يتم إستخدامها لأغلاق حقائق الطوارق الجلدية².

إباون: حقيبة توضع فيها السكر وتعلق على قربوس الجمل وتتدلى منها أهداب وتحتاج لصناعتها حوالي 5 قطع من جلد الماعز .

¹ -Mounier,Op. Cit,p153.

² -Hinker,Op.Cit,p27.

✓ **تاشكوات:** حقيبة راقية الصنع والزخرفة فالرجل يعلقها على الراحلة يستعملها في أيام الاحتفالات (زيارة ، إحتفال أهال ، الزواج) ولا يضع فيها الرجل إلا نفيس متاعه ، وتتطلب صنعها 4 قطع جلود¹.

الجبيرة: تصنع حقائب الكبيرة للسرّج "الجبيرة" وتقد كُخرج وينزلق عليها طية ذات شكل مربع تصنع في أغاديس مزينة ومطرزة بدقة يضع فيها البدو الرجل ثيابهم ، وتقلب من الجهة الأخرى (حتى لا تتأثر الواجهة المزخرفة) وتبقى جاهزة لأيام العرض.

✓ **تاهيئات** وهي حقيبة كبيرة الحجم تحمل هذه الحقيبة الكبيرة من جانبها زخرفة غنية بزخارف متنوعة للغاية مأخوذة من Ioullemmeden. فقط نساء معلمين قادرات على القيام بذلك ؛ يحتاجون إلى حوالي عشرة جلود، ولقيمتها تبادل حقيبتين منها بجمل واحد، أثناء السفر والترحال تستعملها المرأة لتضع فيها الأغراض وتعلق على السرج². (الشكل رقم 9).

✓ **الجرفاء** هي حقيبة بدون زخرفة ، مربعة أو مستطيلة ، حمراء بشكل عام مصنوعة من 4 جلود وتقوم مقام الجلل فوق الدابة والبردعة، تضع فيها امرأة الطوارق أشياء أقل قيمة وتستعمل المرأة كذلك حقيبة تاباونت والأدابون هما حقيبتا سفر تضع فيها النساء أشياء صغيرة: إبر ، خيوط ، مطرقة سكر .

4-المحافظ: تنوعت محافظ للتبغ ولحفظ النقود ، ولوضع الأبروأغلب هاته المحافظ كانت شائعة الاستعمال لدى طوارق الجنوب، ويستعمل بالهقار جريب صغير لحمل الأبرة والخيط ويسميه بأملوكن وأما حقيبة أرمدن التي تشتهر بإسمها العربي "منقش" يجعلها الصانع في قراب جلدي وتكون تحتوي دائما على الملقط الشوكي وشفرة مسنونة، ومخرز ويعلقها الرجل في عنقه بخيط جلدي، وكذلك يحفظ الكحل في سبط والكحل هو حجر الأثمد يستعمل لتكحيل

¹ -Mounier, Op. Cit, p149.

² -Nicolas, tamesna touareg de l ouest kel dinnek , mdcccl, paris, p167.

العيون ويحفظ في وعاء الذي يصنع من قضيب قصب السكر بعد أن يفرغ ويجوف ويغشي بالسيور الجلدية¹.

-**طرايلت:** محفظة من جلد تعلق بحبل ذات لون أسود ومطرزة بخياطة خضراء تحوي عدة جيوب: التبغ والكحل والمرود، يصنعه المعلمين في الهقار من جلد ماعز، وأصل هذه المحافظ تتواجد عند قبائل كيل غرس وإيلوميدان².

وهناك محفظة توضع في رقبتة معلقة من خيط جلدي تدعى تيرا قطعة مثلثة تحوي إما أوراق رقي ومواد سحرية المرضي من كيل السوف³. ويضع الطوارق هذه الحروز (الكتاب) في حمالات من الجلد تأخذ شكلا مربعا ويكون أسفلها مزينا بسيور ، صغيرة ومتوسطة الحجم أرفيعة للغاية وتستخدم لتعليق قلادات أو مغلفات التعويذات أو تعليق حوافظ الأوراق، أكياس السرج وأشياء صغيرة للاستخدام اليومي، وهي تتكون من إثني عشر أو خمسة عشر ضفائر منفصلة وسيور أخرى تأخذ شكل شريط مسطح مع سيور أخرى سوداء اللون، تضفر جميع هذه السيور والأسم العام لهذا الحزام بالطارقية (تشيجونين)⁴.

ويتم إرفاق أحد طرفي جميع الأشياء الجلدية (الجرب، والحقائب المختلفة) بحبال وتعلق بها على جانبي الجمل، ويعرف معاليق، ونجد في هذه الحقائب عدة وأغراض للمسافرين (لباس، لحم مجفف، جبن) وتحوي حقيبة أرمدان على مخراز منقاش ليصلح أدواته من اللجام ونعاله وبدون حقيبة أرمدان يصبح السفر صعبا⁵.

وأما الأدوات الخفيفة (البنادق، أطباق النحاس) فيتم تعليقها فوق الراحلة بواسطة نسعات تسمى محليا "تيميترك"، وهي تصنع من حبال رقيقة متعددة من الجلد ملونة تفتح بزر وزرة أخرى مع فتحة تسمح بالفتح وإغلاقها وتتدلى منها الحواشي والأخمال متعددة خاصة في أداة

¹-الحاج التومي سعيديان، نفس المرجع السابق، ص137.

²-mounier, opcit, p164.

³-claude blanguernon, opcit, p112.

⁴-foureau lamy, esquisse ethnographique touareg l'air ,mission scientifique ,tome 2, paris, masson, 1905, p892.

⁵-Lhote, opcit, p65.

الخزامة التي تتدلى منها هذه الأحبله وتعطيها جمالية ولصنع هذه الحميلة يحتاج إلى مقدار قطعتين كاملتين من جلد الماعز أو الغزال¹.

6-التبادل الاقتصادي والخدمات داخل النظام القبلي لطوارق الهقار:

وبحكم أن الأيموهاغ هم من فئة المحاربين فإنهم لم يُقبلوا على الحرف اليدوية التي كانت يعملها المحتقرين من التابعين الأيمغاد، وهم كانوا مستقلين لا ينتميان إلى هذا المجتمع من حيث البنية القبلية بل تلتصقان بإحداها وينتسبون إليها في إطار علاقات زبونية وحمائية وتتمتع باستقلال إقتصادي عن التجمع القبلي المحسوبة عليه².

والصناع سواء الذين يعيشون مُستقرين بالقرب من الواحات أو في القصور أو البعض الآخرين الذين يكونون في ترحال دائم مع القبائل الرحالة النبيلة للهقار من (كيل غلا وتايتوق) هم جميعا يرتبطون بساداتهم بمدفوعات شملت مواد عينية كالحبوب وقسم كبير منها كانت من الأدوات الحرفية والخيم، وتعد من ضمن الملزمات التي تدفعها مجموعات الحرفيين فمثلا كانت قبائل طوارق الأداغ تدفع لساداتها بالهقار وهي ذات قيم كبيرة فيرتبط كيل تايتوق بقبائل أفوغاس وقبيلة شام الناس تدفع لساداتها الأيلوميدان خيما³.

6-1أصول الصناع الطوارق الهقار:

يرجع أصول الصناع إلى اليهود التي إستقر بها أول المطاف بتوات، خاصة بعد الفتنة التي جرت لهم مع العالم المغيلي جئ بهم إلى تمراست لكن رد كل الحرفيين إلى اليهود هو نتيجة لغلط المؤرخين والتباس مرده إلى أن التمثلات الشعبية في غرب إفريقيا تقدم الأمازيغ بصورة نمطية كزراعة للغنم واليهود كصناع وتجار وأيضا من جهة أن الحرفيين مهمشين مثل

¹-mounier,opcit,p160.

² _ أركيبي(صلاح الدين)،"فئة المعلمين في المجتمع القبلي البيضاني"، مجلة عمران العدد 5/19 المغرب، 2017، ص180.

³ _Catherine hinker,Op. Cit , p39.

اليهود، ورغم تواجد اليهود في الصحراء غير أن ينتفي أن ينحدر الحرفيين الطوارق من اليهود لأن هذه الأخيرة لم يشكلوا تجمعاً ولا طائفة متجانسة¹.

ينحدر الصانع بالهقار من أصول أخرى، فبعد أن قامت إحدى الفرسان من كيل غلا بالأغارة على حرفيين من الأداغ ويعد الصانع الأمين أحد عمدا الحرفيين بالمنطقة وهم يعتبرون من شرفاء قبيلة داغ الشيخ بكنة².

ومن جهة أخرى تشير الروايات التاريخية أنه في سنة 1860 تم أسر مجموعة من النساء وتبين أنهن ينتمين إلى عرف الحرفيين وجلبن إلى الهقار³.

وعرفت عدة طوائف طارقية حرفية ونذكر منها قبيلة كيل السوق ويعيش هؤلاء الحرفيون حتى الآن تحت طوارق إيفوغاس ويُحسبون على الأيمغاد وأهم الكسر التي ينتمون إليها (تاغت ملات وكيل أغلا وإيرباكن إرغانتن وأغوادرن) ويبرز هؤلاء الصانع كأكثر القبائل الطارقية تخصصاً لمجاورتهم الحواضر السودانية تاريخياً كمدن جاو وجني وأيضاً مثل تجمعهم إيميداجن عدة مجموعات داخله كان أغلبهم من الحرفيين⁴، إلتحمت في تكوينه من إيتاغن وهي جماعات مّهرة في صهرالحديد وهم طبقة تتوسط بين الأتباع والعبيد وتوجد عند طوارق إيلوميدان إلتحموا داخل الطوارق⁵ وظل طوارق الأداغ كمركز هام للطوارق الأهقار يجلبون منه صنائعهم ويتبادلون معه ولاشك أن حذقهم للصنائع لمجاورتهم حواضر السودان الغربي وظلت هذه الصنائع راسخة فيهم حتى مع زوال تلك الحواضر ولا تزال حاضرتهم تادمكة كخرائب شاهدة على تاريخهم الحضاري⁶.

¹ صلاح الدين أركيبي، نفس المرجع السابق، ص 181.

² أحمد السليمان، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 200.

³ Jean Dubief, note sur les chronologies des kel ahaggar et des taitoq, TRIS, vol, 1942, Alger, p92.

⁴ ولكن الأعداء بهذه الشخصية يحيل إلى العلاقات السياسية التي تنوي الروافد الحفاظ عليها مع العرب أو جماعات البربر الناطقة بالعربية .

⁵ Catherine hinker , « forgerons touareg et méturgistes des udalen ".un exemple de complémentarité technique touareg et autre saharienne entre plusieurs mondes , aix provence, edisud , p55.

⁶ ابن خلدون، المقدمة، الجزء الأول، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 1981، ص 504.

6-2 الصناعة وشروط تعلمها:

1- التعليم:

إكتساب الصناعة عند الطوارق له أصول ومربوط بالمعرفة التقنية والتعليم ولهم مبادئ ينشأ عليها المتعلم حتى يترقى، وتشير كلمات "تاونت" التي تعنى ضربة خفيفة لدخول الصانع المراهق في مجتمع أقرانه من الصناع، وبالتالي يتلقى الصبي أصول الصناعة عبر أبويه وأما الأناث عبر خط أمومي سواء الأم أو الجدة¹.

2- الجذور ووراثة الصناعة: ولا يستطيع أحد أن يحترف الصناعة ما لم تتحدر أصوله من الصناع فسؤال الأقدمية مهم والانتماء مهم، والذي ليس له تاريخ في الحرفة لا يمكن أن يتعلمها فالذي تتحدر أصوله من الصناع يكون له إستعداد وقابلية².

6-3 مراكز الصناعة:

قامت بالصحراء عدة مراكز وساهمت التجارة القوافل في انتعاش الصحراء، لاسيما بإقليم توات وما جاوره ونشطت الصناعة حيث صار الخزازين يمتلكون حوانيت ودكاكين مستقرة وشهدت الصحراء رحبات وأسواق للتبادل والصناع يبيعون لرجال القوافل مختلف المحافظ الجيدة والنعال ولهم دور في إصلاح الأدوات في المجتمع الصحراوي وتكتسي عملية إصلاح الأدوات أهمية خاصة ومؤثرة بالنظر إلى طابعها العتيق والناجع معا .

ومن أهم مراكز الصناعة بالصحراء توجد:

1- تيديكت مركز تجاري وصناعي وتعرف بعين صالح، ويشتهرون بصناعة المحافظ وتطريزها والجزم، وهذه الصناعات إنتقلت من بلاد السودان إلى الصحراء بحكم الصلات المتنوعة كالتجارة، وأمور ثقافية كالصنائع والفنون ولقد إنتقلت إلى الضفة الشمالية من

¹ _Catherine hinker , opcit , p 154.

² _ibid ,p141.

الصحراء عبر منطقة الأير والهقار بحكم أن المنطقة الهقار تتوسط المنطقة الصحراوية وقد نفذت أيضا جملة من الصنائع والفنون خاصة صناعة البلغة وأنواع متعددة من الصنائع .

2- **تمنطيط**: ظهر بإقليم توات عدة مراكز لا سيما في أولف وتيميمون وبرج باجي مختار وهم يعالجون خاصة جلود المستوردة من السودان وتأهيلها قبل بعثها لأسواق الشمال الأفريقي ويصنعون الجزم والأرائك والرواحل وسائر الجلود¹.

3- **أولف**: مختصين بعمل النعال الجلدية يصنعونه من الثور والجمال ويتركون جلد الجمل في الشب والملح لمدة عشرة أيام ولهم حذق بصنع مختلف أدوات الجلد)².

4- **الأزجر**: وتميزت أعمال طوارق الأزجر بأنها أصيلة وألوان طبيعية وتعتبر جانت أهم مركز صناعي، وكان لقربهم من أسواق الشمالية من غات وغدامس أن وفرت الأصبغة التي إستعملت لتزيين منتجاتهم وأهم مجموعات طوارق الأزجر قبيلة الأوراغن وقبيلة كيل مداك من العبيد ويصنعون تاسوفرا مزينة بمثلث في وسطها بسيور جلدية، ونجد الحرفيين أكثر إتقاناً إذ تركوا تواقيعهم بالتقيناغ على الأدوات على الأهداب الجلدية³.

5- **الهقار**: يمكن القول أن منطقة الأهقار في القرن التاسع عشر إحتل أهمية كبرى حيث برز كتجمع سكاني يضم عدة جماعات وفدت إلى المنطقة وعمر بمختلف السكان فمن الشمال هاجر إليه جماعات الحراثين وعرب القصور من توات وأنشأوا تجمعات من القصب، وبرز الخرازين بالهقار بحذق الكثير من الصنائع الجلدية من النعال ومن الحبال واللجم، ويصنعون مختلف الأحزمة والمحافظ والمناطق الجلدية وعَمَروا عدة مراكز منها "أبالسة و"عين أمقل" وأبرز مضارب الصناع في الهقار هي مضارب إيكلان تاويست* وقبائل تاغت ملات وتايتوق .

¹ _ محمد الصالح حوتيه ، توات والأزواد ، الجزء الأول ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2007 ، ص 126.

² _ Hugot, cordonnier d'oulef ,bulletin liasion saharienne n°29mars, alger,1958,p32.

³ _gabus , op.cit, p212.

*قبيلة إيكلان تاويست أصلها من عين صالح إستقرت بالهقار في القرن التاسع عشر.

6-4 أثر الصنائع بالهقار في الجانب الحضاري :

برز في الهقار صناع متميزون أسهموا في توفير حاجيات سكان المنطقة وقد كان لتثمين صنائعهم من قبل السادة الطوارق وإحترام تخصصات هذه الطائفة الصناعية المسماة بالأينضن أن إستقام عُود المجتمع بالهقار وبرز الحرفيين الماهرين في الهقار لتصنيع منتجات خشبية ومعدنية وجلدية خاصة في صنع السروج، وإنعكس على مظاهر ساكنة الهقار حيث لكل قبيلة ورئيسها سرج خاص لقبيلة كيل غلا وداغ رالي ، وصناعة هذه الرواحل تبرز جانبا من حضارة المنطقة.

1-أدوات الركوب:

إستخدام الطوارق الهقار الإبل(المهاري) في الركوب وحمل الأمتعة، وسيطر الطوارق في الصحراء على طرق القوافل التي امتدت عبر الصحراء،وكانت المهاري تصنع لها مراكب يسميها الطوارق بالراحلة وهو رمز للفخر والأعتزاز لراكبي الجمال ووهو يجلس الفارس أمام الحدة، بالقرب من رأس الجمل قدر الإمكان.منالجمع بين الخشب والجلد لإنشاء كل سرج” ، ويمتاز كل قبيلة بانها لها سروج والقبيلة.حيث كيل غلا داغ رالي، ويصنع الهقار نوعين من السروج سرج : تاريخ وسرج تاهيسات

أ-سرج تاريخ:

سرج يتميز بأن له نهاية على شكل صليب تعتمد صناعته على تقنية تركيب الهيكل وهو مصنوع من قطع خشبية يتم تركيبها ما عدا المقبض أو القربوص والذي يشبه شكله شكل الإنسان وهو مكون من رأس(الرف)والعنق(رايت)ونجد الأذنين على جانبي الرأس(تيموزورجين)تتوسطهما العينين وتسمى أيضا عين الطائر وهي زخرفة رمزية لئلا يضل الرجل المسافر طريقه ليلا ، ويتكون السرج من أربع قطع من حامل مكون من قطعتين مجموعتين على شكل V، مقعد مقعر وظهر مسطح ذو شكل مثلث من الخلف ويتم شده

بحزام أنغليف يشد وسط وأعلى ضلفات الخشبية ، ويسمى بأنغليف ، الخروق التي وتستعمل كذلك عدة سيور جلدية في ربط ، ويستعملون كذلك حلقة تشد وهذه القطع لها جمالية وظيفية تكمن في راحة راكب الجمل ، تعطي السرج رونقا وكلها تصب في إتزان السرج .

وهناك غاية طقسية هي حماية المسافرين من القوى الخفية فالرموز البربرية الموجودة بالسرج تظهر جليا على الجهة الخارجية وكأنها موجهة لمن يرى هذا السرج من الأسفل لأنها موجودة على ظهر المقعد المائل والمكون أساسا من مجموعة من المثلاث والتي ترمز في غالبيتها إلى الآلهة تانيت¹.

أغليف: قطعة توضع على المقعد وعلى المسند وكل سرج المهري كل جنب منه يجعل له حزام يثبت المقعد، وهما سيرين من جلد غير مدبوغ كل منهما يشد الجهة اليمنى من اللجام واليسرى وتسمى بالمعلقين².

- اللجام: اللجام يصنع من جلد مضفور .

- الجلبة المستعرضة:

حلقة يشد إليها كلا الحزاميين على اليمين والأيسر.

- الخزامة:

حلقة تكون في أنف البعير تتصل بحبل طويل وزمام على جهتي البعير للتحكم فيه لصنع خزامي، تقطع في جلد الماعز (الذي كان يصنعه سابقاً) المعدة لهذا الاستخدام، والشرائط التي تكون أطول فترة ممكنة وعرضها حوالي 2/1 سم مصبوغة باللون الأسود وتنتهي هذه

¹قرزيز معمر، جمالية الرمز البربري في الفنون التشكيلية الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراة ، قسم الفنون التشكيلية، جامعة تلمسان، 2017-2018، ص 95.

² _nicolas francais, " l'industrie du production chez les touareg de l'azawagh", hesperis, tome xxv, paris 1938, p 177.

للمزيد ينظر :إبن دريد ، السرج واللجام ،تحقيق ابراهيم السامرائي ، مطبعة ليدن ، 1859، ص 13.

السيور جلدية من خلال بقضيبين خشبيين، وفي نهاية الخزامي تعلق حلقة الأنف وفيها أزرار تغلق هذه الأنشطة والطوق الجلدي "تيجمت" وهو سلك مصنوع من عدد كبير من الشرائط الصغيرة من الجلد المنسوج وتكون مجهزة في أحد نهاياته بقضيب زيتون مما يسمح بالفتح والإغلاق حسب الرغبة، وتغلف الخزامة بحلق جلدية ملونة ، ولصنع خزامة ، نحتاج إلى جلدتين من الماعز¹.

ب- سرج تايسات:

هو أقل زينة وأقل جمالية من سابقه لأنه مخصص للأعمال الشاقة لهذا السبب لا نجد فيه المقبض مثل التاريك ليبسط إلى شكله البدائي مستطيل مصنوع من الخشب القوي الموجود بالصحراء *Africanum Commiphora* ويتم تغليف بقية مكونات السرج بالجلد حديث النزع ليحف على التركيبة الخشبية فيعطيه أكثر صلابة².

2- سرج أخوي : هو ما يعرف بالهودج وهو ذو شكل معقد نوعا ما .

ويتم تزيين الجمل بمختلف الشرشف والقلادات ويستعمل طوارق الهقار حلق جلدية كأساور ، وأيضا قلادة للدواب (الجمال، الخيل) ، الكلاب بشكل دائري 1-3 سم ويصنعها نساء الاهالي من جلد الموتون الماعز الجمل شعر الماعز ويحتاج 10 سيور واشتهرت فئة الأيموهاح بامتلاك نوع يُسمى بالراحلة تامزك وهي تجلب من المراكز المجاورة من بلاد السودان لاسيما بالأغاديس.

5-6 الملابس الجلدية من خلال المصادر: يلبس الطوارق ألبسة من جلد تدعى تبتيق : وهو عبارة عن قمصان الجلد، مصنوعة من جلد الغنم، أو جلد الماعز المدبوغ لمنحها ليونة مفتوحة من الجانبين ، الكتفين واسعة جدًا ، لا توجد أكمام للضغط على الذراعين، يجعل

¹ _ Mounier, O p.Cit , P160.

² _ من ميزات الجلد التمدد والتقلص وبرودة الجلد فإنه يتمكش ولذا فإن الطوارق غفلوا المساند الحادة كإكاف للدواب والحمير .

هذا السترة أكثر جمالا حيث يحتوي على شرائط صغيرة من الجلد مخططة على حواف الكتف وقد كان لا يزال حتى الستينات ، كما يلبس الطوارق ألبسة من قطن مصبوغة بالنيلة ، ولا شك أن اللباس الجلدي سابق عن القطن عند مجموعات الطوارق، وأنه إرتبط بهم منذ فترات قديمة خاصة بالسكان الأصليين ويلبسه كل من صيادي الموفلون، وتجار القوافل والعبيد.

وتذكر المصادر نجد أن التي تحدثت عن تادمكة أخذ معلومات أولية مهمة :أن لباسهم من قطن ،وبتتبع المستكشفين الأوربيين الذين زاروا مضارب الطوارق وأشارتهم المهمة نجد الكثير من المعلومات حول هذه الفئات المعزولة في الصحراء مثل دوماس الذي تحدث عنهم بهذه العبارات: "في هذا البلد المعزول (المويدير) يعيشون في أكواخ أو في خيام مصنوعة من جلود مدبوغة من السودان ، لديهم الشاشيا ، وهو نوع من معطف من جلد الماعز ، وحايك .

ثم يورد "صادفت أن قابلت توارق من تافدست وهم يرتدون هذا الثوب أيضًا ، وهم من الصيادين الذين أمضوا أيامهم في البحث عن حيوان الأروية من كيل انغر ،كيل إيدير، يعيش هؤلاء الأشخاص بشكل عام في عزلة شديدة في جبالهم ونادراً ما يذهبون إلى مركز التسوق الكبير في تمنراست، وهو مكان مع عين صالح حيث يمكنهم شراء الأقمشة".

وظل هذا اللباس حتى الستينات حيث اللباس الهام لقبائل إسكمارين،وكانت القوافل التجارية لجلب الملح من أمادور يقودها أسكمارين ومبادلته بالدخن، ويقومون باستخراج الملح قضبان وتضمن تحميله بعد إزالة التربة من القضبان (ترن كل منها حوالي 24 كجم)، حتى تصل إلى إرتفاع الخصر، مع إمساكها من كلا الطرفين ؛ وتنقل رقبة الحيوان حيث يتم إمساكها بضغط من البطن ودعم من الركبة اليسرى أثناء انشغال اليدين، وهذه العمليات مختلفة تسبب احتكاكاً قوياً بالملابس، نظراً لأن قضبان الملح خشنة ، فإن معالجتها تتسبب في

تأكل سريع للقطن ومن هنا جاءت ميزة التبتيق ، شديدة المقاومة وتعمل كحماية للملابس العادية¹.

قطعة أخرى من الملابس التي لوحظت قليلاً بين كيل أهقار، وأجر هي أغلمين ، وهو نوع من المعطف مصنوع من جلود الماعز الصغيرة غير المشعرة ، تُخيط وتُلبس مع الشعر ويغطي الكتفين وينخفض إلى الركبتين، ويتم تثبيته بشرائط من الجلد، يتم إرتداؤه فقط من قبل نساء إيمراد من الهقار خلال أشهر الشتاء الباردة، ويذكر هنري دوفيرييه أن نبلاء طوارق الهقار يلبسون ألبسة طويلة نوعاً ما تطلق عليها تقيمت² .

وتظهر مواصفاته أنه يدل على التبتيق و كل المؤلفين أشاروا الى أن اللباس الجلدي مقتصر على العائلات الفقيرة لشح ولعزلتها في مناطق من الهقار بينما الأسر الغنية خاضة الأيموهاج كانت تقتني ألبسة تجلب من كانوا ومن تومبكتو ولم يقتن لبس الصوف عند الطوارق مع الدخول فرنسي ، بل هي قديمة كما أسلفنا في عصور وسيطة ،وتجدرالأشارة أنه قبائل الإسكمارن أنهم في سفرهم الملابس يتم تعبئتها بدقة في حقيبة السرج ، وإذا لزم الأمر واحدة وتضع اثنين أو ثلاثة فوق بعضها البعض حتى الإسكمارين الذين طوال فترة قافلة الملح لا يقتصرون على لباس التبتيك فلديهم ملابس من القماش التي يرتدونها عند وصولهم إلى معسكر الأجانب بل يُظهرون لباساً محترماً³.

وتشير بعض المرويات والأغاني المحلية إلى لباس آخر من الجلد وهي تتورة داخلية جلدية أختصت به نساء قبائل إسكمارن بناء على قصيدة محمد أغ مكية ، من Tedjelte-n-Elis ، جمعها الأب دى فوكو ، هذه القصيدة تؤكد المعلومات التي سجلها من دumas على إرتداء ثوب جلدي بين نساء إيسيكمارين.

¹ -Lhote, , « Les vetement de peau chez les touareg hypothese de son origine », bulettin archeologie marocaine, pp323-354.

² - deuverier (h), les touareg du nord ,challamel ainé ,paris ,1864,p406.

³ -Lhote, opcit,p334.

ومن لوزام الألبسة :

تمنطقة:حزام يشد حول وسط الجسم.

*حزام تيرونابح: حزام من الجلد من جهتين فالجهة الأولى من الأمام والأخرى على الظهر وفيما ما وراء الكتفين ، ويصنع خاصة في توارق أدرار يزود بجراب يضعون فيه الرصاص¹.

تشكرت:حزام لربط السروايل ويُصنع من قبل نساء المعلمين بسيور رقيقة من جلد الماعز تكون مضمفورة ويصنع من 12سيرا جلديا ،وقطعة جلد ماعز تصنع ثلاث محازم.

6-6مجالات إستعمالات الجلود عند طوارق الهقار:

1- المجال الطبي:

الطوارق لهم معارف ببعض بالطب ويخصون بعض المواد فيجعلون منه دواء ويبحثون عن أنواع جلود خاصة لصنع " تاروف tereofit (كيس يحتوي على تاليسمان) و غالبًا ما يكون الطالب هو الذي كتبه بنوع من الطلاسيم والخطوط، ويشير إلى الزبون بجلب له جلد معين حتى يتم تغليف الحرز فيه حتى يكون فعالًا تمامًا، كما يتم البحث عن تلك الجلود الموجودة في القوارض الصغيرة التي تسمى akaoukaou وكذلك تلك الموجودة في ابن آوى والضبع،ومع ذلك فإن معظم التمايم مصنوعة من جلد الماعز أو الغزال وتجعل التمايم كذلك على الدواب ويربطها الطوارق حول عنق الحيوانات التي يعتزون بها (الإبل والإبل والماعز والأغنام) تكون أحيانًا مصنوعة أيضًا من جلد الثور أو الإبل.

يمتلك مهاري جلد الضبع خاصية غريبة أبلغتنا بها Kel-Amegid أثناء سباق مهاري يكفي تركه يلامس الأرض لإحداث سقوط متسابق على الفور، تُستخدم الجلود أحيانًا كدواء: قطعة

¹ _Nicolas , tamesna touareg de l'ouest kel dinnek ,paris , mdcccl, p255.

من جلد الإبل غير المطبوخ تحت الرماد تسمى abandjer يستخدم في مسحوق السعال الطوارق¹.

والبدو يستعملون جلد الورل (الوزغ) منه توائم وحروز لتقيهم من ضربة العقرب ولقد أثبت أن هذا الحيوان يأكل العقرب، ولما تصيبه بسمها يأوي إلى شجرة الرمرم فيتمرغ فيها ليتخلص من سم الأفعى، وهذا هو وجه العلاقة لأستعماله كترياق².

2-المجال السياسي:

الطبل يعني السلطا العليا عند الطوارق، ويتم صناعته ونحته من أسطوانة من شجر الأكاسيا "الطويلة" ، ويغلف بجلد عجل: الذي يحضرونه ويتم نتف شعره ثم يدبغونه في إناء به محلول تزيليت (24 ساعة) وقبل أن يجف الجلد يتم دهنه بالزبدة وصبغه باللون الأصفر، وبعدها تأتي عملية تغليفه، حيث يغلف هذا الجلد على القصعة ويشد عليه من حوافه بحجر أو روث جمل، ويتم تثبيته كذلك بحلقة من حبل (غالبا حشو النخيل يحيط بالجزء السفلي الدائري من الإطار، ويضرب على الطبل بمقبض جلدي مرن: يصنع من كتلة قماش مغطاة بالجلد مصنوعة من خمس قطع من جلد بقر غير مبوغ تلوي فيما بينها، ويحتاج لشخصين لشد الطبل يمسونها بيد واحدة ويضربونها بمقبضين³.

وحيثما يبلى الجلد يعوض بجلد zebu ويتم تليينه لمدة 24 ساعة وحين تأكد من مرونته بتحريكه في جميع الاتجاهات وتكون لزجة مطاطية تصبح جاهزة، ويتم التخلص من الجلد القديم عن طريق قطع جميع الروابط يقوم سيدي أغ شداب بإعداد قطعة من جلد دائرية عن طريق سكين صغير يشحذه من وقت لآخر على حصاة، ويبدأ العمل الأكثر دقة: حفر سلسلة من الثقوب حول حافة الجلد المستدير، ويمرر سلك الجلد عبر كل ثقب ، يضع كل

¹ -mounier ,opcit,p167.

² _ ديكسون، نفس المرجع السابق، ص 55.

³ -mounier,opcit,p155.

شيء على الأداة الخشبية التي هي ليست أكثر من طبق كبير مثل طوارق السودان يصنعونه لشرب الإبل و Targui القديم يربط كل شيء على الإطار ، سلگا تلو الآخر ، يسحب أحدهما ، ويريح الآخر ، حتى يصبح الجلد مشدودًا بشكل والطبل يوضع عند مدخل خيمة الأمنوكال والامنوكال أخموك أغ إيهما و يعهد لتغييرجلد الطبل إلى سيدي أغ شداب المحارب الكبير لدي كال أهقار تغيير جلد الطبل وولا احد سواه ويبرر اختياره بأنه ليس لاحد يلمس هذا الجلد الامن أثق فيه أنا لنبله وشجاعته في الحرب ولا أحد لديه الحق للمس هذا الجلد دون موافقته ، وهذا هو الرجل أشجع من القبيلة، أنبل ذراع وهو أكثر بسالة لديه قدرة فقط لتغيير الجلد الطبل و هو من سيقوم بهذا العمل المميز لأنه شارك لأكثر من مائة قتال وهو أحد الرجال أكثر الباسلة بين كيل غلا ويقال أنه عندما إنه كونه محارب لا يقهر لا يستطيع العدو أن يأخذوا جلد الطبل ،والعدو لن يكون قادرا على الاستيلاء عليها لأنه أخطر إهانة أن العدو يصل أثناء القتال ، للاستيلاء على هذه الطبول¹. (الصورة رقم 6)

3- الجانب الاجتماعي:تنوعت التمايم والتعاويذ من أعظم ما يتنافس في لبسها وتتخذ هذه المحفظات لحجابات أو الحروز: جلد الماعز الأحمر أو الأصفر ، ويستخدم أيضا في صناعة مغلفات التعويذة grigris (في تماشق(كيرا) وتسمى بلغة الطوارق (تاروت نازرف)ولها شكل مثلث أو مستطيل والناس يستهلكون كبيرة ، وليس من غير المعتاد أن نرى مع الأفراد خمسون وستون وحتى مائة تعويذة معلقة في الرقبة ، الذراع ،أو الحزام وعلى البطن وشنق وحلقة جلدية ضيقة صغيرة فوق الكوع كما يتخذون سوار الحجر الكلاسيكي².

وهي تلبس ضد أمور غيبية للحفظ من الشرور أو لجلب نفع ويمكن أن يكون لها خصائص مختلفة.يمكنها ربط الألسنة ، وإخماد الغضب، وجعل العقيمة أولعلاج العقم وطرده الأرواح الشريرة ، وجلب المطر ، والحفاظ على الأسنان ، إن عدد وتنوع التمايم المنتشرة في كل

¹ _henry lhote , dans les campement touareg , oeuvres française,paris 1947,p20.

² _fourreau ,Op. Cit, p892.

مكان في "الصحراء" تكفي لإثبات أهمية الخرافات التي بقيت متجذرة بقوة كما أنها توضح كيف أنه لا ينفصم السحر والدين ، في معتقدات أهل الصحراء.

كما أن لبس المنتوجات الجلدية قصرت على كبار السن والمحاربين وأباء العائلات وهذا المنتج بقيم على المجتمع ودخلت ضمن مقوماته وتؤكد جلبها فارتبط جلب نعال التмба التмба بمهور الزواج عند مجتمعات الطوارق الهقار حيث تقدم زوجة نعل إلى ابن عمه الزوجة ،ويسمى بطقس تنغل وإستعملت الجلود في صنع الآلات الموسيقية .

4-الآلات الموسيقية:

1-إمزاد :

تُعد من أجود الآلات الأيقاعية ذات سحر تشبه العود مخصص لأغاني الحب الشجاعة والأخلاق وسير البطولات والأمجاديصنع نبات القرع يتم تجريد هذا الجلد من شعره ، ونصف دباغة بواسطة الغمر لمدة ساعة في محلول تيزيليت. وهي مشدودة على القربة ، ويطلق عليها اسم توبول ، ثم تدهن بزبدة الماعز وتلون باللون الأصفر. أخيرًا ، بعد الاستخدام ، يوجد ثقبان دائريان بقطر 2 إلى 3 سم¹.

2-تيندي:

ألة موسيقية غالبًا ما تستخدمه النساء كطبل للإيقاع في مواكب سباق المهاري، يغطونها بجلد ماعز مبلل تربط حوافها بقطبين أفقيين على جانبي الهاون، ويمدونها بقوة ، وبراحة اليد يستخرجون منها صوتًا كاملاً للغاية ، وكل ذلك لأنه أكثر رطوبة ،والهاون يختار من جذع .taouilla ، tade-raz ، ahtes

¹ -mounier,opcit,p156.

يُجرد الجلد من شعره بالتاكات، ثم يُدبغ ويُسمر في غضون ثلاثة أيام ، بمزيج تيزليت وتاكوفيرمست (الذي يعطي غلافا مشدودة، وبالتالي صلبة جدًا) ولم تنتشر عادة استخدام تيندي كطبل إلا في Hoggar منذ حوالي عشر سنوات، وهي تتحدر من قبائل أدرار إيفوراس، وفي السابق كانت نساء الهقار يستخدمن دربوكة صغيرة مصنوعة من خشب التويلا ومغطاة بجلد الماعز، وكذلك كان في الهقار طبل صغير (أداة iloft-djan). تستخدمها النساء فقط للرقصات، يستعمله الحراثين في الهقار والأزجر ويبدو أن أصلها عربي¹.

وهكذا يمكن القول أن الآلات الموسيقية إستعملت في كامل الصحراء سواء عند العرب أو الطوارق .

3-وتهيقالت :آلة دائرية مصنوعة الخشب وجلد ماعز

4-وآلة قنقا : آلة إيقاعية ذات غشائين جلديين يتم الضرب عليها بمضرب مصنوع من شجر الرمان.

ومن خلال إستعراضنا الأدوات الموسيقية ندرك ثقافة الطوارق وتتجلى لنا عراقة هاته الفئة ورغم زخم هذا التراث لكن حاليا قل الاهتمام بالتراث بحكم العولمة وعدم المبالاة إلا ما كان من بعض الفئات الأصلية التي حافظت على بعض هذه الصناعات وأعتبرتها جزءا على إرتباطها بثقافتها ويمكن أن نشير إلى بعض الصناعات يشكلون حاليا تجمعات سكانية بعاصمة لهقار في كتلة واحدة وأسرة موحدة ومن هاته الورش "صور تهقارت".

وتتمة لما أوردناه في هذا الفصل يمكن أن نُذكر ببعض أهم النقاط التي وردت في هذا الفصل الثاني من أن الصنائع الجلدية لا تخرج عن نطاق الأقليم، فوفرة مواد الدباغة من القرظ ومن مواد معدنية كالشرب والملح، وتوفر أصناف متعددة من الحيوانات كالغزلان

¹ -mounier,opcit,p156.

والظباء والفنك وإن الطوارق خبروا الدباغة فبكميات مقدرة كانوا يدبغون كل أنواع الجلود وبمدة زمنية محددة، فانتجوا جلودا لينة وناعمة جاهزة لتصنيعها.

وبذلك مكنهم من صناعة عدة معدات من الأظرفة والأوعية للسوائل، كالقرب والشكوة وأوعية السمن ، ودلاء للسقي ، وأوعية للبن والجبن بأنواعه أيضا عرف هؤلاء البدو تأهيل الجلود النيفة، التي صنعوا منها أحواضا وحبالا وركائز وبذلك مكنت هذه الأدوات من قيام أنشطة رعوية واقتصادية في الهقار.

وقد كان الدور كبيرا للنساء التارقيات في أنهم يمارسون أعمالهن على الجلد داخل الخيم ويوفرون لها جميع تجهيزاتها من الوسائد والفراء، ورغم أن كل العوائل الطارقية لها نفس المعدات لكن تزيين يعتمد على ثروة العائلة، وهناك صنائع متخصصة لا يتقنها إلا ذوي المعارف تقنية من السروج وصناعة الطبول وصناعة أغمدة السيوف ومعدات متنوعة ، وكان الصناع يستعملون تقنيات في الزحرفة من الطابع والصباغة والحفر على الجلد والتطعيم بقطع من الجلد الملون وإعتبر صناعة الحقائب وتزيينها فنا خاصا بالهقار فتبرز الأرضية الحمراء بقطع مطرزة، وأيضا صنعت المحافظ والوسائد، كما برعت نساء الأينادن خاصة في تزيين السروج وضفر مختلف لجامها ، وأيضا كانت هذه الأدوات تقايس داخل مجتمعات الطوارق بقيم معتبرة، فحقيبة الجبيرة كانت تقايس بجمل ولقد كانت تباع بأثمان غالية وإن كان نفس العوائل لكن من يقتنيها أكثرهم الطبقات الراقية.

الفصل الثالث: الصنائع الجلدية الطارقية وإنتشارها بالسودان الغربي والأوسط.

1-تمهيد

2-السودان الغربي والأوسط

3-العلاقات بين الشمال و الصحراء : نشأة المدن بالسودان الغربي

4-الصنائع بالسودان الغربي

5-التجارة ومبيعات المنتجات الجلدية في بلاد السودان :

6-مراكز الصناعة بالسودان :

7-مراكز الصناعة الطارقية

8-الفنون الجلدية الطارقية وطرزها

9-الأبعاد الحضارية بين الصحراء والسودان الغربي والأوسط من خلال الإنتاج الجلدي

1- تمهيد:

يعد تصنيع الجلود وزخرفته صناعة أصيلة لدى القبائل الطارقية، التي كانت منتوجاتها تصنع وتعمل بنوع من الطرز والصباغة الخاصة، وكذلك ما يميز أساليب الصناعة الجلدية الطارقية النحت حيث كان تزيين الأغمدة والمحافظ تظهر برسوم هندسية منحوتة، ومفرغة، وبلغت الصناعة الجلدية قد بلغت بالسودان مستوى هاما وتعددت منتجاتها، فشملت العلب من الجلد التي تستعمل للبخور والنعال الجلدية المتنوعة، والحقائب والمحافظ، والوسائد، والتمائم، وكان الصناع لهم تقنيات متعددة، ولهم أساليب في زخرفة هذه المنتجات وصباغتها.

إن تطور المنتجات الجلدية في السودان كان بفعل تجارة القوافل المارة عبر الصحراء فالإنتاج الجلدي السوداني من ملامحه أنه عرف تنوعا لتتنوع جالياته من السود (الفلان-هاوسا السونغاي) وأكثرهم كانوا خرازين (طوائف صناع وكذلك من جهة أخرى لأنه شهد عديد الهجرات التي تمت عبر الصحراء من قبل الصناع العرب والبربر والتجار والذي بفضلها نقلت الأساليب والأدوات والأصبغة من شمال إفريقيا وعليه فالصحراء كانت المجاز الهام في انتقال الكثير من المؤثرات الفنية والصناعية.

وكان يقيم في هذه المراكز صناع من مختلف الجاليات (عرب، سود، بربر)، وتقوم صناعات الهاوسا في الكثير من الصناعات الجلدية وطوروا الصباغة التي تستعمل في صبغ النسيج والجلود، واستعملوا خيوط الحرير لتطريز الكثير من الأدوات المتمثلة في النعال والمحفظات والحقائب كخرج المسمى جبيرة، وكانت تنفذ الزخارف على الأدوات بعناصر فنية متنوعة بأساليب الحفر والتخريم.

وقد انعكست استعمال الآلات الجلدية ولبسها على مجموعات و إثنيات سودانية وعلى كثير من الطوارق المجاورين مثل طوارق كيل غرس الذين تميزوا بتلك المحافظ "اقاوي وحمالات

السيوف والخفاف واللجم ، ويعتبر الصناعات الطوارق الجنوب بالنيجر (أغاديس) والازواغ من أبرز صناعات السودان فلقد نهضوا بجملة من الصناعات الخاصة لاسيما الرواحل المغلفة بالأخضر وصنع اللجام والقلادات الجمالات والخرج محافظ لحماية ومضمنة بنقوش تنم عن معارف وعادة ما إرتبطت هذه النقوش بمعارف لدى الطوارق .

أدى الفنانون الطوارق دورا هاما في تطوير صناعات الجلود بالسودان لعراقة أساليبهم في تزيين الحقائق والوسائد، وأنه كانت لها أساليب محلية في إستخراج الألوان الخضراء ونظرا لتنوع زخارفهم الهندسية ، والزخارف الفلكية، وهي تجمع ما بين الأسلوب الصحراوي والأسلوب السوداني ولاشك أن إحتكاك الصناعات الطوارق بتلك المراكز الكبرى للسودان الغربي (تومبكتو جاو) أثر كثيرا على الطوارق، ويمكننا تمييز الفن الطارقي الأصلي والذي بقي في رسومات محلية عند طوارق الصحراء بالشمال .

2-السودان الغربي والأوسط :

بلاد السودان هي تلك المنطقة التي عرفها الكتاب العرب والمؤرخون المسلمون الأوائل أنها مشتقة من لفظ السود وتعرف جغرافيا باسم الحزام السوداني الممتد من قلب القارة الإفريقية من الشرق إلى الغرب¹ويطلق على غرب إفريقيا المنطقة الممتدة فيما بين المحيط الأطلسي غربا وبحيرة تشاد شرقا شمال نطاق الغابات الاستوائية وجنوب الصحراء، وعن نشاط هذه الشعوب الزنجية تمثلت في الزراعة التي تركزت على الواحات الصحراوية وضاف النيجر والسنغال أهمها: زراعة الأرز والذرة زراعة القطن إلى جانب الرعي في البوادي والصيد بجوار ضفاف الأنهار كالنيجر والسنغال .

ويسكن السودان الغربي السونغي والفلان وقبائل التكرور، وهي تقع في شرق تمبكتو والهوسا أو أزنا، والتسمية الأولى عربية وهي اللفظة التي يطلقها السودانيون على وطنهم.

¹ _ أحمد الشكري ، الإسلام و المجتمع السوداني ،أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة 1999،ص 59.

أما الأسم الأخير فهو إسم أزنا والأسم البورنوي أزنا يقصد به كانوا وكاستينا والسودان الأوسط يعني دول الهوسا، تمتد إلى الشرق من النيجر حتى بحيرة تشاد وكان موطنًا للعديد من الأقوام الزنجانية المنتمية إلى أصول شتى إقليم ، وهناك إقليم أسبن ويحكم السلطان هذه الأقاليم كاستينا وكانوا أقوى هذه الأقاليم ولكنها تدفع الجزية للسلطان، وسكان هوسا زنوج ولكنهم ليسوا سودا كلهم وإلى الشرق من هوسا توجد بورنو أقوى ملك وهم سود¹، ولقد تحول الثقل من السودان الغربي إلى السودان الأوسط فما أن إنهارت مملكة سنغاي أمام الغزو المراكشي القرن السادس حتى تحول المجري الرئيسي للحركة التجارية مع شمالي إفريقيا شرقا إلى بلاد الهوسا وقفزت كاستينا بصفة خاصة إلى مكان الصدارة² .

وانتشر الإسلام بفضل التجار في حلهم وترحالهم وكان النموذجان اللذان أثرا في تاريخ غرب إفريقيا البدو وسكان الوادي المستقرين (زنوجا في الأساس) وقد كان البدو منذ أقدم العصور ينتقلون بصفة مستمرة إلى المناطق، ويرجح أن أهالي الصحراء قد نزحوا إلى وادي النيجر حيث أكرهت غزوات شمال إفريقيا السكان للنزوح³.

وأدى نهر النيجر دورا هاما كمحطة للعبور فالسمة الجغرافية، التي تسود مجرى نهر النيجر الكبير لا يمكن اعتباره عائقا في حد ذاته بل العكس كان طريقا طبيعيا للمواصلات البرية والنهرية مما يسر للأهالي يرحلون أين شأؤوا إما لتبادل والتجارة في أمن وهدوء مع قطعانهم أو للغزو⁴ ، فمنذ الفترات الأولى من الفتح العربي شهدت المنطقة المحاذية

¹ _ فريديك هورنمان ، يوميات الرحالة فريديك هورنمان (الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصم فزان 1797)، تعريب محمد مصطفى جودة ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس -ليبيا ، 1968.

² _ عبد الله سالم محمد بازينه ، إنتشار الأسلام فى إفريقيا، منشورات 7 أكتوبر، مصراتة ،ليبيا ، 2010، ص153.

³ _ مادهو باننيكار ، الوثنية والأسلام تاريخ الأمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقيا ،ترجمة أحمد فؤاد بليغ ،الجزء الأول ،المجلس الأعلى للثقافة، ط2، القاهرة ، 1998، ص 65.

⁴ _ محمود زكي، الأسلام والمسلمون فى غرب إفريقيا، مطبعة يوسف، القاهرة، ص 100.

للصحراء تحركا وهجرات متنوعة، وقطنت جماعات من العرب و أنشأوا مدينة السوق ، تادمكة بالأدرار، وهناك جماعات أخرى بربرية مرابطية إغدالن وأيشرفين استقرت بالنيجر¹.

والطوارق هي الأثنية الهامة التي تحكمت وإرتبطت كثيرا ببلاد السودان عبر عصوره التاريخية وذلك لأن الطوارق لا يشكلوا فئة النبلاء فقط (إماجن،أيموشار) بل يشكون فئات متنوعة في السودان من البيلا والبوزو، وهم عبيد يتكلمون الهاوسا ومجموعات حرفية (الغارسا -المرابطين)².

والطوارق كان لهم أدورا كبيرة في السودان الأوسط والغربي ويمكن القول: "ليس هناك ثقافة أو دولة أو عبيد وأتباع (مزارعين وصناع) هي ليست على ارتباط بالطوارق تبعية أوضريبة أو تحالفا أو تجارة"³.

3-العلاقات بين الشمال و الصحراء : نشأة المدن بالسودان الغربي:

الشمال الأفريقي اتصل ببلاد السودان واستحكمت علاقته التجارية به، عبر الصحراء التي كانت تعتبر دائما بمثابة طريق عبور بين الشمال والجنوب فالصحراء بامتدادها الإقليمي و الجغرافي، وبتنوع مجالها من الواحات والوديان والرمال ومن السلاسل الجبلية من قمم الأهقار والأداغ وأيلوميدان ،وهي مسالك هامة و مجال جغرافي هام قامت فيه بعض المستقرات بالصحراء وهذه التجمعات أساسها أقوام بدوية طارقية تعتمد على مواضع القطر مترحلة فيما بين الصحارى للرعي، لكن بمرور الوقت ارتبطت هذه المواضع الرعوية بقيام مراكز تجارية وبمراكز ثابتة ومن أهم هذه المراكز بالسودان كانت مدينة "تنبكت" التي تقع بمنحنى نهر النيجر وتعتبر ملتقى هام لتجار الملح، ولقد تأسست في عام 1000م وكانت محلة صغيرة إستقر فيها بعض تجار "جني" للمتاجرة مع الطوارق، وسرعان ما برزت أهميتها

¹-nicolas,tamesna touareg de l du l'est ou touareg kel dinnk ,paris , mdcccl,p46.

²-boubou hama,recherche sur l'histoire des touareg saharienne et soudanais,presence africain,paris,1967,p243.

³ _abdealkader galey , esclavage du niger ,agence universite de la francophonie ,karthala ,paris ,2010, p55

بسبب موقعها الجغرافي وهي تقع عند منحني النيجر حيث يتوغل النهر في الصحراء كثيرا لذا كان المسافرون يتوقفون بها، واسم المدينة مأخوذ من وصف مهنة لامرأة طارقية من طوارق إمقشرن* يطلق عليها بلغة التماشق "تن بكتاوان"، والتي تعني حافظة الأمانات والودائع حيث كانوا يودعون عند هذه المرأة أمتعتهم التي يخزنونها في فصل الصيف إلى فصل الشتاء، وقد أقام هؤلاء البدو معسكراً صيفياً على ضفاف نهر النيجر وتركوا فيه كامل أمتعتهم، ومن خلال وصف مساكن الطوارق المعروفة، يُمكننا في الواقع أن نؤكد أنها كانت محطة معسكر لأنها أقيمت بالقرب من نقطة غنية بالمياه وكان من المهم بشكل خاص الحفاظ على المواد والأثاث المنزلي المهم الذي لا يستطيع الرعاة حمله في رحلاتهم المستمرة من سجاد، بطانيات، وسائد جلدية والدلاء الجلدية والحبال .

وهذا المعسكر هو النواة الأولى للمدينة يأوي إليها التجار المانديغو ووصل إليها التجار الأوائل من جيني إلى مخيم إمقشران عن طريق سلوك قناة بادجيندي للعبور من النيجر إلى تمبكتو بزوارقهم للمتاجرة، وأحضروا المنتجات الجنوبية مثل الأرز والشعير والذرة الرفيعة والخضروات والأسماك والقطن كانوا يتاجرون بالحليب واللحوم المجففة والسلع الجلدية وهو مكان جيد للالتقاء يلتقي المسافرون بالزوارق والجمال¹.

ومن الجهة الأخرى نفذت مجموعات طارقية، وإتصلت بالسودان عبر واحة الأير، وقد دخل قسم منهم بلاد الهوسا من الأير في نهاية القرن الرابع عشر، واصطدموا بهوسة غوبير، حيث طردوهم من أربين إلى غوبير، ولم يهتم الطوارق باعتبارهم رعاة بإحتلال الأرض، بل كانت أهم مشاغلهم مبادلة منتجاتهم بمنتجات زراعية، كما كانوا يُغيرون على المجموعات المستقرة جنوبي أربين على أن بعض المجموعات من الطوارق النازحين ما

* _ إمقشرن وهي صفة للنبل وهي متقاربة مع إيموهاغ وإمجارن تختلف التسمية تبعاً للحيز الجغرافي .

¹ _ Dédé, Jean-Charles —, « Les Kel Tamasheq et la cité de Tombouctou, du VIIIe au XVIe siècle ». Thèse de doctorat, Université Félix-Houphouët-Boigny, Abidjan, 2010, p80.

إنفكت تنفذ إلى بلاد الهوسا طلبا للكلاء¹، والنزوع نحو الاستقرار لبعض مجموعاتة التي إنتقلت من سكن الصخور والجبال العالية من تادليزا و أغاياجي إلى تأسيس أغداس* التي تختلف عن سكنى الطوارق المترحليين، ولاشك أن إندماج هؤلاء طوارق الهقار وغيرهم من الطوارق في وسط مجتمع مستقر بواحة أير أساسه مهنة تجارة الملح التي ازدادت في القرن التاسع عشر² ومن أهم قبائل الطوارق بالأير كيل وأوي وكيل غرس وهم من فئة النبلاء ومضاربهم أكثر توغلا في الجنوب وهم أكثر استقرار، كما يجب ربط هذا الاندماج الاجتماعي والاقتصادي للطوارق بتوفر الجمال كوسائل نقل فعالة³.

ومن هاتين المدينتين الأولى "تومبكتو" وأغاديس اللتان برزتا كمحطتين للتجارة الوسيطة حيث يجد فيها المسافر المتعب بعض راحته، ويتم استبدال الحيوانات المتعبة بجمال مريحة، وتم ظهور قطاع خدماتي بهذه المحطات فإشتغل أكثرهم ساكنتها مع للقوافل التي تنزل ببيع السروج والأقتاب وأجمتها وأزمتها والأمرة والقيود والتروس والسيرفات المزود والغرائر الكبيرة لنقل الحمولات، والحبال ومعدات من الحديد (نعال الجمال) ولحوم مجففة، وكانت الحرف اليدوية الجلدية هي آنذاك من قبل التبادل مع تجارة القوافل، ويقوم بالتصنيع عدة فئات: إيكوان (مختصين بالفخار) وإيكدماتن (مختصين بالتماثم) وإينادن وتامناد (يصنعون السروج)، وهذه الأخيرة تعتبر من مجموعات المعروفة وأبرز الصانع بالأير والأزواغ⁴.

ويمكن أن نشير أن الإنتاج لبلاد السودان كان على منوالين:

¹ _ مهدي آدامو، "الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط"، تاريخ إفريقيا العام من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، الجزء الرابع، اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت-لبنان، 1988، ص 292.

² _ لقد أسس الطوارق أغداس وإغدس ظهر ليدل على المدينة ومصطلح تيغاداس يعنى زيارة بلغة التامشاغ وحسب الروايات فان الطوارق لا يستطيعون العيش في المدينة وإنما يكتفون بالزيارة بالقرب من سلطانهم ومن هنا سمي البدو الرحل هذا المكان ب إغدس وأهله ب ايماغاداسن.

³ _ ريتشارد بوليت، الجمل والعجلة، ترجمة مروان سعد الدين، الناشر كلمة وثقافة، الإمارات، 2009، ص 131.

⁴ - nicolas, opcit, p45.

3-1- منتجات نفعية وإمدادية:

ولقد انتشرت بالصحراء الكبرى عدة مهن من الصناعة الجلدية ومهن، وهي صنائع نوعية من السروج والأقتاب وألجمتها وأزمتها والآمرة والقيود والتروس والقرب، وهذه الأدوات يصنعها حرفيون بدو في اغاديس يتركزون في الأير خاصة مدينة أغاديس والأزواغ. وباقي مضارب الطوارق التي تقع على ممرات القوافل والمصادر العربية تُشيد بهذه المنتجات الهامة لاسيما تادمكة وبالأهير (وهي منطقة إمتداد للهقار) حيث وُفر مجالها الواسع ومدخراته الطبيعية المتنوعة من قيام هذه الصنائع، والمصادر أشارت الى مادة النحاس تكدا، حيث يذكر البكري: "...حيوان يشبه الفيل ويرعى في البراري يصنعون من جلده هذه الأسواط التي تسمى بالسيرفات¹".

3-1-1- القرب:

وجلود هذه القرب غير مثقوبة من الوسط وقد تم نزعها من الماعز سليمة قدر الإمكان وأفضل أنواع القرب هي المصنوعة في السودان، ويمكن أن يحتفظ في هذه القرب بالمياه طيلة خمسة أيام دون أن تترك في الماء أثرا يجعل مذاقه غير مستساغ، أما القرب المصنوعة في المناطق الداخلية فتترك في المياه أثرا يجعل طعمه غير مستساغ بل إن رائحة الجلد تبدو واضحة في المياه، التي تحفظ فيها في اليوم التالي ولجعل جلد القرب ليينا وكذلك لإطالة عمره يشحمونه من الداخل بالزبد وأحيانا يشحمه العرب بالزيوت مما يؤدي جعل الماء بسرعة ذا طعم غير مستساغ لا يقدر على تحمله إلا العرب².

¹ _ البكري، المسالك والممالك، الجزء الثاني، تحقيق أدريان فان ليوفن و أندري فيري، الدار العربية للكتاب، 1971ص 77.

² _ هوارد (س)، أشهر الرحلات في غرب إفريقيا ، ترجمة عبدالرحمان آل الشيخ ،الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ،1996، ص150.

3-1-2- أدوات النقل: ظهرت حرفة التحميل بدواب مجهزة بمختلف السروج والمطايا والدلاء الماء وتشتهر مدينة أغاديس بصناعة الجلود كالمزود والقرباب والمزود والغرائر والتلاليس سواء لحمل الطعام والزاد من التمر المدكوك والوسائد ، وتوشى هذه بالرسوم والنقوش الدقيقة، وما ميز هذه الأدوات متانتها، وهناك أيضا منتجات تصنعها مدن الواحات أغاديس مثل النعال غير أن السلع الأكثر تخصصا كانت ومدنه مثل كانو وكاتسينا وغوبير .

3-2-المنتجات السلعية:

لقد اتخذت المنتجات شكل صنائع متنوعة فشملت العلب والتروس والمحافظ والآلات الجلدية الراقية الصنع، ولقد توفرت جملة من العوامل من وفرة النيل التي كانت تبني لها آبار وكذلك تحولها بلدات السودان إلى أمصار ملتقة حول السور المعروف "البيرني" ، حيث أن شعوب الهوسا كانوا يشتهرون بصفة خاصة بمهارة صناعتهم وأصحاب حِرْفهم ولاسيما نساجيهم وصباغيهم ودباغيهم الذين يعيشون في قرى مسورة¹.

3-3-نشأة مدن السودان:

قامت مدن السودان وإزدهرت بفضل الضرائب المحصلة على دخول القوافل حيث تأخذ عن كل حمل مقدارا من الضريبة، وكذلك أهم عامل الاستقرار حيث أن هذه الحواضر بلاد السودان عمرت بعد إن استقر المغاربة والعرب بمدن وبلدات منحني النيجر، وسكن أرضه الجاليات من العرب والبربر بينما البدو إستقروا بأطرافها وجلبوا ودجنوا عدة حيوانات من الماعز والموتون ومن الضأن، وأكثر معاشهم على كسب الأغنام وأصبح التجار ذو مكانة خاصة وأثروا على عمران المغرب والصحراويين خصوصا الذين جعلوها حرفة رئيسة فجعلتهم وجهاء بالمجتمع وكان في المدن التجارية أحياء خاصة بالمسلمين فشيّدوا فيها دورا خاصة لسكناهم تقع فوق بضائعهم فوق مستودعات وصار التبادل بين الوافدين وإخوانهم من

¹بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب العربي ،ترجمة الهادي أبولقمة والدكتور محمد عزيز، الطبعة الثانية، جامعة قاريونس، بنغازي ، ليبيا ، 1988، ص237.

مسلمي المنطقة أكثر مرونة¹، وزاد السكان وبدأ الناس بينون حاجز مصنوع من أشجار شائكة حظيرة مرتفعة الحصير، ثم صار البناء بالطوب والحجارة واحتفظت تمبكت بالسماط المميزة لمدينة صحراوية يقول ابن بطوطة أن تمبكت لها مظهر مدن الطوارق، وأن معظم سكانها ينتمون إلى قبيلة المسوفة* وأهل تمبكتو لهم بشرة سوداء ولكن الكثير من دماء البربر تجري في عروقهم وكانوا يفخرون بذلك ويزدرون بالسونغاوي الزنجاويين والفلانين ويعتبر الملتمين الطوارق أنقى تلك العناصر².

وإرتقت الكثير من مدن السودان لكثرة الجلابة إليها وهو مما لاشك فيه مفيد لسكانها ومعين على التمكن من استيطانها³، بمجيء توارق صنهاجة وقبائل السودان، وعرب الأزواد وبعض البيوتات من النسب الشريف، بالإضافة إلى المهاجرين من مصر والحجاز والأندلس من الفقهاء والعلماء والتجار، وهذا التنوع الإثني بثبكتو حركية هامة لتكوين مناخ فكري وثقافي هام ظهر مع حلول القرن الثامن الهجري، حيث أسست فيه المدارس والجوامع (جامع سنكري) وإنعكس على الحياة التعليمية، فلقد إعتبرت مركز السودان مراكز حضارية من أقاليم الدولة الإسلامية في الغرب.

4-الصنائع بالسودان الغربي :

توفرت جلود الحيوانات البرية التي تعيش في الغابات والبراري والوديان من الفيلة وحُمرالوحش والجواميس البرية، وكانت التماسيح تتواجد بكثرة في نهرالنيجر وفي روافده،

¹ _ عبد الله سالم محمد بازينه، نفس المرجع السابق، ص 153.

*ثم سافرن منها الى تنبكتو وبينها وبين النيل أربعة أميال وأكثر سكانها مسوفة أهل اللثام ويقصد بالنيل نهر النيجر والمسوفة هم الطوارق .

² _ بوفيل ، نفس المرجع السابق، ص 332.

³ _ زوليحة بن رمضان، نفس المرجع السابق، ص 454.

ويبيعون جلودها بأعلى الأثمان، وكذلك التروس من التي تتخذ من جلد اللط وجدت الأسماك النهرية بكثرة، وأعلى سمك هو سمك العنبر¹.

ولقد تمكن حرفيو الجلود من معالجة هذه الجلود بمواد محلية حيث يتم الدباغة في الفضاء ليوم واحد ويدبغونه بالقرظ ويشبه فاكهة الخروب ويسمى بتونس بمسك السندق ثم يدهنونها بالدهان الذي يستخرج من شجرة اللباب التي تفرز سائل يسمونه "مداشي" تدهن وتملس به جلود الثور والجمال والجلد المدبوغ بتبتكت يُسمى "ياتا"²، وصنعت من الجلود الألبسة الجلدية، لكن بتطور الصباغة أدى إلى ظهور مهنة الحياكة، حيث استخدمت الأقمشة النيلية بدل الجلود التي كان أغلب السود يلبسونها وصنعوا أزر من القطن، وقد إقتبسوا معرفة الألوان من التجار العرب الذين خالطوهم³.

وكانت الطوائف الصناعية في السودان أغلبهم يُشكلون فئات مغلقة تحتكر الصناعة من الغورمنتش و الغارسا، بينما عند البدو الحرفيين يُشكلون تراتبية إجتماعية متحدة، فنجد عند التيبو "الدازا" وعند الطوارق يُسمون المعلمين، وأهمية الصُناع الأساسي يقوم بتلبية الحاجيات الضرورية لمجتمع من صناعة السلاح والتأثير العظيم لبقاء هذه الحرف هو الحماية من قبل السادة فسواء عند رئيس البدو الطوارق أو الفول أو رئيس جرما* فهم يُصرون على امتلاك الأسلحة، وأن هذه الإقطاعيات في السودان أبقوا صناعا مهرة دائمين في خدمتهم ومنحهم امتيازات، وهو طريق فعال جدا لحماية مثل هذه الحرف و الفنون، ونؤكد أن الحداد الهوسا

¹ _ الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف إفريقيا ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر ، الجزء الأول ، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي بيروت -لبنان، 1983 ص 269.

² _ tuwt (abd Qdir ibn ab bakr) ,le sahara et le Soudan, traduit de l'arabe M l'abbe barges, just rouver ,libraire edititeur, paris 1852, p14.

³ _ نوري دريد عبدالقادر ، "إزدهار الصناعة والزراعة في بلاد السودان الغربي بعد القرن الخامس الهجري كما وصفته المراجع العربية الإسلامية " ، المجلة العربية للعلوم الأنسانية، المجلد 6 ، العدد 21 الكويت ، 1986 ، ص100.

أوالسونغاوي، وحتى الحرفي الطارقي لهم مناسك سحرية يؤدونها عند تزيين التحف¹، وقد أفاد الزوج من الجلود في تطوير أسلحتهم حيث صنعوا من جملة أنواع الجلود الجيدة دروعا وخودا، واتخذت الأغمة من السفن وهي جلود خشنة تقد من جلود التماسيح كما تصنع من الجلود الآلات الموسيقية وخاصة الطبل الذي كان من أهم الأدوات لدى ساكنة السودان ويصنع هذا الأخير من الخشب والجلود القوية ويدق الطبل بقوة الأيدي أو بعصا معقوفة، والطبل له استعمالات معينة ويعد كعلامة للبلاط الملكي وأحد ميزانه، والطبل يعتبر كإشارة من إشارات الحرب أو للإنذار والاحتفالات والمراسم بالإضافة إلى كل ذلك فقد كان نوع معين من أصوات الطبول يشير إلى عامة الشعب بقرب إصدار بلاغات الملك وأوامره ولذلك فصناعة الطبول كانت رائجة ويقوم بها المهرة الذين كانوا يتقنون بصنعه وتزيينه²، وتطلق كلمة "غيامي ابن تامبرا" وتعنى بالفلولانية الطبل الذي يعلو صوته كل طبل، وهو لقب كان يُنعت به المجاهد عثمان بن فودي³، وأسهمت طائفة "الغارسا" بتومبكتو في تصنيع عدة منتجات من اللجم والسروج والمساند والمهاميز وتخصصوا في مختلف الأحذية والوسائد والحقائب، أظرفة من التمام الحافظات السيف وعملهم هو إبتكار عدة أشكال على الرغم من الأدوات البدائية التي يستخدمونها⁴.

4-1- تطور الصناعة في السودان الغربي:

كان المغرب والصحراء تنتشر به صناعات من اليهود ويقال أنهم هاجروا من الصحراء إلى السودان حيث أنقلوا على السودان وطوروا من صناعاته، غير أنه تطور الصناعات بالسودان هو راجع بلا شك أن لهجرات متعددة من القبائل حيث كان بلاد السودان الغربي

¹ - Gabus , « l'exposition temporaire dans le muse d'ethnographie » , museume , vol iv n°3,1951, paris ,p175.

² _ نوري ، نفس المرجع السابق ، ص 101.

³ _ محمد لواء الدين أحمد ، الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان ، 1971 ص 84.

⁴ _ yakouba , l'industrie professionnelle tombouctou , l'hamatan , paris , 1993, p43 .

جذبا، فدخلت العديد من القوافل التجارية والتي اصطحبت معها الكثير من الصانع والحرفيين من العرب والبربر، وحتى جاليات يهودية إلى بلاد مالي النيجر وأثروا في التقنيات وفي الفنون اليومية، فالعرب تزاجوا مع السكان المحليين من السود والطوارق ونشأت فئات حرفية تدعى "أرقناتن"¹، فالحرفيون المسلمون في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى أينما سافروا تم تقديم خبراتهم ونشرها وبرزت أمصار السودان الغربي كمراكز متخصصة من مدن جاو وتومبكتو وجني وإزدهرت الصنائع الجلدية بمدنه أكثر بعد الفتح *المغربي للسودان على يد جودر في عهد الدولة السعدية الذي ترتب عليه استقرار مجموعات الصانع المغاربة المسلمين المعروفين بالأرما الذين احتكروا صناعة الأسكافة وصناعة النعال بأنواعها².

ويُشير الحسن عن تطور الصناعات بتومبكتو بقوله: "تزخر تنبكتو بكثير من الدكاكين التجار والصناع وأهم تجارتهم الثياب والأقمشة"³ وتخصصت طائفة الأرما في صنع الأحذية ودعيت مهنة الأسكافيين بالسودانية "طام تيكو" ويشغل بها الأرما، وهم من المغاربة واختصت بتصنيع النعال والخفاف و البلغة ومن الريحية، وأغلب النعال بتومبكتو كانوا يصبغونها بالأحمر والأصفر والأسود، التي يحصلون عليها من أنواع الصلصال أو من ثمر الأشجار أو صدا الحديد المخلوط بالنحاس، وأحذية النساء ذات جلد ناعم أملس تضاف إليه قطعة جلدية في مؤخرته لستر القدم ويعد هذا النوع من ملابس الطبقة الثرية، وتختلف الأنواع والأسماء حسب لون الجلد وضروب التطريز ولون الخيط المستعمل، وامتازت نعال

¹ - hinker , "identite et metier des inaden" , l'homme169,2004,pp128,148.

*إختلف المؤرخون حول حقيقة الدخول المغربي لبلاد السودان هل يُعد وصفه بالفتح أم الغزو ، للمزيد من الأطلاع راجع كتاب بداية الحكم المغربي لبلاد السودان.

² _ زوليخة بن رمضان، المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية ما بين القرنين 5 و10 هجرى ، الجزء الثاني ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، المغرب ، 2015 ، ص 383.

³ _الحسن الوزان ، نفس المصدر السابق ، ص166.

الرجال بالبساطة وأشهرها البلغة وتتخذ من جلد الماعز باللون الأصفر وتزين بخطيين متوازيين بواسطة آلة حديدية على الظهر¹.

وكانت المهن الجلدية بالسودان الغربي يعمل بها طوائف الغرانكي الذين برزوا كأكثر الفئات السودانية المختصة بصناعة الجلود واسم "الغرنكي" هو لقب عُم على الذين يشتغلون في هذه المهن الجلدية في السودان الغربي²، ومن أهم صناعاتهم هي التمام ومعظم هذه التمام كانت تحوى طلاس وشعوذة مكتوبة وقرون فيل ويبدو أن لهذه القرون قيمة عالية لأستخدامها في عمل التمام والتعاويز تحوي آيات داخل طلاس وشعوذة مكتوبة وملفوفة في جلدة، وهم يقضون وقتا في التصنيع وأرباحهم كبيرة من بيع هذه الرقى ولقد راجت صناعتها بين أوساط السودان، وتختلف مفعولها حسب طلب ورغبة كل شخص إما لجلب رغبات الملك أو لجلب سعادة أوللحمية من المرض وتستعمل أيضا لمعالجة المس³.

وهناك صناع طوارق مختصين في تصنيع هذه التمام يُطلق عليهم إسم المرابطين أو كيل السوق (الفئة المتعلمة المختصة بالدين) وعاصمتهم السوق والسوق قرية خربت في زمان أسكيا أسحاق، وهي في أرض أضغاغ.

وكان يقوم بالتصنيع في السودان الغربي فئات يُسمون بإنبيضن عند الطوارق وعند العرب في تمبكتو يُسمون هذه الفئة من الحدادين "mallem"، والتي قد تعطي فكرة عن رتبة عالية وشخصية محترمة ولعب الحدادون دورا هاما في كثير من صناعات بينما نساء المعلمين هي خبيرة قبل كل شيء في الجلود الجميلة يعمل من أجل قدر الإمكان لجذب إنتباه الأم التي تصنع وصنادل، حقائب ومحافظ، باستثناء الأحذية والسروج، وتنتشر بتومبكتو أظرفه من جلد لحفظ التبغ تدعى "البيت" بها أربع جيوب مطرز أعلى كل جيب ولكل جيب تحفظ

¹ _ Depuis yakouba ,Op. Cit ,p78.

² _ كعت، تاريخ الفتاش، تحقيق هوداس ودلافوس، مطبعة بردين، أنجي، ص 135.

³ - Across widest africa henry savage landor ,vol II , charles scribner's sons, 1907, p358.

فيه أدوات التبغ (حجرة الزناد، ورق التبغ) تتعاطى من قبل قبائل قبائل المور (قبائل صحراوية تقطن موريتانيا) ومن قبل طوارق كيل تادمكة، كيل أنتصر وتزين بمختلف بالتصاميم الهندسية وهي تعكس أثر الصناع البربر عموماً¹. (أنظر اللوحة رقم 1) وإن أغلب الإنتاج يأتي من خارج تومبكتو من بلدات الهوسا فعرف عن صانعي الجلود والأسكافيون في بلاد الهوسا، أنهم يصنعون أنواعاً مختلفة من المواد مختلف الحقائق والأكياس والأحذية والسروج والمخاد لا يزودون بلاد السودان فحسب، وإنما أيضاً يزودون أسواق بلاد إفريقيا الشمالية، ومدينة كانو كانت مركز كبيراً لصناعة الجلود

والأخفاف المصنوعة في "كانو" تجمع ما بين المتانة وقوة التحمل والذوق الرفيع وهي تصدر إلى مسافات بعيدة².

¹ -Barth(h), Voyage l'afrique spentrionale et centrale les anne 1849 , tome iv, paris , 1861 , p160.

² _ مهدي آدامو، "الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط"، تاريخ إفريقيا العام من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، الجزء الرابع، اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت-لبنان، 1988 ص 300.

4-2- الإنتاج الجلدي في السودان الأوسط:

4-2-1- الدباغة:

عولجت الجلود خاصة النوع الذي اشتهر باسم الجلد المراكشي، وهو صناعة تختص به مدينة كانو بالسودان، وكان هذا النوع يصنع من جلود الأغنام الذي انفردت به كانو¹، والعبيد (البوزو) وهؤلاء الدباغين أغلبهم ملحقين بالطورق يُسمون "البوزو"، ولقد خلقوا فرص عمل لا يُلبىها العمال الأحرار لاحتقار مثل هذه الصناعات الجلدية وتعد مدينة زندر أكبر حي لهؤلاء الدباغين ويسمى "البوغاجي"²، وكانت مضاربهم على الطرف الجنوبي الصحراوي مؤدية لمدينة "كانو" وتخصصوا بالمهن الخاصة بقطاع الصحراء وكان الحرفيون الدباغون يقومون بدور أساسي في تحريك عجلة الحياة الاقتصادية وذلك بتحويل المواد الأولية من الجلود المتنوعة (جلد ثور، جلد فهد، أسد) إلى بضائع استهلاكية قابلة للتسويق ونشروا هذه الصناعات في جميع المدن الهوسا، وهم يجوبون ضواحيه لممارسة حرفتهم من إعداد الجلود جدا على وجه السرعة بعد نقع الجلد أولا في خليط رماد الخشب والماء لتنشف شعرها، وإستخدموا أوراق الشجرة المكسرة وجعلها الجلد مرنا بقدر الإمكان بعد فركها بين اليدين، وضربها على حجر، وجلد البقر يجعل أساسا لصنع الصنادل وهناك حاجة إلى قدر أقل من العناية لإعداد من جلود الماعز والأغنام وتستخدم لجعل الأغماد السكاكين، الحافظات السيف وأحزمة الكتف والجيوب والعديد من هذه الجلود مصبوغة عادة بالأصفر أو بالأحمر³.

وكانت جميع أنشطة الدباغية وملحقاتها كالصبغة تقام في بلدة "الكورا" وهي ورشة لصبغة المنسوجات القطنية والقمصان والجلود، وكانت مقامة خارج كانو لا تبعد إلا 20 كلم عن

¹ _مادهو باننيكار، نفس المرجع السابق، ص 413.

³ _قامت محلات خارج المدن وهي التركزات التي يقيم فيها العبيد يمارسون جميع الأنشطة الحرفية خاصة الدباغية وتسمى Bougaje للمزيد من الأطلاع أنظر . Slavery commerve of production , Lovojoye هذه المحلات

³ _Moungo Park ,voyage dans l interieure de l afrique fait 1795/1796/1797,editione castera , p213.

المدينة¹ وفيها تنتشر عدة آبار، وتوفرت النباتات بالمنطقة التي تستخلص منها هذه الصباغات مثل الفوة والنيلة والزعفران والدخن والنيلة نبات يشبه العظم أو الوسمة التي تعبأ في جرار كبيرة، والصبغة السوداء المستخدمة في المغرب تصنع من المرارة وكبريتات الحديد، وبنفس الطريقة تصنع هذه الصبغة بشمالي نيجيريا مما يظهر أن لها الصباغة والدباغة لها أصل مشترك²، وتخصصت فيها بسائر شمالي نيجيريا عائلات بالهوسا " أبوبكر " إحتكرت معارف ومستحضرات تركيبه³.

4-3-الصناع المختصين:

يُورد الرحالة بارت أن مدينة كانو في القرن 19 يسكنها بما يزيد 30 ألف وكان لموقع كانو وسط منطقة زراعية جذب هام، وأغلب سكانها من التجار و الصناع، وتجمع كانو بين التجارة والتصنيع وتبرز أهمية الصناعات بأنها أفلحت في خلق إطار من الحرفيين الممتازين وبالأذات في مجال صناعة النسيج والصباغة ودبغ الجلود⁴، وبلغ الصناع مستوى رفيعا نسبيا من الإنتاج بفضل تقييم العمل والتخصص وكانت صناعة النسيج تحتل المرتبة الأولى (الأقمصة والألبسة القطنية).

وبلغت تطور في تصنيع الأدوات الجلدية مثل النعال والعلب البخور والجبيرة خرج الجمل والوسائد التي تفيد كمنتجات وكأظرفه ويُعزى إلى طوائف الجاليات ومهاجري الشمال الأفريقي (من غدامس وتوات) دور هام، حيث إشتراكوا مع الصناع بمدينة "كانو" ويُوصفون بكونهم من أخص الصناع في النعال وصناعة الجبيرة فيجعلون جلد الماعز لصنع الصنادل،

¹ _ هوبكنز، التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية، ترجمة أحمد توفيق بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة - مصر، 1998، 78.

² _ Wilferd d.hamply ,culture of areas of nigeria , filed museume of natural history ,vol xxi ,no 3.chicago ,1893 p 422.

³ _ Gabus ,au sahara art et symboles ,la baconnier ,neuchatel,1998 ,p 334.

⁴ _ بوفيل، نفس المرجع السابق، ص 394.

في حين يستخدمون جلود الأغنام والماعز لصنع الأغمد للسيوف والسكاكين ومجمل أدوات الحلاقة¹.

4-4- سمات تصنيع الجلود بالسودان الأوسط:

تتنوع صناعة الأدوات المرتبطة بالصيد والحرب وسلاح الفرسان ومعدات الأحصنة، ورغم أن هذه الأدوات لم تعد مصدرا حاليا للقوة العسكرية، إلا أنه لا يزال رمزا للثروة والهيبة وتسمى بأسمائها السودانية وهي الدرع (سلكي) والدركة (غزه كو) والترس (كور) ثم مداس (حذاء) أمراء السودان يسمى تالكمي جمنا وهو مطرز بربيش النعام ، السرج (سردن دامس) مغلف بجلد النمر².

ويصنع السراجون جميع معدات السروج من اللجم وأكياس سرج المهاري وحمالات طويلة لحمل السيف والتي علقت كزينة (الصورة رقم 5) وهي مطرزة للغاية بالقطن والجلود بألوان مختلفة ويحرص السودانيون على هاته الأدوات لأنها من تجهيزاتهم الضرورية مع ملاحظة أن جميع القبائل المحاربون من Fulbe، وخاصة المقاتلين الشجعان من Fogha كانت خيولهم مجهزة تقريبا ومزينة "بالكرورة" وهو نوع من الصفوف وحلقات الأنف وأجراس قلائد الرقبة لتزيين الجمال³ ويمتلك طوارق السودان (كيل غري وكيل أواي) معدات هامة من اللجم المضفورة والأحزمة التي تكون مزودة بالقلايدات وبالأجراس المثاثة لها وظيفة قعقعة الأصوات وإحداث الجلبة ولها قيمة رمزية، حيث كانت بعض الأجراس المخروطية كدروع وقائية تحمي الدابة من الأرواح الشريرة ، كآن الشكل الهرمي أصبح حرزا أو رسدا يحمي

¹ _ Wilferd d.hamply ,op cit,p423.

² -Hunwick ,_"Your yumble servant the mémoire of abd allah ghadamamisi of kan 1903-1908" , sudanic africa , vol 9, (1998),p104.

³ _barth , op. cit , p162 .

الدابة¹ وهناك منتج آخر من منتج السروج يصنعه السراجون وهي خفاف الفرسان، وتصنع من جلد الفيلاي الأحمر وهو جلد غليظ يصل حتى إلى الساق ويزين بأصبغة (أنظر اللوحة رقم 2) لكي يحميه من الأشواك والأحراش².

وإن صناعة هذه المنتجات والآلات السودانية وتطريزها بالقطن والحرير، هي تذكرنا تماما بنفس النوع المستخدم في طرابلس وفي تونس وهذا واضح للغاية من أن فن التطريز على الجلود والسروج في السودان يأتي من عُمال الشمال، غير أنه نؤكد أن المنتجات الجلدية عند السودان إتخذت سمات وأساليب فنية محلية ، خاصة وتختلف اختلافاً كبيراً في الحجم والمواد والتقنيات الزخرفية عن أسلوب الشمال³.

ذلك أن ما يميز بشكل كبير الأعمال الجلدية في شمال نيجيريا وفي جنوب الصحراء الكبرى لدى قبائل Tuareg وMaure وكذلك الفئات التي تعود أصولها إلى الهوسا، أنها تميل إلى الجمع بين القماش مع التطريز بقطع من الجلود الزخرفية، في تصنيع مختلف الأدوات الجلدية بالأساليب التالية:

-**توندو:** تحاك دوائر من خيوط حرير بلون أحمر على الجلود الخضراء.

-**السامبارا:** نوع من الحياكة منفذة بخيوط جلدية بيضاء متناوبة لتعطي مظهراً فنياً.

-**دائرة من جلد أخضر** ويتم تفريغها ونحتها لتتباين مع اللون الأصلي الأحمر وهو اللون الأصلي للقطعة (أنظر اللوحة رقم 3).

¹ _ محمد مصرى فوزى رحيل ، "مكارية القاهرة في عصر سلاطين المماليك" ،مجلة أفاق التراث والثقافة"، العدد 64 ،مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، 2016 ، ص79.

² _ Foureau(lamy) ,esquisse ethnographique touareg l'air ,mission scientifique ,,Tome II, Paris, Masson, 1905, p923.

³ _ibid , p923.

ومن جهة أخرى يتميز تنفيذ الأعمال الجلدية من قبل حرفيين من البامبارا و المانديغو بأنه يمتاز التطريز على الجلد بألياف النخيل وتستخدم على أغمد السكين، وعلى أنواع مختلفة من الحقائب والحقائب وأغمد السيف، والصنادل والسيوف والأغمد والعنصر المميز للغمد هو توسيعه نحو النهاية تطوقها سلسلة من أزرار عريضة وللغمد أهداب المزينة عادةً بتصميمات مطلية أو منقوشة أو مقشرة، وتُظهر ميزات هذه السيوف والأغمد عن نماذج صنعة خاصة بالطوارق ومعظمها يتم تحديدها على أنها صنعة هوسا¹. (الصورة 7).

4-5- الأدوات الجلدية بالسودان:

4-5-1- الحقائب :

إن العمل الفني على الجلد عند قبائل السودان والطوارق يظهر في تزيين منتجات الحقائب والغرائر المتنوعة بدقة ومهارة عاليه، وتُعد حقيبة السرج الجبيرة " sadllebag " منتج جلدي هام ومستعمل بكثرة عند البدو الرحل ، يستخدم كحقيبة سرج أو حقيبة سفر كيل أوأي وكيل غرس ، بتطريز جميل جدا بالقطن والجلد بكل لون ؛ هذه الحقائب الكبيرة تعلق على سرج الجمل؛ مع حامل السيف، ويعرف في الواحات بالقرب (الجرب) وعند الطوارق أغراج هي مزينة ومطرزة بقطع جملة من قطن جلود من عدة ألوان تنفذ بسيور رقيقة وعدة رسوم تنفذ بعد نزع جزء من الجلد² .

ويُصنع أيضا منتج الجبيرة وتاسوفرا وله عدة أنماط بالصحراء ومالي وموريتانيا،* وتتركز صناعة "الجبيرة" بأغاديس في منطقة الأير، ويتم تصنيعها من قبل النساء بالهوسا، وهي تتميز بشكلها المربع وأسلوب زخرفتها متباين بخلفية حمراء وتطعم برقاقات خضراء وبدوائر

¹ _ barbara E.frank , " Open Borders Style and Ethnic Identity " , African Arts, Vol. 20, No. 4 (Aug., 1987,p50.

² -Foureau lamy,opcit,p

*تتميز زخرفة الحقائب التاسوفر بمالي وموريتانيا بإسلوب الصباغة بعناصر زخرفية مركزية ولا يستعملون الصباغة بالأخضر .

بخيوط حريرية تسمى بالتوندو، والحقيبة لها إثنين من الجيوب وغطاء الجيب ويتم استخدامه من قبل رجال الطوارق الذين يحتفظون بملابسهم وممتلكاتهم الشخصية الأخرى، بالإضافة إلى قيمتها الوظيفية يتم ارتداؤها فقط في المناسبات الخاصة¹.

منتج آخر من حقائب السروج يظهر في غرب إفريقيا يمكن تحديدها ويمكن نسبتها إلى مجموعة عرقية معينة وهو نوع من الأكياس المعقدة والمميزة في الأسلوب ذو شكل شبه منحرف وله خمس إلى سبع دوائر مزخرفة، عادة من الجلد الأبيض والقماش الأحمر مثبتة على بدن الكيس، وغالبا ما تحتوي الحقيبة على تصميمات مطرزة معقدة تعلق على الجزء السفلي من الحواف الضيقة الطويلة والمزينة بأشكال مطلية ومزخرفة ومحفورة، وغالبا ما يتم تحديد هذا النوع من الأكياس في سجلات المتاحف على أنه سرج وتم توثيقه في غانا بذلك واقترن استعماله بالهبة² (أنظر اللوحة رقم 4).

4-5-2- المحافظ:

هناك منتج المحافظ ويستعمل في جميع أنحاء غرب وشمال إفريقيا بين الطوارق والسود ومن أنواعه طرابلت وتافندوك ويستخدم هذا الأخير أداة لاحتواء حفظ التبغ عند قبائل طوارق كيل غرس موجودة في محفظة من نوع خاص جدًا سوداء مستطيلة تتكون من جيوب مختلفة كل منها مزود بعلامة تبويب صغيرة قابلة للطي، فجيب يخصص ورقة التبغ وعيدان النار، والمحفظة مطرزة بألوان وتصاميم مختلفة، وأنيق للغاية، ويتم تعليقها من الحبال التي تنزلق عليها وكل هذه الأشياء بشكل عام هي أكثر جمالا عندما يذهب المرء نحو طوارق الشرق

¹-barth ,opcit,p26.

² -barbera ,Op. Cit,p51.

ربما يرجع ذلك إلى تأثير الهوسا ،ولكن من المؤكد أن الزخرفة في طوارق الغرب أبسط ومعتنى بها جيداً والألوان المستخدمة متنوعة وغنية ونادراً ما تستخدم التطريز¹.

4-5-3-العلب الجلدية:

يختص الصناع السودانيون بتصنيع صناديق صغيرة مختلفة من الجلد تستخدمه نساء الطوارق كصناديق مجوهرات، والتبغ ،وأول من أشار إلى هذه العلب هو الرحالة الأوربي بارت ،وشاهد هذه الصناديق في السوق في منطقة كاتانغا في Agadès ووصفها بأصالة الشكل وجمال الديكور، وعاش هؤلاء الحرفيون في منطقة أوبيتارا إلى الجنوب الشرقي من المدينة².

وإن تصنيع هذه العلب تمثل أساساً للطراز السوداني للفنون الجلدية لتقنيات تصنيعها العالية، وإن تطور الحضارة السودانية كان مُجَملًا في اتخاذ مثل هذه العلب التي تصنع من جلد البعير فتظهر بشكلها المخروطي محكمة الصنع كأنها خرطت خرطاً وتبرز على المستوى الفني في ملء سطحها بزخارف بأسلوب الحز تتشابه بطريقة زخرفة قبائل الفلان المتخذة على القرع*، ويتم تصنيع هذه العلب ويمر تصنيعها بالمراحل الآتية:

4-6-تحضير الجلد:

في كثير من الأحيان هذه الصناديق كانت مصنوعة من ضروع الإبل ويمكن أن تصنع من جلد الثور أو البقر أو الإبل، ويمكن إستخدام جميع أجزاء الجلد مثل(جلود الأغنام والماعز الرقيقة) ثم يتم تنعيم الجلد الخام والجاف في الماء لعدة أيام ، ثم إزالته عن طريق

¹ -zelnter, « les touareg du sud », The Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, Vol. 44 (Jul - Dec, 1914), pp. 351-375.

² -Barth , Op. Cit,p260.

*وصف ابن بطوطة هذه القرع بأنه يكثر بالسودان ومنه تصنع الجفان يقطعون القرعة نصفين فيصنعون منها جفنتين وينقشونها نقشا حسنا.

كشط إلتصاقات اللحم والدهون، بعد نشره على حجر كبير مسطح وناعم وكشطه بنوع من القطاعة ذات الشكل الخاص (شفرة حديدية شبه منحرفة مع حافة منحنية ومقبض خشبي قصير) تمسك الأداة بالمقبض مستقرًا على راحة اليد وممسكًا بثلاثة أصابع وتمسك السبابة والأصابع الوسطى المدعومة على الشفرة بشكل أفقي تقريبًا ويتم تجفيفه في النهاية وإعادته للنقع في الماء¹.

4-6-1- صناعة القالب من الطين:

يتم صنع ذو شكل بيضاوي من الطين ويجعل في أسفله ثقب لتسهيل عملية تشكيل الجلد لاحقًا، والتي تتم عن طريق كسر القالب ويترك ليجف القالب في الظل لمدة يوم كامل.

4-6-2- تلبيس الجلد على القالب: صب الجلد على القالب

يبدأ الحرفي بفرك سطح القالب بأرضية من الحجر الجيري الأبيض وهذا الطلاء سيمنع الجلد الرطب من الالتصاق بالقالب الطيني وسيسهل إطلاقه من القالب، ويتم تشكيل الجلد على مرحلتين: الصندوق أولاً، ثم الغطاء.

أ- الصندوق:

يتم قطع قطعة كبيرة من الجلد بعرض 10 إلى 12 سم من الجلد ويتم تلبيسها على جانبي الأنية الطينية، تاركة جزء مخروطي الشكل المركزي في الجزء السفلي مكشوفًا ؛ ويتم تطبيق الجلدة بعناية تامة ولا يترك الصانع أي تجاعيد بينما الجزء السفلي مغطى بقطعة مستديرة من الجلد ذات حواف رفيعة جدًا بحيث يكون الاتصال بين الجزء السفلي والجلد غير مرئي تمامًا بعد التجفيف، علاوة على ذلك يكون الجلد دائمًا رقيقًا للغاية².

¹ -Dudot, « Boîtes en peau non tannée », Encyclopédie berbère, beni iseguen –bouzeis , 1991,p1559.

² -Dudot, Op. Cit, p1560.

ب-الغطاء :

هذا الجزء من الجلد الذي يشكل غطاء، يتم تغطية الطرف المخروطي بالحجر الجيري المسحوق ويتم تسوية حواف الجزء الأول بآلة حادة، ثم يتم طلاؤها بقليل من الشحم لتجنب التصاق جلد الغطاء الذي سيغطيها 2 إلى 3 سم، ثم يدمج بين الجزء الأعلى والأسفل بتطبيق الجلد الثاني على الحافة ويمدد جيدًا في جميع الاتجاهات ليتناسب تمامًا مع شكل القالب. يتم بعد ذلك ربط حواف الأنية برباط من الليف أو الدوم لمنع تقلص الجلد عند التجفيف، ويترك ليجف ويستمر يومًا واحدًا في الظل، والصناديق الصغيرة تصنع من قطعة واحدة من الجلد وبالنسبة للصناديق الصغيرة جدًا (يصل طولها 7سم)، لا يتم تجويف قالب الطين لأنه يمكن أن ينكسر بسهولة بعد التجفيف¹.

ج-زخرفة وصبغ الصناديق:

هذا الجزء من العمل يقوم به النساء الحرفيات، حيث الزخرفة دائمًا على أغطية الصناديق والجزء الآخر مصبوغ ببساطة، يتم الحصول على تصميم الزخرفة على الأغطية من خلال تطبيق خيوط شمعية ملفوفة يدويًا وفقًا لتصميمات هندسية بسيطة للغاية من خطوط متوازية، متعرجة، مثلثات، لولب ، دوائر نقاط ، صلبان ثم يتم وضع الصندوق في حوض حيث يتم رشه بالصبغة، وبعد التجفيف تتم إزالة خيوط الشمع وتظهر التصميمات الزخرفية واضحة (لون جلد الرق) على خلفية حمراء بني، وتجدر الإشارة إلى أن هذه العمليات تتم قبل إزالة الصبغ، ويتم تزيين العلبة من قبل أشرطة تدور على كامل القطعة وتقسّم القطعة إلى أجزاء بعدها يتبع المزين بآلة حادة ويكشط الأجزاء المحددة وتتباين الزخارف والرسوم ما بين أرباع و زُكُنِيَّات وهذا هو المكان الذي تكمن فيه مهارة الصانع؛

¹ -ibid,1561.

وتعمل الزخارف بسكين مع نصل هلالى بحز رسومات على الجلد وهو رطب قطع إلى سلسلة أشرطة رقيقة¹.

د-تجويف الآنية:

يقوم الحرفي بحمل الصندوق في يده اليسرى وينقر على الحافة مع أداة حادة أو بعظم وسرعان ما ينكسر القالب المجوف وتصبح الجلدة هي الصندوق .

4-6-3- مراكز صناعة العلب:

إن انتشار هذه العلب في كل أرجاء وبلدات السودان وتتمثل علب مركز تومبكتو بأن هذه العلب صحراوية الصناديق في هذه المنطقة هي بالتأكيد من أصل صحراوي ، ذات شكل شبه أسطواني الشكل غطاء مقبب وتستعمل عادة لاحتواء التبغ ،الذي يبقى طازجاً جداً والجلود خضع لتحضير خاص لا يتدهور أثناء الشتاء كديكور هذه أنماط هندسية بسيطة للغاية غالباً ما تكون مشعة، مرسومة باللون الأحمر الباهت على الرغم من أنها أكثر تواضعاً، إلا أنها تذكرنا بالصناديق الجلدية الصحراوية الشائعة الاستخدام بين البدو ورسمت في كثير من الأحيان، إما عن طريق الرسومات المرسومة باللون الأحمر الشاحب، و إما عن طريق عملية الديكور المعروفة من تغطية الأماكن بالشمع لا نريد أن نراها ملونة وفي البقية ننشر صبغة الخضار البني، وبعد التجفيف نقوم بإزالة الشمع والرسومات تظهر باللون الأصفر(لون الجلد) على خلفية حمراء، وأهم الزخارف هي ختم سليمان وخطوط هندسية ومع ذلك وهي أنماط مشابهة تقريباً على الفخار الأحمر بتصاميم بيضاء ،من المقابر المصرية لما قبل التاريخ².

¹ – wilferd hampl , Op. Cit, p423.

² – Zeltner F. de, « Les boîtes en cuir du Soudan », Journal de la Soc. des Africanistes, t. 2, 1932, p26.

ويتمثل طراز علب الهوسا بعلب ذات لون أصفر فاتح ،وشفاف للغاية؛ ليس لها ديكور خارجي القاع مقبب قليلاً ؛ لها زخرفة غريبة صليب تتكون من خيوط قطنية أرجوانية وخضراء ، يتم لصقها في الأسفل وفيها مثلثات متكونة ولصقنا خيوط قطن أخرى.

ويتمثل المركز الثالث في "أغاديس" وتميزت هذه الصناديق بهذه المنطقة بأن لها خصائص مختلفة مثيرة للإعجاب فبينما شكلها في الغرب هو شكل اسطوانة مسطحة غطاء والديكور الهندسي الأحمر الواضح إلى حد ما و يستعملونها لوضع السعوط بينما عند طوارق الشرق، على العكس من ذلك نجد أن الزخرفة الهندسية دائماً حمراء داكن والغطاء أعلى بكثير من الصندوق مخروطي الشكل مع قسم ogival وتحوي زينة ورسومات متنوعة تبرز باللون الأحمر الداكن وأسفل الصندوق باللون الأصفر الفاتح و الشفاف وأصناف الزينة التي نلاحظها ترتيبات الزينة التي يمكن تلخيصها على النحو التالي:1-الجزء السفلي من الصندوق بدون زخرفه مصبوغ باللون الأحمر.

-غطاء الصناديق المسطحة مزخرف بالجزء الأسطواني،مزين بأسنان الذئب والخطوط الأفقية وعادة ما يكون خطوط وإطارات في الأعلى مزيّناً بعلامة دوامة على خلفية حمراء¹. (أنظر الشكل رقم 10)

وفي الأخير نموذج آخر من البطة وهي تمثل حاوية كبيرة للزبدة والعسل وهو وفير بما فيه الكفاية بالسودان ويخزن العسل في بعض الأحيان في جرار من الطين أو في القرع البيضاء، وأحياناً في قارورات من الجلود، كذلك الموجودة في خيم الطوارق وهي تشبه حاوية أما زيغ الشمال وبالضبط أمازيغ جرجرة بني دواله*، ويتم صباغتها على الخارج بأصباغ حمراء وسوداء، وتصنع بشمالي نيجريا بالجلد القاسي مضاف إليه بعض الفضلات

¹-Creyaufmüller, Wolfgang, Völker der sahara mauren and twareg , Linden Museum Stuttgart. Staatliches Museum für Völkerkunde,p75.

* بني دواله قبيلة بربرية تقيم في الجزائر بولاية تيزي وزو .

وتكون مغلقة من قبل قطعة من الرق مطبقة على فم الرقبة* وهذه القارورات لها مقبضان صغيران من الجلد مثبتان على جانبي بدن القارورة ، ومقبض ثالث في الجزء العلوي من الغطاء يسمحان في نفس الوقت ، بحمل المزهريّة وتعليقها وإبقاء الغطاء مغلقاً بفضل حزام جلدي يربط ثلاثة مقابض¹.

وفي الماضي، كان مصنّعو صناديق الجلد يستخدمون الحيوانات الصغيرة والخيول والجمال لصنع ألعاب للأطفال، باستخدام نفس المواد².

4-6-4- نماذج من الصناديق والعلب:

أ- **باطا باطا**: يعني الصندوق البيضاوي بأحجام مختلفة ويسمى عند الطوارق البواتن.

ب- **طولون**: باتا التي تم تسوية الجزء العلوي من الغطاء ؛ شكله يذكر بوعاء الماء .

ج- **تاندو**: صندوق كروي بأحجام مختلفة، يستخدم في كثير من الأحيان لحفظ مادة تستعمل للحفاظ على رائحة اللثة أو البخور (توراري في الهوسا) .

د- **صندوقو**: صندوق مستطيل الشكل ، وهذه الكلمة تعني الصندوق عند قبائل هوسا.

هـ- **Kounkouro** علبة مضلعة على شكل لوز أو بيضاوي أو معينات، وتعني هذه الكلمة بالهوسا الثعبان .

و- **Tasambow** : علب مثلثة تشبه الألواح الملح المجلوبة من تيجيدا .

ز- **الواتا** : صندوق على شكل نصف القمر ؛ ولسان الطوارق يسمى القمر تليت³.

*تسمى بالعفاص وهي كل جلدة يغطى به رأس القارورة وهو الجلد الذي يلبس بها رأسها كأنه الوعاء لها .

¹ - wilferd hampl, Op. Cit, p424.

² -Dudot ,Op. Cit ,p1563.

³ -dudot,opcit,,p1564.

ولاشك من أن كثيرا من الأساليب الفنية الهندسية التي تزين هذه العلب (خط منعرج ونجمة داود ولولبية) وغيرها من منتجات العلب الجلد خاصة في علب طوارق الأير بأغاديس أنها من مميزات فنون البربر وساكني شمال إفريقيا، حيث أنهم كذلك يستعملون هذه الأشكال الزخرفية الهندسية والتخطيط المثلثي، كما تظهر زخرفة عناصر حلزونية بشكل خاص في زخرفة هذه الصناديق الجلدية المقولبة بنيجريا؛ وهذه الأساليب يبدو أنها من النماذج التقليدية التي يعود تاريخها إلى فترة عالية جدا لعصور قديمة من العصور الصحراوية في وقت كانت فيه الثيران هي حيوان الجر بالصحراء، ونُقل هذا الأسلوب من رعاة الثيران لأنهم لجئوا في المنطقة السودانية وهذا اللقاء ما بين فنون شمال نيجريا مع الفن الطارقي يمكن تفسيره من خلال التشابه ومصادفة عرضية بين فنيين بدائيين¹، غير أننا نؤكد على انتقال هذه الزخارف من الشمال الأفريقي إلى بلاد السودان وأن الوحدة الحضارية بين شمال إفريقيا والسودان وغرب إفريقيا لم تنقطع وتدعمت أكثر في الفترات الإسلامية بحكم التجارة مما كان سببا لانتقال عبره مؤثرات حضارية تجلت في الصنائع الفخارية والصياغة والمشغولات الجلدية والأدوات الموسيقية وتزيين المخطوطات وذلك كله من شمال إفريقيا إلى شمالي نيجريا عبر الصحاري².

4-6-5- النعال:

اشتهرت مدينة كانو بصناعة نعال تعرف "تمبا تمبا" وجاوزت شهرته عبر مناطق واسعة إلى شمال إفريقيا ويطلق "أغتمين" على نوع آخر عالي الجودة يتكون نعله من طبقات مختلفة وبالتالي فهو قوي للغاية، وهو مصنوع حصرياً ومحبوبة من قبل الطوارق، كما لا يغوص في التربة الرملية الناعمة بل يتم نزعها بسرعة وهو أمر مهم بشكل خاص لأهل

¹ _ KILLIAN C, "L'art des Touaregs", La Renaissance, n° 711, paris ,1934,p153.

² _wilfied hamplly ,Op. Cit , p438.

كوار بتيبستي الذين يركبون جمالهم حافي القدمين بالإضافة إلى ذلك، غالبا ما يتم تزيين الصنادل وتزويدها بأنماط صغيرة ويفضلها الطوارق الأثرياء.

ويصنع هذا الصندل أو النعل من قطعة من الجلد مصقولة بشكل يكون حجمها بقدر حجم القدم وتتمثل الأدوات لدى حرفي النعال في المخراز وقرن ومدقة وسكينة، ويمسك الصانع جلد الثور الذي قطعه أولا وأعدّه بشكل النعل المطلوب بأنماط ورقية، ثم يبيله في وعاء الماء، ويثقبه بالمخراز ويدخل فيها السيور ويستعين العامل بأسنانه ثم يحكم عقدها ويتم صنع النعل بعدة طبقات حمراء وصفراء ويصنع الكعب من جلود الأبقار أما وجه الصندل فيستخدم جلد الماعز وأشرطة ملونة وطبقات من جلد الأحمر و الأصفر ثم يقطع شريط عريض يثبت به النعل ويمر بها أصبع القدم الكبير، وتمر بمحاذاة كعب القدم وتسد بعد ذلك من الخلف أو الجانب على شكل عقدة والثقوب المعمولة لمرور الأشرطة إذ توضع فوق كعب القدم على هيئة حلقتين لإمرار الأشرطة¹، ويمكن أن نميز منتج بلاد السودان في الأحذية من خلال المنتجات التالية:

أ-البغلة: تمبا تمبا نوع راقي من النعال ويلبسها أهل الصحراء لخفتها وهي تصنع في كانو. وهناك نوع يعرف بإغتمين ويصنع في أغادس.

ب-الأيمركدان: نعال خشنة تلبس في المناطق العالية والجبلية كالهقار.

5-التجارة ومبيعات المنتجات الجلدية في بلاد السودان:

إن انتعاش السودان الأوسط تجاريا كان بفضل تدفق التجار إلى بلاد الهوسا مما كان له دور ببروز عدة مراكز صناعية متخصصة منتشرة عبر أقاليم متسعة من الصحراء من كاتسينا وسوكوتو وكانو التي كانت ترد إليها قوافل طارقة سنويا محملة بالملح مقابل الصنائع ومنتجات السودان، ولقد كان التجار من شمال إفريقيا يجدون في طلب الذهب

¹ _wilferd ,Op. Cit, p420.

والكورو¹والعبيد والعاج وروائح الزباد* والأقمشة، والمنتجات الجلدية وتتفاوت هاته المراكز الصناعية ببلاد السودان التي تصنع بها الصنائع على قدر عمرانها، فقد اختصت كانو وزندر ودمرغو بصنائع القرب وجلود الماعز المدبوغة ومن بورنو النيلة وجلود النمر والأسود² والأزمة الجلدية والأعنة والأحذية و أغمدة السيوف وبمنتجات أخرى كالصناديق والأظرفة الجلدية والتروس والآلات الحربية التي تغلف بجلود نادرة ويحلونها بزخارف ومنقوش عليها بزينة بدیعة برقاقات خضراء³.

إن السياق الذي نشأت فيه الصنائع السودانية هو متعلق أولاً بحاجيات هذه العدو من شمال إفريقيا والصحراء باعتبارهم بدوا يحتاجون إلى ما في الأمصار من الملبوس والأوعية والمصنوعات، ولطلباتهم أن زادت مجمل الصنائع، فالتجارة الخارجية هي التي استخرجت هذا القطاع الصناعي⁴، فلقد كان تجار الشماليين يجدون في طلب منتجات المنطقة لندرتها ولقيمتها، وتحددت العملية أكثر لإنتاج سلع السودان مقابل التبادل مع تجار شمال إفريقيا كنوع من أنواع العمل الحضري، حيث ينتقل المنتج فيه من أيدي صناع السودان إلى أيدي التجار وطرف آخر⁵، وكان التبادل في أهم منطقة ألا وهو السوق ويتم التبادل في سوق طاوة يشرف عليه "ساركي كوسا" ويعاونه ساركين "بوزا"، وهو بمثابة الوزير يفهم لغة المصر الجامع الهاوسا وكذلك يفهم كل لهجات الطوارق المختلفة⁶ من أربع أو خمس لغات من لغة tamacheك وتدخل تحت أشكالها المختلفة أشكال من اللهجات من الهقار وإيلوميدان، وكيل

¹ _ الكورو فكهة تشبه الجوزة وعندما تيبس هذه الثمرة تشبه حبة القسطل ويطلق عليها كولا.

* _ الزباد هي روائح تستخرج من القطط البرية وتقرزها بعد تهيجها .

² _cohen ,Mots usuels de la langue arabe , adolphe , jordan , alger 1897 ,p 243.

³ _Foureau lamy ,Op. Cit, p922.

⁴ _هوبكنز، التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية، ترجمة أحمد توفيق بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة - مصر ، 1998، ص 122.

⁵ _Arnauld john , Regional market système developement and changer in relation of production in three communites in zinder province ,the niger publique ,copyrit university arizona,1982,p167.

⁶ _Bibliotheque et musées de la ville neuchatel, clichés nussabaumer, suisse , 1953, p75.

غريس، مفصولة عن بعضها البعض بمئات الكيلومترات كل لهم تعبيراتهم الخاصة، ويندرج تحت حكم الطوارق من الأسرى السابقين للطوارق إكلان، ويوجد عدد كبير من من أزواغ وهم أيضا من الأسرى السابقين الذين يشير إليهم باسم « Bouzzou »¹.

وتعد أغاديس أكبر سوق يعمره الطوارق لما ينتهي إليه من هاته الصنائع من سائر أقطارالسودان الأوسط، وأنه كان لموقعها الأوسط أن بوأها وجعلها كمركز رئيسي للتجميع والخن للسلع خاصة المواصلات متوفرة لا تبعد عن المراكز السودانية إلا مراحل معدودة:

- من أغاديس 20 يوم عن كاتسينا
- عشرين يوم عن بورنو .
- وأربعة أيام عن بجزام وخمس وثلاثين يوم عن غات.
- أربعين يوم من توات² .

5-1-تجارة الجلد المادة الخام:

يجئ من بلاد السودان أنواع من جلود الماعز مدبوغة دباعة عجيبة الجلد الواحد يكون غليظا كبيرا محببا في لون البنفسج إلى السواد ويكون الجلد الواحد بعشر مثاقيل، وهي جلود الخراف والماعز المدبوغة والمصبوغة جيدا وألوانها الأحمر والأصفر والأسود³. والجلد الخام من جلود الثور يُسمى كولاو ويباع ب3 دولارات بينما جلود الأسود والمفتروسة تجلب من بلاد الكانم، ولقد خبر التجار الشماليون الجلود ولهم معايير دقيقة لجلبها ومايزوا بين نوعياته وكانت تنقص أو تزيد حسب من الغلظة والاستواء وأهم معايير انتقاء الجلد الخام كالآتي :

¹ _ Gabus , « Civilisation contact » , acta tropica-ethnographie , n 1,1948,p33.

² _ جون فرانسيس ليون، من فزان الى طرابلس، ترجمة مصطفى جودة، الدار العربية للكتاب، ليبيا -تونس، 1976م، ص100.

³ - أبو حامدا الأندلسي الغرناطي ، تحفة الألباب ونخبة الأعجاب ، تحقيق إسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،رويبة -الجزائر ،1993 ،ص 43.

- إذا كانت الجلد مجففا في الشمس ينزل سعرا عن المجفف في الظل.
- إن كان ممسوسا في المطر ينقص سعره.
- إذا كان شئ من الطفح الجلدي لأنه أقل نوعية من الجلود المستوية.
- إذا كانت جلود الحيوانات رقيقة وبدون دهن ينزل سعره ¹.

وأما الجلد المصنع فيجلب التجار مختلف المصنوعات الجلدية الوسائد ومن ألوانها الأحمر والأصفر عليها رسومات بالصبغ الأزرق والأسود، وشرابات تتدلى من نهايتها وبيعت جلود الثيران بمقدار كبير حيث وصلت مبيعاته إلى 5مئة ألف من الأصداف (الكوري) وكلابو هو نوع من جلود الثيران تباع القطعة الواحدة منها ب 5 دولار ².

5-2- قافلة طوارق الهقار:

كانت المناطق المحيطة من الهقار وطوارق الأيلوميدان، تنتج فائضا كبيرا من الغذاء والسمن والألبان والمواد الخام مما يمكن نقله بسهولة إلى السوق بينما مدينة أغاديس تقايزهم بالصنائع وبعض الثمار البرية من الكمأة التي أشار إليها ليون الأفريقي بأنها يملأونها في دنان، ويأتي البدو إيلوميدان بالمواشي وطوارق الهقار بالملح والجبن والماعز والملح، وتأتي قبائل كيل أهنت بالجبن، ويتجمع الطوارق في سبخة الأمادور، يؤلفون سبع آلاف جمل يأخذون طريقهم إلى زندر ينظمون لقافلة طرابلس، التي تأخذ ملح الدامرغو المرغوب فيه والأغنام والمعز ولحم الجمل والسمن والجبن المجفف، وبضائع الجلود المصنوعة والألبسة الصوفية والراحلة ويبيع التجار هذه السلع بالتبادل بقطع القماش مختلف السلع من الصوف والتمور والكتان وأغلفة السيوف والعمائر والمزاد والوسائد الجلدية والعسل

¹ _ Arnould john ,Op. Cit ,p517.

² _ جون فرانسيس، نفس المرجع السابق، ص 123.

والنبال والخناجر والتروس الدروع السودانية الملاحف ويحملونها بعدها إلى ذلك في أسواق تيديكلت وأغاديس وتمبوكتو وتشاد¹.

يشترى الهقاريون خاصة الأيموهاج وبعض الأسر الغنية ،هذه السروج الراحلة وباقي الصنائع وغيرها في الأير بالأسعار عن طريق التبادل بقطع قماش "الشقة".

- **الراحلة:** وهى سروج رفيعة وأيضا أطقم من الزمام خزامة ومن الجبيرة؛
- **السرج** تكون مغلفة من جلد الأسود أو النمر تبدل ب15 مھارى لندرته؛
- **القرباب:** تشتري بقطعة قماش ذات مقاس من 10 إلى 40 مقطع كودي؛
- **الوسادة:** بقطعة قماش ذات مقاس من 5 إلى 10 كودي²؛
- **المزود:** بقطعة قماش ذات مقاس 5 إلى 10 كودي.
- **التروس:** بقطع ذات مقاس من 1 إلى 6 قطع من القماش وتجلب خاصة من الألكابوس وهي منطقة تقع في الهوسا³.
- **علبة من جلد الراحلة:** من قطعة من 4 إلى 5 كودي.
- **البطة** تباع بعشر قطع دراعة.
- **الأغمدة** تباع ب: 1 قطعة ونصف مقطع.
- **البطة:** 10 مقطع.
- **وسادة :** 10 قطع⁴.
- **علبة من جلد الراحلة** من بقطعة من 4 إلى 5 كودي⁵.

¹ - يحي بوعزيز، "الأسواق ومدن الصحراء الكبرى كما وجدها الرحالة الأوروبيون"، ملتقى تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، المنظمة العربية للثقافة والعلوم والتربية، 1984، ص 134.

² _ نفسه، ص 135.

³ - hanoteau , essai du grammaire de la langue tamacheque adolphe jourdan , alger , 1896 , p215

⁴ _ Bissuelle(h) ,les touareg de l'ouest , adolphe jourdan ,alger, 1888, p98.

⁵ _ Ibid.

أما المكايل و الموازين فشقة القماش هي ملحفة من نسيج الصوف تباع بعين صالح قطعة قماش بيضاء ذات مقاس 200 كودي بسعر 45 إلى 50 فرنك وبمدينة كانو فتتعامل بالودع وهي الأصداق والمحاري، وهي ذات قيمة ناقصة حيث ألفين كوري لا يساوي إلا دولار واحد¹، والمتقال يساوي 24 حبة من الخروب وتزن كل حبة منه 4 حبات من القمح

ويشير الرحالة بارت فيشير إلى أن قيمة البضائع الجلدية المصدرة إلى غدامس تجاوزت 2000 فرنك من السلع السالفة الذكر يشترونها ومن ثم ينقلونها ويصرفونها لأسواق الشمال في توقرت وتوات وعين صالح وأدرار وغات.

وعلى العموم فإن سلع السودان تبعت إلى الصحراء وباقي شمال إفريقيا كان عبر مسلكين من الهقار إلى تيديكلت وأهنت ومزاب، ويعتبر عرب تيديكلت (عين صالح) أكبر العملاء التجاريين للسودان، التي تتجمع فيها الكثير من السلع² وعبر مسلك أزجر إلى غدامس وغات وهو مجال كيل أزجر، وهذه السلع الجلدية السودانية فقد جمعت ما بين عدة صفات من الجودة و الإتقان والديمومة، وكلها مطلوبة إلى جانب الزينة والمظهر الحسن لألوانها، ويذكر ابن خلدون أن ملاحظة الدقة والإتقان في الصنائع كفيل بزيادة أسعارها وهذا من سمات هاته السلع³ فمثلا التروس كان منتجا رائجا لمتانته و"لا يعمل فيه الحديد أصلا وإن ضرب بالسيوف نبت عنه وإن أصابه خدش أوبتر يُيل بالماء ويمسح باليد فتزول عنه⁴ وأما الإدريسي فيقول عنها أثناء حديثه عن مدينة أزقي وهي مدينة صحراوية فقال: "وبهذه

¹ _ جون فرانسيس، نفس المرجع السابق، ص 108.

¹ _ حرص عرب تيديكلت على إقامة علاقات تجارية لأهميتها وخلصوا ذلك بمأثور مزال يتداول لدى الرجال الكبار : "الجرب داوؤه القطران والفقر دواؤه السودان.

³ _ ابن خلدون، المقدمة ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت -لبنان ، 1981، ص 478.

⁴ - القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ، بيروت ، 1969، ص 58.

المدينة تصنع الدرق اللطية التي لاشيء أبدع منها ولا أصلب منها ظهرا ولا أحسن منها صنعا، وبها يقاتل أهل المغرب لحصانتها وخفة حملها¹ "

ومن جهة أخرى يحرصون على إبعاد التروس الجلدية عن الرطوبة وهي تفقد شكلها إذا ما تعرضت للمطر وتعود إلى شكلها الأول إلا أن الترس لا يقاوم البرود والرصاص².

6-مراكز الصناعة بالسودان:

6-1-الكورا: أصبح مركزا هاما لصناعة المنسوج ويصنع فيه جميع ما يحتاجه البدو من الأقمشة والعمائم والأحذية وهي مصبوغة بالنييلة، وتنتشر المصايغ والعديد من الآبار وهي قريبة من "كانو" لا تبعد إلا 20 كلم، ولقد كان وجود سوق قريبة وكبيرة يؤدي إلى تخفيض تكلفة تسليم البضائع النهائية إلى المستهلك، وهي ميزة مهمة لمدينة كانو لقربها من هذه المراكز والورش المجاورة أين تتجمع فيها جل السلع من كافة المناطق، إلى جانب شبكة توزيع عالية الكفاءة ينظمها تجار الهوسا يصدرون المنتج إلى مناطق أبعد³.

6-2-كانو:

مدينة يحاط بها سور انتشرت بها المصايغ و المدايغ أهلها متحضرون ينسجون ملابسهم بأنفسهم وازدادت أهميتها في القرن التاسع عشر ، إصطف بها الكثير من الصناع المتميزين من صانعي النعال والوسائد والمحافظ والحقائب ،وتشتهر بصنع البطة الجلدية والجبيرة والنعال هي من أهم المراكز في بلاد السودان.

6-3-كاتسينا: من مراكز بلاد السودان ببلاد الهوسا.

¹ _ الشريف الأديسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذ من نزهة المشتق في إختراق الأفاق ، مطبعة بريل، لندن، 1863، ص127.

² _ أرقين فون باري، الطبيب الألماني أرقين فون باري-1846-1877ورحلته إلى غات وبلاد الآيبر ، ترجمة عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية سلسلة نصوص ووثائق-24، ليبيا، 1995، ص90.

³ _ هوبكنز، نفس المرجع السابق ، ص 99.

6-4- سوكوتو:

مدينة يعمرها الفلانيون وعمرت أكثر بعد الحركة الجهاد التي قادها العالم والمجاهد "عثمان بن فودي" فخربت كانو، وعمرت سوكوتو في القرن التاسع عشر (19م)، وهذه المدينة مختصة في صناعة القرب والنعال الجيدة التي تُسمى محليا "المداغاسي" ولدقة زخرفتها لا يلبسها الطوارق إلا في الاحتفالات وهذا النعل هو خاص بأهل الحضر من السودان ويطرز بخيوط الحرير والأحزمة الموشاة من عدة جلود صفراء وحمراء¹.

6-5- غوبير: أهلها متحضرين يتواجد بها إسكافيون يصنعون أحذية كالتي كان يرتديها الرومان وهي تصدر إلى تنبكتو².

6-6- زندر:

عندما وصل الحاكم جلب معه عدة عبيد مهرة في الدباغة وأحد هؤلاء الرجال الثلاثة كان الجد الأكبر، وهذه الحرف كانت ملحقة إلى الضرائب وعوائد للحكام وكانت بها ورشة للعبيد يشرف عليها رجال أعمال يتكفلون بمهور الزواج³.

7-مراكز الصناعة الطارقية :

7-1-مدينة الأغاديس:

أنشأها الطوارق عرفت المدينة بتخصص حرفيها واحتلت المدينة في القرن التاسع عشر أهمية كبيرة في تجارة القوافل وأهم مركز صناعي بالأير، هي أغاديس وتظهر منتجات أغاديس المتعددة سواء من صناعات الهوسا، أو من صناعات من الطوارق برموزها الخاصة ، وتدل على تنوع حضارتها وصناعة وتطيريز المنتجات الجلدية تُظهر أن الصناع في

¹ _ Nicolas français , « l'industrie du production chez des touareg l'azawagh » , hespéris, tome xxv, anne 1938, 1er trimestre ,p78.

² - الحسن الوزان ، وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر ، الجزء الثاني منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي بيروت -لبنان، 1983، ص171.

³ _Arnauld john,Op. Cit ,168.

أغاديس لهم ذوق وخبرة، وتتوفر الجلود التي كانت تعتبر من الضرائب، ذلك أن حاكم الأغاديس يأخذ كميات من جلود الثور وكانت من ضمن مداخل الهامة التي يقبضها الحاكم، فيأخذ عن كل أسرة مقدار قطعة من هذا الجلد ويساوي نصف دينار إسباني¹، وكانت تقام الأنشطة الدباغة في الربع الجنوبي من المدينة هذه أعمال الجلدية، وهناك حي في أغاديس خاص بالصناعات وزادت الصناعات في القرن التاسع عشر واختصت منطقة الأير (أغاديس) كمركز هام، والصناع الطوارق نافسوا الصناع السودانيين حيث يكثر الاستخدام البارز للجلود الخضراء غالباً مع التطريز الأحمر أحد العناصر الأكثر تميزاً في صناعة الطوارق الجلدية، حيث كان تطعيم الوسائد ومحافظ ومحافظ ووسائد والتمائم (من جلود ماعز حمراء) تستعمل كغطاء للتمائم قري قري مطرزة متنوعة وهذا راجع لتطور بعض الدباغة والصبغات ويبدو ان البدو لهم أساليب مهمة في الدبغ الجلود بلحاء وثمار أكاسيا أرابيكا : ونباتات أخرى وفي الصباغة لهم ألوان متعددة من الأحمر يحصلون عليها من الحناء: النيلة : أوراق الدخن (الذرة) ويضيفون لها الشب، لكن اللافت هي تلك الأصبغة الخضراء التي ربما يحصل عليها من النيلة، ويورد الرحالة أنه وجد عند بعضهم علب تحتوي على مسحوق الأخضر للصباغة فهل هل عرف السكان الأصليون هذه المادة مجلوباً من طرابلس ومن مصر².

يُمكن القول أنه قبيل توفر الأصباغ التجارية الخضراء من الهوسا ومن مصر عبر التجارة عبر الصحراء نؤكد أنه كانت لطوارق الأير على ما يبدو طرق مختلفة لصباغة الجلود الخضراء وكان يتم صنعها محلياً حيث يحضرونه من معدن التوتياء (الزنك)، الذي

¹ _ Barth, Voyage l'afrique spentrionale et centrale les années 1849à 1855, tomeIV, borné ,paris ,1860,p234.

² _Foureau ,Op.Cit,p894.

يمزجه الحدادون بالنعاس، لاسيما أن المصادر تشير إلى أنه بمدينة تكدا تتواجد مناجم النعاس¹.

7-1-1- السرج:

يعتبر تصنيع السرج أهم وأبرز منتج لطوارق أغاديس "تامزك" يصنع من أربع قطع خشبية (القاعدة والمقعد و الأمام خشبات يتخذ شكلا مثلثا والمسند) ويتم تغليفه بجلد الفهد وشد ضلفات السرج بدون أي مسمار بل يلصقونه بغراء مستخلص من الصمغ العربي، ويتم تزيينه بالجلود الخضراء ، ويتم إستعمال الحشيات الجلدية لاستخدامها كأثاث رئيسي في السروج والهواذج.

وما يميز هذا السرج تلك الرسوم التي يحرض الصناع وأغلبها وظيفية ذات صبغة سحرية ، فيصمم رسوم وعلامات لحماية الجمل وحديثه من الغراب وأيضا لحماية من البومة وهو طائر الليل فلا يضيع إتجاهه (أنظر الصورة 8) ولاشك أن هذه الرموز إرتبطت بمعارف لدى البدو لعل من أهمها القزانة لجلب الحظ وأيضا لجلب البركة². ومن ملحقات السرج الحقائق وتتميز بالحلي الجلدية وهو تصميم القلادة ولاشك أن هذه التصميم من القلائد الفضية هي ذات أبعاد طلسمية يكثر استعمالها عند المور في تزيين منتجاتهم الجلدية(تاسوفرا) ويُسميها سكان المور بموريتانيا دار البصارة أو طلسم القلادة لأبعاد العين الشريرة³.

7-1-2- النعال:

تصنع النعال "أغاديس" فئات تحترف تصنيع النعال وهم من فئات الأيمغاد حيث زار صانعا يصنع النعال ووصفها بأنها أدق صنعا، فالنعل بأغاديس هو واسع المعقوف بنهايته

¹-ابن بطوطة، الرحلة ، شرحه وكتب حواشيه، طلال محمود حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ص 704.

²-Gabus, opcit, p226.

³ _Foureau ,Op. Cit , 894.

مفضل بشكل كبير عند المشي في الرمال من تلك التي كانت شائعة مستطيلة تصنع من أجود الجلود من ثلاث طبقات ويستعملون الجلد الأخضر الكورنة¹.

7-1-3: الوسائد: وتتميز هذه الوسائد الجلدية بشكلها المنحنية الخاصة بالرجل تعرف السبارة وتوضع بمقدم الرجل وتبسط بشكل ممدود يضيق في الوسط ونهاياته مستعرضة وتكون حوافه مطرزة بخيوط صفراء متنوعة. (أنظر الصورة رقم 9).

وتتميز الصناعة في أغاديس بالزخارف المنفذة على الأدوات الجلدية من علامات بربرية كالنقط والمثلثات والمعينات وهي علامات خطية بارزة منفذة بالنقش في تصاميم الهندسية المتنوعة الغزيرة، كالخط الهندسي، نقط معينات، رقع شطرنج ثخينة خط منشاري زيق زاق والتي كانت معتمدة على التخطيط الهندسي وخطوط مستقيمة وحلزونية هذه وأغلب هذه الأشكال التزيينية الأصلية نجدها في زخارف العلب الجلدية والوسائد والحقائب . الرموز تنفذ بأساليب التطعيم أو الصباغة أو بإستعمال الحز والحفر.

وتأثر الصناع الطوارق بالطراز السوداني خاصة في الطرز بدوائر من خيوط الحرير المسماة "توندو" ،ومن أساليب تصنيع الأدوات الجلدية.

وأیضا صناعات النعال والجبيرة التي لا يزوالها بأغاديس الا السكان الأصليين وإن أغلب منتوجات الطوارق و جزء من المواد والصناعات والأدوات التي عند الطوارق الكثير منها أصل أجنبي سوداني أوضع لتأثير خارجي كالعلب والأحذية التي هي كما أسلفنا لا يصنعها إلا الزوج وأنها حافظت على أساليبها المحلية لم تتغير².

7-2- العيون المألحة:

لقد ظهرت مراكز طارقية أخرى تمسنا والازواغ ، وهي عين أنقال التي تتواجد بها سباخ الملح ويعالج فيها الطوارق جمالهم فيها، والطوارق السودانيون كانوا على اتصال بالكثير من

¹ _barth ,Op.Cit , p263.

² _ Gabus , « Civilisation contact » , acta tropica-ethnographie , n 1,1948,p33.

الشعوب لسد احتياجاتهم الاقتصادية ويعملون في تجارة الملح والماشية مقابل الدخن (نوع من الذرة) والأقمشة ومكنهم التوزيع الجغرافي الهام لاسيما في الجنوب أن يمتدوا إلى القرى ومدن الزوج أو البدو البيض الآخرين، وتتجلى بوضوح هذه الفسيفساء من الحضارات التي بين المجموعات العرقية من Sonraïs، Djermas، وقبائل الهوسا المستقرة والمغاربة وللبدو الرحل.

ويجتمعون في العيون المالحة "عين أنقال" و"تيجيدا"، التي ظهرت كمراكز هامة وتنشط في مواسم خاصة معينة لمعالجة الجمال في العيون المالحة، فيأتي البدو بأعداد كبيرة ويتوافدون من كافة مضارب الطوارق هؤلاء البدو، بحيث لم يكن أي نطاق ليعزل البدو عن التنقل للمراكز والحواضر لمقايضة ولبيع مواشيهم ومنتجاتهم الرعوية في (عين أنقال وتيجيدا)^{1*} لذا فإن أعمال الحدادين تعظم في مراكز بلدات ما وراء الصحراء فهم مختصين في التروس والقلائد التي لها أشكال مميزة تجعل في رقاب الجمال .

ونجد غالبية الحرفيين فيها هم من الطوارق والصحراويين ومن السود، جاؤوا من أطراف ومناطق السودان وأن الأغلبية هم من مناطق الهوسا والحرفيين الحقيقيين الطوارق هم من يقيمون خارج المدن في "كيدال" "وغوندام" "وغاو" "وعين أنقال" يبيعون ويصنعون السروج والحلي وخاصة نوع من الطليسمان (وعاء الرقى) وتصنع من جلد أحمر مربوط يشد من أعلاه بحلقتين دائرية وحبل مضافور وشكلها مربع تتدلى من أسفله رصائع صغيرة عرضي وأفقي مما يعطي شكلا أنيقا للطليسمان ، وتوضع المحفظة على الرقبة التي تحوي أوراق

* ويرجع عمران هاته الأسواق الموجودة بالساحل حسب ابن خلدون، مفاده : " بأن أهل البدو إذا إنتهت أحوالهم إلى غاياتهم من الرفه والكسب تداعوا إلى الدعة والسكون ، فيعزفون عن التنقل إلى البلدان البعيدة التي بالسودان " ويركنون إلى ما قرب منهم من القرى المجاورة.

مكتوبة يكتبها المرابطون (إنسلمن والغطاء يكون مزينا ومنحوتا من قبل الحرفي الحداد بعلامات وبشلمات¹ . الصورة رقم 10

ويصنعون نوعا من القلائد للجمال : وتصنع بثلاث قدد من الجلد متصلة فيما بينها وتشد في سلسلة ليتم تعليقها على رقاب الجمال (أنظر الصورة 11).

8-الفنون الجلدية الطارقية وطرزها:

لقد كانت الصناعة الجلدية لدى السودان خاصة الصنعة الجلدية عند الطوارق تمثل نوعا من الفنون الحضارية ، و الصناعات الجلدية الطارقية في تنوعها، مثلت حضارة شعوب وقبائل الطوارق كإثنية ، وإكتسى الفن الطارقي مجالا واسعا في ضفتي النيجر ونيجريا.

لقد مكن لمضارب الطوارق المحاذية لبلاد السودان ولقبائله الرعوية المنتشرة في مناطق منعطف النيجر، والذي أعتبر ممرا انتقل عبره البدو أن يتأثروا ، وشكلت نقط التجمعات والتبادل كالأسواق مكانا لألتقاء البدو والمستقرين مما أسهم في تأثر الصناع الطوارق بأولئك الصناع السود، ونجد فنون التزيين الفن الطارقي متأثرة ومتشابهة بفنون التزيين عند البيضان (المور) خاصة في مناطق ومراكز تمبكتو و كوندام غورما أدرار ايفوغاس، أي في مناطق التماس بين الطوارق والبيضان تحديدا، وعلى الرغم من أن هناك اختلافات محلية بين الأساليب التزيين المتبعة إلا أن تقنيات التزيين والتلوين متشابهة، فالفن الطوارقي والبيضاني يشكلان وحدة، فعندما ننطلق في تحليل عناصر التزيين نكتشف أن هناك تشابهات كثيرة بين الفن العربي الحساني والفن الأمازيغي الطوارقي فكلاهما ينتميان إلى الأسلوب الهندسي المغربي².

¹ – nicolas, tamesna ,p173.

² – Gabus(j), au sahara art et symboles , baconnier , neuchatel ,1958,p72.

كما تأثر الفن الطارقي بالسودان حيث كانت مضارب طوارق الشرق (كيل غرس وكيل أير وكيل كانوا أكثر انفتاحا على الأساليب السودانية من الهاوسا خاصة في حواضرها ومدنها زندر وطاوة وعين أنقال)، واتخذت طرازاً واحداً حيث الحرف اليدوية الجلدية من الجلد كان لديها العديد من النقاط المشتركة لأنها تتكيف مع التنقل والبيئة والسكان التي تنتجها بالإضافة إلى ذلك أنه هناك العديد من التبادلات بين الشعوب الصحراوية والسودانية عبر التجارة وبتنقل الصناع السودانيين إلى أصقاع أخرى من الصحراء استمدت هذه الفنون حيث كان أغلب عامري الأسواق الصحراويين من الهاوسا

وبعبارة أخرى فإن منتجات الطوارق و جزء من المواد والصناعات والأدوات التي عند الطوارق الكثير منها أصل أجنبي سوداني أو خضع لتأثير خارجي كالعلب و الأحذية، التي هي كما أسلفنا لا يصنعها إلا الزوج وأنها حافظت على أساليبها المحلية لم تتغير¹.

ويمكن للمرء بسهولة لتمييز فنون منطقة الطوارق(أنظر الخريطة 2).

– كيل تادمكة بحكم علويين وشرفاء يستعملون رموز الخامسة².

– كيل إيلوميدان وإنتصر وإشرفين بالمنعطف يستعملون زخارف القفل ولقلادة أما الأهقار فيستعملون طلسم النعل وأثر الغزال ورسومات تعود للصيادين، وأسلوبها مشابه للمور .

– كيل غرس وكيل أوي وهم كانوا متأثرين بالطرز الموجودة في الهاوسا، لاسيما في تطريز الجلود بالقطن وأيضا التطريز بقطع الجلود الخضراء.

¹ _ Gabus , « Civilisation contact » , acta tropica-ethnographie , n 1,1948,p33.

² _ jean gaus, Art nègre : Recherche de ses fonctions et dimensions ,la baonnier, neuchatel suisse ,1967,p 84.

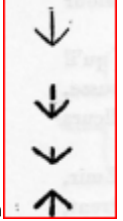
ومن بين الأشكال المنفذة على الفنون الطارقية على العموم والتي هي مستوحاة من المنطقة الصحراوية خاصة الموجودة على الجداريات الصخرية والتي ترجع لأنسان ما قبل التاريخ وهي كالآتي:

أثار الأسد:

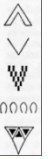
الضب

طوارق ايهقارن 

أثار الثعلب 

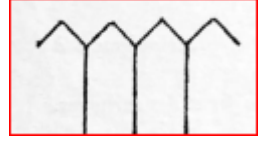
طائر الحبار 

أثار الصندل مستعمل بكثرة عند طوارق إيلوميدان ويسمونه خدام النبي صلى الله عليه وسلم يقدم كهدايا

أثار الغزال دوراكس 

السحالي أو الورل مستعمل بكثرة عند الطوارق لأنه يعتبر الجد الطوارق حسب معتقدتهم يشبه شكل النجمة موجودة في زحرفة النعال السودانية(وسط الزر المثبت) ويوجد منقوشا على أهذاب الحقائق طاسيلي ناجر¹.

¹- Gabus ,opcit, p86.



عرف الدجاج يوجد بكثرة على التمايم يستخدمه طوارق إيفوغاس والهقار .

ويمكن القول أن أغلب هذه الرموز القديمة نفذت على الفنون الطارقية كأثار الحيوانات ومنها كذلك رموز إسلامية كنعال النبي صلى الله عليه وسلم عند قبائل إيشرفين ، ومنها رموز سحرية على السرج ، ورموز للتبرك لعائلات شريفة من الأدراسة التي إستقرت في النيجر ، ورموز لما قبل الإسلام ولاشك أن احتواء الفن الطارقي على هذه الرموز المتعددة ، أنه يعود بلا شك لأن الطوارق ضم في تكوينه قبائل شتى من عرب ومن سود ومن بربر ومن عبيد سود الأمر الذي سمح له بتطوير الرموز المتعددة، وهذا بلا شك يبين لنا من جهة أخرى أن هذه القبائل كل تريد أن تثبت نبلها أو مكانتها بحسب الاعتقاد والانتساب لرمز معين وهذا من صميم عقيدة الشعوب الطارقية القائم على الدرجة والعرقية، فالقبائل من أدرار إيفوغاس وقبائل المور تستمد نبلها من كونهم شرفاء النسب ولذا تستعمل رموز طلسم النعل (نعال النبي صلى الله عليه وسلم) ورموز خامسة التي تعني عندهم آل البيت بينما عند الطوارق البدو يستمدون نبلهم من كونهم محاربين (الأيموهاج)، لذا كانت الرموز تحصينية توجد على الآلات الحربية .

ويمكن أن نستخلص أن الفن الطارقي الأصيل هو فن بربري يتجسد في فنون الصحراء الموجودة بالهقار والتي كانت معتمد على التخطيط الهندسي من الخط والنقط والدوائر والخط منشاري وخطوط مستقيمة وحلزونية وبلا شك هذه الرموز لها دلالاتها عند البربر قديما متعلقة بالخصوبة وضد العين ولجلب البركة والحظ السعيد كما نجد رسومات تذكر بالشمس والقمر والنجوم عناصر ذات علاقة وطيدة بعلمهم الفلكي يستخدمونه لمعرفة الاتجاهات الصحيحة وتحديد التواريخ وهي من معارف التي يتمرس فيها أهل الصحراء ضد العين لحماية أنفسهم مواشيهم وجمالهم ضد قوى الغيبية ولجلب الحظ وضد الجن، وأغلب هذه

الرموز متعلقة بالصيادين لفترات ما قبل التاريخ وهي آثار الغزلان والظباء والتي هي لا تزال تتواجد رسوماتها بغارات الطاسيلي وبالهمكار¹.

وهذه التصاميم من الصليبان فسرت على آراء كثيرة عند الكتاب الأوروبيين يقول "جان غابوس" أن الصليب قد يكون رمزا للرجولة ويفسر غير هارد جوتل كنوع من الشكل المتجذر في معتقدات الأجداد القديمة، ومنهم من يرى أن الصليب كرمز مصري قديم لكلا الجنسين، مع أربع نقاط أساسية وعلامات الكواكب فينوس وميركوري بينما يذكر إبراهيم الكوني دور رمز الفينيقي القديم، ويذكر الصليب في سياق كلمة الحب "Ta-Rah" في لغة الطوارق ، حاول الرحالة المسيحيون مثل "هاينريش بارث" البحث عن معنى ديني لصليب أغاديز، ولكن على الرغم من أن البدو الرحل كان لديهم اتصال مع الديانات الأخرى لا يمكن تخيلهم، حسب تاريخهم كانوا مسيحيين أو استخدموا علامات الإيمان المسيحي²، وإن التحليل الأكثر احتمالية لمعنى صليب أغاديز هو تفسير يقترب من المعتقدات التقليدية للطوارق أصلها مأخوذة من المعينات البرونزية بأغاديز ذات الأربع رؤوس والتي يعود تاريخها إلى القرنين 11 و 12 ،حيث أن شكل هذه الزخارف التي يرتديها عادة ما من الرجال والنساء من جنوب الطوارق، ترمز إلى الاتجاهات الأربعة للعالم وقد تجسد هذه الصليبان قوة سحرية قبل الإسلام من استدعاء الخصوبة أو الحماية من الأرواح الشريرة.

9- الأبعاد الحضارية بين الصحراء والسودان الغربي والأوسط من خلال الإنتاج الجلدي:

9-1- السروج وأدوات الركوب:

تستعمل أدوات الركوب من السرج للحرب ومن جهة أخرى تدل على أناقة وتحضر شعوب السودان وكان انتقالها وانتشارها عند قبائل الهوسا وغرب أفريقيا، ذلك راجع لتنقل

¹-صلاح الدين أركيبي، "الحرفيات البيضانيات دراسة في التقنيات والأشكال والرموز"، مركز جيل البحث العلمي، العدد 9، أبريل-2016، الجزائر، ص113.

² -sotkiewics, "amulets and talisman of the centrale sahara tuareg art in contexte of magical and mystical ",the art of the orient studies on the art of asia ,tom3(2014),p236.

الشعوب والأشياء والأفكار من الشمال للجنوب ،حيث ربطت التجارة العابرة للصحراء بشعوب وتجار من مختلف الأصول، مما كان سبب لنشر السلع المادية داخل غرب السودان عبر مناطق أخرى مثل شمال إفريقيا وشمال نيجيريا¹ ولقد بقيت الكثير من الآلات بأسمائها العربية مثل اللجام السرج الحزام والراحلة ،لقد انعكست هذه الأدوات وتجهيزات الحربية على الطوارق ،حيث اعتبرت عدة جيدة للطوارق والتي مكنتهم من بسط قوتهم خاصة قبائل كيل غرس التي برزت بعدة جيدة من السروج والحملات وأطلقوا على أنفسهم إسم إماجغن أي السادة والذي لا ينازعهم فيه أحد من التوابع والعبيد² وكانت حضارة الطوارق أو النبيل الطارقي لا يريد إلا جملاً أبيض-سرج أحمر-سيفا تقوم على السرج والجمال والدرع ورغم أنها لا تستعمل كأدوات حربية لكنها تدل على هيبة الماضي عند الطوارق³.

9-2- التمايم والتعاويذ:

لقد راجت سوق الرقي بين الوثنيين لأن السودانيين يؤمنون بالحرف المكتوب أنه يحمل مضامين روحية خفية ذات قوى خارقة، فلقد كان الوثنيون من سكان بلاد السودان يستعملون أنواعاً من هذه التمايم ذات الصفة الطقسية ويعتبر نوع "قري قري" نوع خاص فعال يستعمله الوثنيون ضد لدغة الأفعى والتمايم (الطليسمان) تستعمل بشكل مستمر كلباس وزينة في نفس الوقت سواء أكانت مصنوعة من الفضة أو الجلد، بينما الحروز ارتبط لبسها في أماكن معينة في الخيم و السفر، أو في مكان خطير تكثر فيه قوى الشر أو لحراسة منبع هام كالذهب، وتختلف مفعولها حسب طلب ورغبة كل شخص إما لجلب رغبات الملك أو لجلب سعادة أو للحماية من المرض وتستعمل أيضاً لمعالجة المس والسحر⁴.

¹ _Barbera frank, Op. Cit,p55.

² - الشيخ العتيق، الجواهر الثمين في أخبار الملثمين، مخطوط المركز الأفريقي لأحياء التراث الإسلامي بالجامعة الإسلامية بالنيجر ،ساي ، النيجر ،ص90.

³ - Gabus(j), l'exposition temporaire dans la vie d'un musee d'ethnograohie ,museum vol iv ,n°3 ,1951 ,paris p 174.

⁴ _ Across widest africa henry savage landor ,vol II , charles scribner's sons, 1907, p358.

وينطق طوارق الهقار على التسمية اسم tera وقد إنتقل هذا الاسم إلى الهوسا التي يصنعها الطالب، ويقضي الصناع في تصنيعها وقتا طويلا وأرباحهم كبيرة من بيع هذه الرُقَى¹، وأغلب المختصين في التمايم يُطلق عليهم اسم المرابطين وهي مجموعات طارقية يطلق عليها كيل السوق (الفئة المتعلمة المختصة بالدين) وعاصمتهم تادمكة، وهم أثروا كثيرا في تعليم السودانين مبادئ الكتابة القراءة زناطة².

9-3- أدوات السقي وصنائع الأفرشة :

لقد انتشرت طريقة السقي بالدلاء من الآبار وهذه الدلاء والأسطل الجلدية تجعل لها الحبال متينة وتفضل أن تكون من جلود مستدقة، وهي طويلة تلج إلى أعماق البئر لمواجهة مشكل غور الماء عند السود التي تتميز بها منطقتهم³ وبفضل هذه الآلات أمكن من تعمير مناطق جنوب الصحراء بانتشار مهن السقاية وازدياد حفر الآبار نظرا للحركية التي خلقتها تجارة القوافل، كما ننوه أن آثار الصحراويين على السودان قد شملت بعض الصنائع كالبسط والفراء التي تدبغ بالملح والشب وأيضا السجادات الجلدية، التي يتخذها السود المسلمون كسجادة للصلاة عليها⁴.

¹ _ على الخاتم، "الأسلام في السودان الغربي أثاره السياسية والثقافية"، دراسات إفريقية ، العدد الأول ، المركز الإسلامي الأفريقي الخرطوم، السودان ، 1985 ، ص 195.

² _ حماد الله ولد سالم ، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، 2017، ص 90.

³ _ Jean Célestin KY , « patrimoine culturel sahaeliens dans les collection du musee national du burina », revue histoire archéologie africaine , godo godo , n° 20-2010, educi , burkinafaso , 2010, p186.

⁴ _ Shoup , « forgerons bidan », cahier du crasc, n° 30 , 2014, p136.

9-4-المخطوطات:

تجلت الثقافة الإسلامية من خلال الألبسة والعمارة والحرف حيث قامت هذه المدينة كنقطة التقاء بين شمال إفريقيا وجنوبها بين الصحراء ومنطقة حوض نهر النيجر عرف أهل المنطقة الإسلام منذ القرن العاشر الميلادي وأهتم حكامها بنشر الإسلام واقتباس مظاهر الحضارة الإسلامية، ولم تكن الصحراء حاجزا لتدقق مظاهر الحضارة و المؤثرات الثقافية والفكرية من شمال القارة الأفريقية إلى السودان الغربي وهذا مما ساعد كثيرا على الازدهار الثقافي لتومبكتو، لاسيما ما بين القرنين السادس والتاسع وقد سكنها التجار و العلماء، فأزدهر نسخ الكتاب وتجليدها لطلبة العلم، وشيد في تومبكتو عدة مساجد وجوامع نذكر منها جامع سنكرى وجامعة سيدى يحيى الذي شيد في وسط المدينة وعمارته سودانية وانتشر بها القضاء¹.

وتخرج في مسجدها وجامعها سنكوري علماء أفارقة كبار مثل "أحمد بابا" الذي ألف نحو من خمسين كتابًا، والمؤرخ المشهور محمد كعت" في القرن السادس عشر الذي وصف هذه المدينة بأنها غاية في الجمال والروعة وتزدهر فيها التقاليد الإسلامية العريقة*.

ولاشك أن ازدهار الحياة العلمية ازدهر معه نسخ الكتب وتجليدها وبذلك ظهر فن زخرفي خاص بأغلفة المصاحف جاءت بفضل المغاربة وعرفت هذه الصنعة بالتفسير (التجليد) لرواج الحياة العلمية كالفقه و التصوف، التي احتاجت لصيانتها، واشتهرت تغليف وتجليد الكتب في المراكز الرئيسية للتعليم العربي السودانية كتومبكتو و ولاتة، و يذكر الحسن الوزان "أن بيع الكتب كان يدر ربحا كبيرًا أكبر من أي سلعة أخرى في المدينة"²، وتجلد

¹ _ عبد الله سالم محمد بازينه، انتشار الإسلام فى أفريقيا جنوب الصحراء ، منشورات جامعة 7 أكتوبر، مصراتة -ليبيا ، 2010، ص 153 ص 101.

* كذلك عرف المؤرخ عبد الرحمان السعدى صاحب كتاب تاريخ السودان مدينة تومبكتو بقوله: ما دنستها الأوثان ولا سجد على أديمها لغير الرحمان .

² _ الحسن الوزان ، نفس المصدر السابق ، ص 167.

الكتب بوضعها في أفضل نوعية من جلد الظباء لأنه أكثر ثباتا وسمكا من الماعز أو الأغنام وتتنقش بنقوش مذهبة بأداة محماة عليها أنه معرفة مكان الكتاب كانت ملزمة بنوعية الجلود ونوعية التصميم المختوم على الغلاف¹.

ويطلق طوارق الهقار على الورق takarde وقد إنتقل لفظه ، ولفظ قرطاس.

وكحوصلة لهذا الفصل فلقد كان للطوارق بهجرتهم كتجار ورعاة أولا إلى السودان دور وإنعاش مدن السودان الغربي والأوسط ثم ما لبث على يد هؤلاء البدو أن غيروا وشمل تأثيرهم كامل المنطقة السودانية بجلب أنشطة المتعلقة بالصحراء والتي لا يتقنها إلا البدو خاصة مهن الدباغة وصناعات القرب وصناعات السروج ولقد كانت هذه الأنشطة تقوم على التعامل مع تجارة القوافل وتقديم إمدادات لها ، بينما الحواضر السودانية فلقد عمرت وتخصصت بأنشطة جلدية وسلع متنوعة من النعال الجلدية ومن البطات والتروس وكانت لها قيم ومبيعات وكذلك من الجهة الأخرى لعب الصحراويين من العرب والمغاربة دورا في التصنيع بأنهم برزوا في جوانب حضارية وفكرية كالمخطوطات وصنائع معدات المحاربين كالسروج وتدل التماثيل على مدى رسوخ الأسلام عند الشعوب الأفريقية . والفن السوداني يتميز بأنه يختلف عن فنون شمال إفريقيا التي عرفت حواضره مثل فاس وتلمسان هذه الصناعة ، وتميز الفن الجلدي عند قبائل السودان بسمات عامة من مصنوعات دقيقة ومطرزة بقطع من الجلد وقد ألمحنا أن التوارق كانت لهم دقة كبيرة في النحت وفي التطريز بأساليب عريقة محلية خاصة صناعات الحقائق.

¹ _shoup , book craft in tarab al- bidan ,le chier du crasc , n 30, 2019, pp119-140.

الفصل الرابع :

الدراسة الأثرية الفنية للمجموعة الجلدية الأثنوغرافية" المحفوظة بالمتحف

الوطني الباردو

2- المتحف الوطني لما قبل التاريخ و الأثنوغرافيا بالجزائر " الباردو"

2-1- القطع الموجودة متحف الوطني الباردو

2-2- تاريخ تأسيس متحف الباردو

2-3- وحداته المعمارية

2-4- المقتنيات الموجودة بمتحف الباردو

2-4-1- منهج جمع التحف الجلدية

-2-5- أدوار متحف الباردو

2-6- أساليب العرض بالمتحف الوطني الباردو

3- الدراسة الأثرية والفنية للتحف الأثنوغرافية.

1-تمهيد

إهتم الفرنسيون بجمع التحف والأدوات وقاموا بحركة علمية وتاريخية وأثنوغرافية للقصد إلى التعرف إلى الكثير من الشعوب التي بمستعمراتها، ويعد الطوارق من أهم الأعراق الذي أهتم بها، لأنه يقيمون بمنطقة تفصل بين شمالي إفريقيا و السودان، فحاول الرحالة والمستكشفون في القرن التاسع عشر التعرف واستكشاف هذه الشعوب ، التي ظلت تعد من الشعوب المجهولة، كما حاول العلماء وعلماء الأنثروبولوجيا الأهتمام بعادات(الفلكلور) وصناعاتها المحلية الذي يتنوع لدى الطوارق كالطبل والدروع والنعال والتي تتسم بنقوشها ومعارف ورموز قديمة تعد كمفتاح للتعرف على مضامين وأسرار متعلقة بتاريخ وحضارة الطوارق وشمال إفريقيا .

لقد جمعت عدة تحف طارقية من مضارب وأهالي ابنة الامنوكال ووضعت عدد منها في المتحف البارود، نظرا لكونها الحلقة الباقية في حضارة الأهقار الذين بددت ولم تبق عراقة الإنسان الطارقي من خلال الوسوم ونقوشها البارزة عليها و"بأنها تكاد كل ظواهر الحياة الجماعية تقدر أن تعبر عنها هذه الآثار بسبب حاجة البشر الدائمة إلى أن يتركوا بصمتهم على المادة وتشكل مجموعة من الأشياء المنتقاة بعناية ومنهجية حصيلة غنية من وثائق الإثبات ،التي يمثل تجميعها أرشيفا أبين وأصدق من الوثائق المكتوبة لأن الأمر يتعلق هنا بأشياء أصيلة وتلقائية لم تصنع لحاجات ضرورية وهي بالتالي تمثل أكثر من غيرها أنماط الحضارات(عن التعليمات الموجزة لمجمعي الآثار الأثنوغرافية (نشرها معهد الأثنوغرافيا 1931 التعليمات الموجزة لمجمعي الآثار الأثنوغرافية (نشرها معهد الأثنوغرافيا 1931 بمناسبة المعرض العلمي لداكار)¹.

¹- كورين فورتيني، المجموعات الصحراوية بمتحف كي برانلي، التراث الصحراوي (الذاكرة والتاريخ)، ملتقى الطرق، المغرب، 2012، ص268.

2- المتحف الوطني لما قبل التاريخ والأثنوغرافيا بالجزائر البارديو:

إرتبط معرفة الشعوب الأصلية بالاستعمار ومؤسساته كالمتاحف، التي توجد بها عديد القطع للسكان الأصليين كواجهة كولونيالية، وتوجد التحف الطارقية بالكثير من المتاحف الأوربية خاصة متحف المناطق الأستوائية في أمستردام، التي تملك قطعاً وتحفاً تعتر بها من صنع الطوارق مثل الأدوات والأواني المصنوعة من الجلد والنحاس والمصوغات والسيوف والخناجر المزخرفة وكلها ممتازة الصنع¹.

وتوجد التحف الطارقية بالجزائر في متحف الوطني البارديو، وهذا المتحف متخصص في مجال ما قبل التاريخ والأثنوغرافيا، بحيث التخصص الأول يتمثل في علم إنسان ما قبل التاريخ يكشف لنا الآثار النادرة، بينما التخصص الثاني، فيهتم بالخصائص الثقافية للمجموعات الإنسانية الحضارات الخاصة بالشعوب البدائية والأعراق البشرية، ولكن مع ذلك كانت الأثنوغرافيا التي تعتبر علماً يهتم بمعرفتنا عن الشعوب القديمة يجمع الأثنوغرافي المنفذ للشواهد المادية، "قبل اندثارها، وهكذا أصبحت الشعوب التي كان يعتقد في السابق أنها "بدون ثقافة" و"بدون تاريخ" تستحق متحفاً مخصصاً لتقديم التنوع الثقافي عبر العالم غير الغربي، وهذه المتاحف تسمى بالمتاحف الأثنوغرافية.

والتحف الخاصة بالطوارق تشارك في المعارض التي اقيمت مثل معرض باريس في سنة 1930 معرض للصحراء تم ركزت البعثات (دوفيرييه ولوت ومونود) كثيراً على التحف الطارقية بالهقار التي لها إرتباط وثيق بالنقاء والأصالة².

¹ - إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982، ص211.

² - Lisa bernaseek, coloniale popular and scientific, the exposition du sahara (1934) and the formation of the musée de l'homme, museume antherpology, volume 42, 2019, p8.

2-2-تاريخ تأسيس متحف البارود :

شيدت هذه الفيلا الجميلة والتي تعود لأحد الأهالي العثماني في القرن الثامن عشر ،ويشير أبو القاسم سعد الله بمناسبة المؤتمر الأثري من طرف السيد "لموان" مستشار الحكومة، الذي مثل السيد الحاكم العام بتواجد السيد "قزال" عضو في المعهد والسيد "قوستاف مريسي" مفوض عام للعيد المئوي وأعضاء المؤتمر والموظفين الساميين للحكومة العامة، أنه كانت لجنة الاحتفال المئوي قد خصصت له إحدى الفيلات العربية الإسلامية العثمانية ولقد وضع الباحث ريغاس مجموعة أثرية بعد إجرائه لحفريات في الصحراء ثم جاء بالو أضاف قاعة لما قبل التاريخ وقاعة الأنتوغرافيا¹ .

2-3-وحداته المعمارية:

كان متحف البارود في السابق مقسما إلى عدة قاعات بحيث خصصت أربع منها للقطع التي تعود لما قبل التاريخ وهي تتميز بكبر مساحتها وإنارتها الجيدة.

أما جانب الأنتوغرافيا فخصصت له قاعة كبيرة للحياة الصحراوية قاعة خاصة بالخزف الخشب المحفور والنسيج الريفي، وهناك خمس قاعات مخصصة للحياة المدنية الحضرية لسكان بحيث إثنان ينفتحان على فناء بقبة ذات رواق يتركز في الجهة العليا للفيلا أما الثلاث المتبقية فتفتح على الساحة الكبيرة السفلية .

تتفتح القاعة الثانية على الفناء وهي تخص تقنيات اللباس والأزياء .

-القاعة الأولى : قطع للحياة الدينية وأخرى لأدوات الحرب .

-القاعة الثانية : يحتوى على لوازم الطبخ ،أما القاعة الأخيرة نجد فيها ركوة القهوة مع طيسانها كؤوس زجاجية، أما القاعات المجاورة فهي تخص الأنتوغرافيا الصحراوية ومنطقة

¹ _أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المجلد الثامن ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان،1998،ص412.

الهقار إذ نجد هيكلا تين هينان، وهو يحتل الصدارة في متحف البارود ، ومحاط بالآثار الجنائزي مع بعض البقايا من الأساور والحلي والحجارة التي تعود لفترات حجرية قديمة، وهى عبارة عن مجوهرات بيزنطية وأساور ذهبية وفضية والعديد من الأحجار الكريمة ذات ثقوب لتشكيل عقد وتمثال من الحجر كلها مكتشفة في ضريح أبلينا بالهقار، وبعض الرحي الحجرية والحجارة الصوانية المتنوعة، ونجد أيضا عقود من ما قبل التاريخ جلبت من النيجر ومجموعة إثنوغرافية مصنوعة بالمزاب (غرادية) وقورارة تديكلت وجنوب بسكرة وتتمثل في مجوهرات مميزة لمختلف هذه المناطق ألبسة وسجادات وأسلحة وسروج، وهناك قاعات أخرى تحتوى على مجموعات كاملة لفخاريات بربرية وكل منطقة القبائل الأوراس والهضاب العليا، وهكذا يزواج متحف البارود بين تحف ساكنة التل (القبائل) وبين الصحراء وهذه القاعات كلها خصصت للعرض في تلك الفترة ولقد سمحت إعادة التهيئة لمتحف البارود سنة 1949 بإقامة مخبر صغير مستقل عن المتحف ،وهومخبر الأنتروبولوجيا وعلم آثار ما قبل التاريخ، وفى سنة 1950 أقيم مبنى جديد بشرق قاعات ما قبل التاريخ لتكملة متحف البارود أما في سنة 1951 أنشئت مكتبة المتحف، لكن حاليا ومع الأشغال الجديدة إستطاعت أن تحدث تغيرات شملت القطع وتوزعت على ثلاث مخازن مؤقتة وتتمثل في مخزن خاص بالقاعة الريفية ونجد فيها الجلود الأسلحة والسروج، والمجموعة الأفريقية ومخزن خاص للنسيج السعف، لكن تبقى صغر المساحة عائقا أمام عرض كل التحف مقارنة بالزخم الكبير لمجموعات المتحف¹.

2-4-المقتنيات الموجودة بالمتحف الوطني البارود :

كان عند الأنتروبولوجيين:كامبس (بالو وغاست،وريغاس) فرصة لإنشاء متحف البارود وتعميره نتيجة إجراءاتهم لعديد الحفريات خاصة الحفريات بالهقار، التي من خلالها تم الكشف عن قبر تين هينان وبقاياه من الأسورة وبعض الأدوات من الصوان ومن الآلات الحربية

¹ _ بن شعبة فاطمة ، تلف الجلود ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار، جامعة الجزائر ، 2010-2011، ص169.

المصقولة، التي تشكل مرحلة انتقالية ما بين الحديثة و ما قبل التاريخ، ويُعد إنجازا هاما مثل هذه الأعمال التي تبقى دليل مادي يرجع بأصول الأولى لهذه الفئات الصحراوية إلى التاريخ القديم، ويعتبر "ريغاس" مدير متحف البارود كأستاذ مستكشف قام بحفريات في الصحراء، وجلبت هذه التحف الجلدية من خلال بعثاته التي في الصحراء وتتمثل في سروج من الطراز العالي ومحافظ معدات تعود لأبنة الأمموكال وتاريخ اقتناءها 1930 (2008)¹.

والمجموعة الجلدية لمتحف البارود تتكون من 302 قطعة ما بين: قراب لحفظ الماء والحليب، تاسوفرا لحفظ الماء والزبدة، محافظ كبيرة وصغيرة، حقائب متنوعة لحمل " الشاي،الملاعق، الأدوات الصغيرة، أدوات السفر، أدوات صغيرة للسفر، والمهد للأطفال مخرز للخياطة محافظ للرجال لحفظ الأوراق والنقود، برميل كاوتشو مخدات دائرية مستطيلة ومربعة قميص وقطع من الجلد المدبوغ، ونفاخة كير وشريط محشو بالؤلؤ حزام مزخرف خاص بالجمال، حزام عادي وآخر مطرز، مقص، سكاكين، مخرز للخياطة، غمد خشبي، لوحة خشبية، قوارير العسل والزبدة، عناصر زخرفية خاصة بالمحافظة، إبر، متقبين معدني وخشبي، خيم جلدية، شفرة المكاشط ودلاء جلدية قميص جلدي، نعال جلدية، علب جلدية، تروس جلدية.. إلخ.

2-4-1- منهج جمع التحف الجلدية :

وفيما يخص المجموعة الجلدية المتحفية التي توجد بمتحف البارود فهي تعتبر هي من أغنى المنتجات في الجزائر، وتسمى بالمجموعة الأثنوغرافية (كونها خاصة بعرق الطوارق)، ولقد جمعت هذه الأدوات بانتقاء مدروس ومنهج علمي، فالأثنوغرافيون الأجانب في جمعهم للتحف الأثنوغرافية لم تستأثر باهتمامهم تلك السروج العالية الجودة والتروس الحربية رغم أهميتها، بل تم جمع ما يؤكد هوية الطوارق، حتى من تلك الأدوات التي لا تبدو غير ذات

¹ _lucien bessier, notre rive africaine , la mission algérienne du hoogar ,fevrier mai 1928, paris 1928-6, p223.

دلالة تذكر لكنها تعبر عن المجتمع ،ويُسميها الأثنوغرافيون بالأدوات الشاهدة أو وثائق الإثبات التي وردت في التعليمات الموجزة لمجمعي الآثار الأثنوغرافية، وسيدكر "جان غابو" طالبته "يولاند تشودي" سنة 1974 عندما أرسلها لتجميع بعض التحف في التراب الطارقي التي يُسميها بحنو كرام كرام نسبة إلى الكويرات المشوكة لشجيرة تعلق بالثياب: "إن ما نبحت عنه في مجموعة إثنوغرافية هو مرآة صادقة للحياة اليومية، كما هي غنية كانت أم فقيرة ذات جمالية أو بدونها ولا دخل لذوقنا في ذلك، أرفقي مع كل ما تبعثين به جردا مفصلا ولتحمل كل تحفة رقما أو إشارة حتى أتمكن من وضعها في إطارها رغم عدم حضورك"¹.

2-5-أدوار متحف البارود:

الجانب التعليمي هو أهم ما تركز عليه المتاحف، لأن المتحف له دور في التعليم ، ولمتحف الوطني البارود لما يضمه من معروضات يمكن له أن يؤدي هذا الدور ، حيث يمكن المتجول بمتحف البارود، أن يرى حياة كاملة للتوارق وحضارة قبيلة الطوارق من خلال التحف المتنوعة والمعرضة، وهذه التحف تتميز بجمالها وندرته، إذ أن صور العادات والحياة اليومية في مختلف الشعوب تتجلى في هذه الأدوات، والحياة اليومية تتجلى في تلك الأدوات المعروضة فظاهرة في السقي، القرب، تحضير الألبان (الشكوة)، والحبال وفي الحقائق والسروج .

والأدوات المعروضة بالمتحف لها تاريخ أصيل فمثلا الترس والطبول والخناجر المعقوفة للطوارق، هي بداية لتلك الأدوات التي استعملها الليبيون القدامى والمرابطون في العهد الإسلامي كل هذا شاهد حي على تداخل حضارة هذا الشعب مع حضارات الشعوب المجاورة، وتُعرض التحف الأثرية لطوارق بمتحف البارود في قاعة تسمى القاعة الريفية، وهي المعروضات الخاصة بالسكان الأصليين بالصحراء بينما الفن الحضري أو الوافد فله

¹ _كورين فورتيتي، المرجع السابق، ص273.

قاعات أخرى يحفظ فيها. ولن يتأتى الجانب التعليمي إلا بالعرض الجيد الموجودة في المتاحف الاثنوغرافية العالمية والترتيب الموضوعاتي التي أشار اليها "جان غابو"

2-6- أساليب العرض بالمتحف الوطني الباردو:

برغم الثراء الجيد بالمتحف الوطني الباردو لأدواته، لكن طريقة عرضها تبقى ناقصة، ولو أنه لو توخينا طرق العرض الجيد التي تجمع ما بين الجمالية والوظيفية للتحفة بإعادة السياق الاجتماعي والإنساني والحسي للتحفة ،حيث يمكن أن نعمل على تأطير الأداة أو الشيء بجدارية يكون موضوعها الحياة التقنية، أي كل حركات الصانع من الضرب والدق يتم تسجيلها وتمثيلها بمجسمات وصور لصناع أثناء عملهم وعدم الاكتفاء بعرض أشياء جامدة، فالصور الجدارية هي من ستعيد الاتصال الإنساني بهذه الأدوات والتعاطف معها، بل احترامها فهو دجا كان الشيء أو راحلة تاسوفرا ،قرب، تروس ، وغيرها من المستلزمات المادية المستعملة في الحياة اليومية للبدو الرجل كأكياس التخزين الجلدية المستعملة لجلب الماء وحفظ المواد الغذائية والأسلحة الحربية والتروس التي يستعملها الرجل التارقي للدفاع أو في الصيد، والرجل الطارقي كونه كثير الترحال يحتاج إلى لوازم لسفره كالسرج ولنقل المؤونة، وهذه الأدوات ينبغي أن تذكر جميعها وتتناول بلمحات من البيئة الصحراوية، فكل تحفة ستحتاج إلى عناصر عديدة لتقديمها الوسط المادة الخام والشرح التقني (أداة ، طريقة، حركة تقنية) والشرح الوظيفي (اقتصاد . حياة إجتماعية ، طقوس ثم الشرح التاريخي إن أمكن ذلك لا شيء إعتباطي.

فالزائر حينما يرى هذه المعروضات والشروح، يدرك أن المدنية التي يعيشها وأن عالمه لا يتوقف عند حدود مدينته ومؤسسته ،بل هناك أناس وشعوب قد عاشت في أوساط بيئة

صحراوية مكنت أنفسها من العيش بمقدرات بسيطة وأدوات جلدية متنوعة، يُمكن من عرضها أن يلحظ الزائر وأن يُكون فكرة واضحة لكن بالعرض المتسلسل للأدوات¹.

وهكذا فإن العرض الجيد يُوفق بين الحس الجمالي الذي توفره الأداة وبين الاستعمال الاجتماعي والثقافي الذي تدعم العدة التوضيحية والتأويلية أن أحدهما يثري الآخر في ارتباط وثيق بين المعنى والدلالات حتى لا يترك المشهد الذي يقدمه عرض الأشياء الأدوات إنطبعا بفضول تجاه ما هو غريب بل يولجنا في البيئة الاجتماعية والثقافية والعاطفة الغنية، التي توجه إبداع هذه الأشياء وبذلك يعيد الاتصال الإنساني مع أعضاء مجتمعها الأصل بغض النظر عن مسافة الزمان والمكان².

3- الدراسة الأثرية والفنية للتحف الأثنوغرافية:

- **العمل الأثري الفني:** شمل قسمين الأول هو عمل بطاقات تقنية للجرد التحف ويتم فيه ملأ إستمارة بطاقة الجرد، بينما القسم الاثري الفني الذي يكون بعمل مخططات للقطع المدروسة مع التفريغ الزخرفي وتحديد العناصر الفنية، وكانت دراستنا حول هذه التحف الجلدية بإنثناء بعض النماذج الفريدة في الصنعة وللزخرفة وفي أهميتها فإخترنا بذلك مجموعة من الأدوات وتناولنا الألبسة (من القمصان الجلدية الخاصة بالعبيد وكذلك النعال الجلدية) كذلك تناولنا معدات السفر وهي حقائب متميزة في صناعتها وزخرفتها مثل حقيبتى الجبيرة وتحينات، والأدوات الخاصة بالأمنوكال (الطبل والترس)، وكذلك الأدوات الخاصة بمحاربي الطوارق كالسروج والألجمة ولوزامها من الألجمة، ومن القيود والسياط وهي متميزة بصناعتها لدى طوارق الهقار، وفي الأخير الأدوات الخاصة بمرابطي وهي الحجابات.

¹ - Gabus(j), l'exposition temporaire dans la vie d'un musee d'ethnograohie ,museum vol iv ,n'3 ,1951 ,paris ,p178.

² - كورين فورتيني، نفس المرجع السابق، ص281.

بطاقة تقنية : 01

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطني البارود

اسم القطعة :أديم (قطعة جلد مدبوغ)

رقم الجرد: cp207

الوظيفة: مادة خام

المادة:جلد ماعز

المقاسات : 65سم .

الوصف :

قطعة جلد ماعز ذات شكل شبه منحرف بعد إعداده جيدا وهذا الجلد له الغير مثقوب هو المادة الأولية التي يستعملها الصناع لصناعة أدواتهم الجلدية المتنوعة، وهذا بعد تحضيره ونزع وبره وشعره ودبغه جيدا يصير سميكا وجاهزا للصناعة، وجلد الماعز هو الجلد المفضل عند الصناع لمتانته ونعومته، ويصنعون منه النعال الجيدة ،وأغشية الأدوات الموسيقية، وإذا أراد الصناع جعله كفراش يحتفظون بصوفه أو شعره دون نتف ،ويلينونه بالملح والشب وحينئذ يطلق عليه الفراء أو الفروة ،ولا تخلو أي خيمة منها، وتستعمل كسجاد وأغطية.

المقتني:موريس ريغاس

تاريخ الأقتناء: 1930

مراكز الصناعة:الهقار .



بطاقة تقنية :02

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطنى البارديو



اسم القطعة :خيمة (إيهان)

رقم الجرد : cp281

الوظيفة: مسكن البدو

المادة:جلد ماعز

المقاسات : الطول : 10 أمتار

الوصف :

الخيمة هي مسكن البدو الرُّحل ،ويتم تصنيع الخيام عند طوارق الهقار من جلود الماعز والموتون الذي يدبغ جيدا ويدهن ويصبغ بمادة حمراء، ويصير سميكاً جداً ثم يخاط قطعة قطعة من أطرافه، وعدد القطع الذي تصنع منه الخيمة يتراوح من 30 و150 خيمة، وتصنع هذه الخيمة قليلة الارتفاع، ولا يستطيع المرء أن ينتصب في غير وسطها ،وتظهر مربعة الشكل ولا تكون مدورة مطلقاً، ويمكن إغلاقها من كل جانب ،وإن كان شمالها يترك مفتوحاً لدخول النسيم ،وتركب الخيمة وتتصب على أعمدة هاته الخيم ،وينحدر عليها الماء من غير أن ينفذ منها ،ولا تؤثر فيها العواصف والرياح والشمس ،وتبدأ عملية صناعة الخيمة بدباغة الجلد ثم تخاط كل قطعة بأخرى بعناية من الجلد نفسه، وعدد القطع الضرورية لصنع خيمة يتراوح ما بين 30 و150 قطعة، والخيمة المتوسطة المنتهية الصنع تزن عادة ما يتراوح بين 25 و30 كلغ.

المقتني:موريس ريغاس

تاريخ الأقتناء:1930

مراكز الصناعة:الهقار الشمالية.

بطاقة تقنية:03



إسم القطعة :تاسوفرا

رقم الجرد: cpx1

الوظيفة: نقل الماء والحليب

المادة:جلد ماعز

المقاسات :

ارتفاع الإناء : 76سم -عرض الفتحة : 24سم عرض القاعدة :36سم.

تقنية الصناعة : طريقة الجراب

الوظيفة: حفظ الحليب والماء .

الوصف :تاسوفرا جمعها تسوفروين عبارة عن إناء جلدى بالتقريب أسطواني يتم صناعته بسلخه على شكل دائري دون إحداث أي فتحة في الجلد ، ويستعمل لحفظ الماء ،والزبدة واللبن خلافا عن القربة فهي دون شعر ،وتصنع عامة من قطعتين من جلد المعز واحدة تشكل الإناء والاخرى تزود حواشي الزخرفة وتحمل من 6 إلى 12ليترات ويتميز الأناء الذى يظهر فى الصورة بفتحة عريضة دون حبل للتعليق لكنه يحمل مقبضين لحمله وهو منزوع الشعر ومدبوغ فى العنق والرجلين الأماميين ومغلق بأربطة قوية، أما من الخلف فهو مشكل من وتر مقوس عبارة عن حبل جلدي مفتول ومثبت .

المقتني: مورييس ريغاس

مراكز صناعته: الهقار بالصحراء الوسطى وتستعمل عند المور بموريتانيا ويستعملها سكان الصحراء بتيديكلت (عين صالح).

بطاقة تقنية:04



مكان تواجد التحفة : المتحف الوطني الباردو

إسم القطعة : قربة

رقم الجرد : cp90.01

الوظيفة: نقل الماء وتبريده

المادة:جلد ماعز

المقاسات : إ:65سم، عرض الفتحة:30سم، عرض القاعدة8سم

الوصف:

القربة هي وعاء يتخذ من جلد الماعز لمتانته ويتخذ من جلود أخرى والقربة هي ذات سعة تتراوح من 20 و 25 لتر، ولصناعة القربة تسلخ بعناية كبيرة لتقادي أي ثقب في الجلد وتملح وتنظف الجلد من الوبر، ويتم دباغة القرب جيدا وتغسل بالماء ثم تترك لتجف في الشمس ثم تطلّى بزبدة الماعز وتصر مؤخرتها، وتخزز جيدا فتنج قربة وهذا النوع لا يحمل زخرفة على سطحه باستثناء الفتحة والأرجل، فهي مزودة بحواشي طويلة ملونة بالأخضر والبني.

الببليوغرافيا:

Mounier, travail des peaux chez les touareg
hoggar, tris, vol1942, alger, p142

مراكز الصناعة: الهقار ، تيديكلت ، الواحات.

بطاقة تقنية :05

إسم القطعة : دلو

رقم الجرد: cpx24

الوظيفة: نقل الماء

المادة:جلد ماعز

المقاسات : القطر:30سم

الوصف:



هذه الصورة تمثل الدلو المستخدم في جلب الماء من البئر وهو عبارة عن قطعة جلد مدورة تشد الى حلقة في دائرية مثبتة بشكل متين بواسطة مجموعة سيور دائرية من الخشب مغطاة بالجلد فوق هذه الدائرة ثلاث روابط حبال تضمن قبضة توازن الدلو تسمى المملوء بالماء تسمى العرقوتان ، ويظهر من لون هذه القطعة باهتة من آثار الاستعمال ،وهذا الدلو يجعل له حبل لجبد الماء والوعاء يمكن أن يحمل من 4لتر إلى حوالي 6لتر.

المقتني: مورييس ريغاس

مراكز الصناعة: الهقار

الببلوغرافيا:

Mounier, Op. Cit, p147.

- Gast, "delou", encyclobédie berbère (daphinatie –djado)tome 15,edisud,paris,1995,pp2261-2264

بطاقة تقنية:06

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطني البارود



إسم القطعة : بطة الدهان

رقم الجرد: cp14

الوظيفة: نقل الزبدة

المادة: جلد الجمل

المقاسات :القطر 24سم

الوصف:

تمثل الصورة علبة من الجلد دائرية ويصنعها البدو بجلدة تؤخذ من جلد جنب البعير وهي قطعة غير مدبوغة فتسوى الجلدة مستديرة ثم تملأ رملاً سهلاً ثم يضم أطرافها وتخل بخلال ويؤكئ عليها مقبوضة بحبل وتترك ثم يعلق على أغصان ليجف لأكثر من عشرة أيام تقريباً بعدها تنظف مما بقي من الحصى وتدهن سطحها بمربي التمر .

مراكز الصناعة: الهقار

الببليوغرافيا: 1-إبن منظور، لسان العرب ، المجلد الأول ،دار صادر ، بيروت -لبنان- 1993، ص735.

Mounier,opcit, p147.

مصدر المجموعة : ريغاس

بطاقة تقنية: 07

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطني البارودو



إسم القطعة :قارورة جلدية "تاهيتان"

رقم الجرد : cp15

الوظيفة : حفظ السمن

المادة:جلد ماعز

المقاسات : القطر :30سم

الوصف:

هذه العلبة تستعمل لحفظ السمن ذات شكل اسطواني ، لها حجم متوسط بسعة 2لتر ،ويتم تصنيعها من جلد الثور القاسي بخياطة عدة طبقات من الجلد ثم تطلّى بمربي التمر كبطانة لها ، وهذه القارورة لها فوهة دقيقة جدا، ويتدلى منها حزام يدور حول عنق هذه القارورة، ومن الأسفل يوجد جزء منحوت يشكل قاعدتها و،بجزئها الأعلى يجعل له سداة من جلد أو عفاص، وهي الجلدة التي تلبس حول عنقه، ومن عيوب هذه القارورة أنها تتفتت وتتقشر بمضي الوقت .

المقتني:ريغاس.

مراكز الصناعة: الهقار

بطاقة تقنية:08

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطني الباردو



إسم القطعة :أكركب

رقم الجرد : cp22

الوظيفة: حفظ العسل

المادة:جلد الجمل

المقاسات: القطر 20سم

الوصف:

هذه العلب تستعمل لحفظ العسل وهي ذات سعة من 3لتر لعشرة وتصنع خصيصا ببلاد السودان وهي تصنع من مادة القرع أو بالسلالة ثم تغطى بالجلد الأحمر وتتخذ هذه الأوعية شكلا اسطوانيا بينما في الأسفل تتدلى منها أهداب فالوعاء في الجهة اليمنى من الصورة يظهر بشكل مسطح يعلوه الأهداب ويتوسطه زينة بشكل منشاري بينما الوعاء لأوسط ذو شكل شبه دائري يغطي بالجلد ، والثالث ذو شكل اسطواني وهذه العلب أهديت للأمنوكال مصطفى أغ محمد وهو من قبيلة كيلا غلا¹.

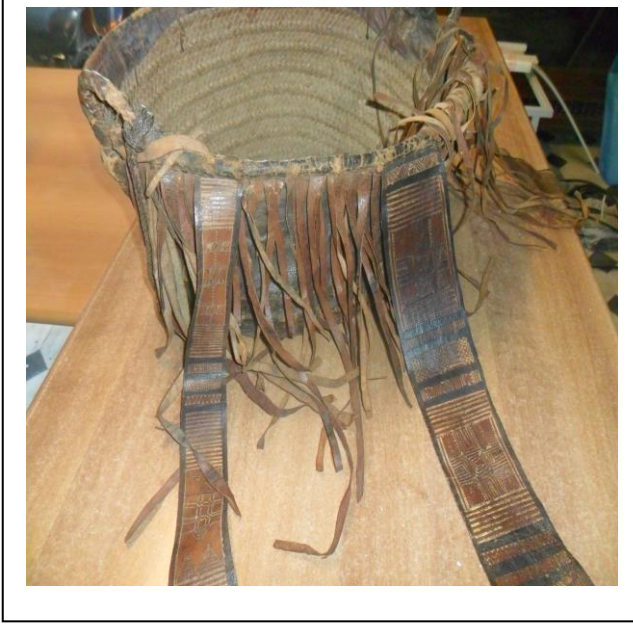
المقتني: مورييس ريغاس

مراكز الصناعة: الهقار، منطقة تامسنا

مصدر المجموعة: ريغاس

بطاقة تقنية:09:

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطني الباردو



إسم القطعة :المهد

رقم الجرد : cp44

الوظيفة: نقل الأطفال الرضع

المادة: سلاله +جلد

تقنية الصناعة:التغليف

الوصف:

هذا الوعاء عبارة عن مهد يستعمله الطوارق للأطفال الرضع ويتخذ شكل سعة كبيرة وهو مصنوع من السلاله ومغلف بجلد أحمر لين، وله مقبضين يشد منها ولم يخلو هذا المهد من زينة التي جعلت على أطرافه وهي أهداب مزينة برسوم هندسية معينة ونقط ، ورقع شطرنج ، وأشرطة رقيقة سوداء بأسلوب الحز و الحفر، وهذا النوع من المهد خاص بالهقار وتتنوع أنماط المهد لدى سائر الطوارق في النيجر ومالي.

المقتني: مورييس ريغاس

تاريخ الأقتناء: 1930

مراكز الصناعة:الهقار.

البليوغرافيا:

lhote(h), Comment campent les touareg , collection des peuple
campeurs , j.susse.paris 194

بطاقة تقنية للجرد:10

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطنى البارديو



إسم القطعة :وسادة أدفور

رقم الجرد: cpx130

الوظيفة: مخدة للنوم

المادة:جلد ماعز

المقاسات: القطر 24سم

الوصف:

أدفور عبارة عن مخدة جلدية بأشكال متعددة وتستعمل لأراحة الظهر والجلوس وتوضع تحت الرأس ، وهذا النوع مصبوغ بالأحمر من الأمام والخلف يحمل ثلاث حواشي عريضة صغيرة وحمراء ذات خطوط سوداء حيث يحمل الوجه الأمامي للمخدة أشكال مربعات متقاطعة داخل كل منها معينات سوداء ، ويزين خط آخر عريض يحيط بالقطعة على شكل دائرة بالصباغة ، والوجه الخلفي مزخرف بخططين سوداوين على شكل صليب وفي مركز المخدة معين مرسوم وخط أسود عريض يحيط بالمخدة.

المقتني: مورييس ريغاس

تاريخ الأقتناء:1930

مراكز صناعة : الهقار.

الببلوغرافيا

بطاقة تقنية: 11

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطني البارودو



إسم القطعة :وسادة أدفور

رقم الجرد: cpx130

الوظيفة: مخدة للنوم

المادة: جلد +خيوط حرير

المقاسات: ط24سم/ع24سم

الوصف:

هذه الوسادة ذات شكل دائرة من جلد أحمر ومزينة بإثقان تملئ بشريطين متقاطعين في وسط القطعة يتخللهما دوائر بالأخضر والأحمر وكلها منفذة بخيوط الحرير بينما في الأركان نجد شكل معقود كما لم تخلو الوسادة بطابع جمالي من خلال الأهداب وحواشي طويلة وعريضة مزخرفة بخطوط سوداء وحمراء على شكل مستطيلات ومعينات من الأمام الحواشي الرقيقة ملونة بالأحمر .

المقتني: موريس ريغاس

مراكز الصناعة: الهقار

تاريخ الأقتناء: 1930.

بطاقة تقنية رقم 12:

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطني البارود

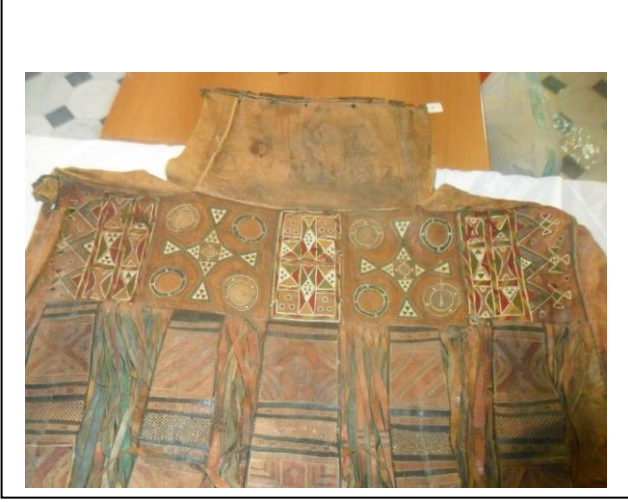
إسم القطعة : تحيحات

رقم الجرد : cpx73

الوظيفة: حقيبة لحفظ المؤن

المادة: جلد + أصبغة + جلد أخضر + صوف

المقاسات: البدن: 96سم - العرض 51سم



الوصف:

تسمى هذه القطعة تحيحات وهي عبارة عن حقيبة نسائية تصنع غالبا من جلد رقبة الجمل لها فتحة أنبوبية الشكل ، وتربط الأرجل الأمامية والساقين وتعد بمثابة مقابض، ويحتاج صنع هذه الحقيبة لعشرات الجلود، وهي تتميز بمقاسات كبيرة لحفظ المؤن، وأثناء التنقل تعلق على مؤخرة السرج توضع عليها الملابس الغالية وعلب الشاي ، وصناعة هذه الحقيبة هذه تحتاج لدقة كبيرة لتنوع زخارفها، وتعاون مجموعة من النسوة، وهي أفضل ما تصنعه نساء الهقار نجد زخارف البدن مقسمة في حقول بأشكال هندسية من دوائر ملونة مثلثات ومعينات مرتبة داخل المربع وتتفد بخيوط الحرير، وصليب مع دوائر عادة ما ترمز الى الشمس، ويصنع بسيور من الجلد متعددة الألوان . وهذه الحقيبة تمثل الفن الطارقي بالهقار.

مراكز الصناعة: طوارق الهقار، طوارق إيلوميدان.

بطاقة تقنية:13

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطني البارديو

إسم القطعة: تششكوات:

71.cpxرقم الجرد:

المادة: جلد غزال.

تقنية الصناعة: الدباغة النباتية

المقاسات:



الارتفاع الكلي:108سم الارتفاع المحفظة :70سم

عرض القاعدة:25سم -عرض الفتحة:31.5سم

الوصف تسمى هذه المحفظة تششكوات تتميز بعدة أشكال خاصة بالرجال والنساء بوضع الأدوات القيمة والمؤونة دون السوائل و تصنع هذه المحفظة من جلد أو عدة قطع مخاطة

هذا الموجود أعلاه بالجهة اليمنى هي عبارة عن محفظة صغيرة تعلق على سرج الجمل يحمل الوجه الأمامي للقطعة صباغة حمراء وقطع جلدية زخرفية مضافة تتمثل في ثلاث مربعات ومثلث للوجه الأمامي، وهي ملونة بخيوط سوداء وبنية على شكل مثلثات صغيرة وكلا الجهتين مزودتين بحواشي زخرفية، وأما الحقيبة الموجودة من الجهة اليسرى يعلقه الرجال أثناء التنقل وفي أيام الفرح (الزواج، الزيارات)، وهي ترجع للفقيه أغ محمد الفقيه صنعتها نسوة من قبيلة أرغانتان بتامسنا وهو مزين حمراء ولا يستعمل إلا في الاستعراض

مراكز الصناعة: تامسنا.

بطاقة تقنية:14

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطني البارود

إسم القطعة: خُرج(أغراج)

الرقم الجرد: 95x95cp

الوظيفة: تستعمل في السفر لحمل الزاد والأغراض

المادة: جلد صغار الماعز.

تقنية الصناعة: جراب

المقاسات: 0.60سم

الوصف:

هذا الشكل من الجرب يستعمله البدو الرحل في نقل الزاد والأغراض الخفيفة ويعلقونه على الظهر ويتميز بشكله الشبه المنحرف ، بحيث يمتد قاعدته وتتسع ، بينما فوهته فتكون دائرية وتعلق في جوانبه حبل التعليق ، وهذا الجراب يظهر بزخرفة في قسمه الأعلى مرسومة بأصباغ سوداء على أرضية بنية برسومات سلسلة من مثلثات سوداء على أرضية حمراء ، أما البدن فهو عديم الزخرفة والتي غطاها الحرفي بالأهداب وهي مزينة بأصباغ زاهية.

المقتني: ريغاس

تاريخ الأقتناء: 1930

مراكز الصناعة : الهقار ، تامسنا.

بطاقة تقنية:15



مكان تواجد التحفة : المتحف الوطني البارديو



اسم القطعة: سفت ومحلها البليود

رقم الجرد cp20

الوظيفة : حفظ نقل الأدوات الصغيرة

تقنية الصناعة: الجراب

المقاسات:

الطول: 17سم العرض: 16سم

الوصف:

هذا الكيس الجلدي يتميز بصغر الحجم وهي تصنع من جلود العجول الصغيرة لذا تختلف أشكال هذه السفت حسب مادة صنعه وفيما يخص تقنية صناعته وتزينه فهو قاعدة كبيرة تحوي جيب لحفظ الأدوات والنقود ، وكل الطبقات الاجتماعية بالهقار لديها هذه الأكياس الصغيرة التي تعلقها على جانب وتتميز بزخارف في قمه العلوي قوس تحته ومن أعلاه شكل معين يكتنفه من الجهتين ضلعين متقابلين وهذه الرسوم هي تجسد رمزية التلقيح الذكري عند البربر ، وأما في القسم السفلي فهي رسوم متعددة وخطوط عمودية

المقتني:موريس ريغاس

تاريخ الاقتناء:1930.

بطاقة تقنية:16

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطنى البارديو

إسم القطعة: محفظة طرابلس

الرقم الجرد: cpx42.

الوظيفة :خاصة بالرجال لحمل المنقش الأدوات الص

تقنية الصناعة: الخياطة والتطريز

المقاسات:

الطول: 17سم العرض:16سم

الوصف:

تتنوع المحافظ التي يستعملها الطوارق لنقل النقود والتعاويذ، بينما المحافظ الموجودة أعلاه فتستعمل في نقل النقود وتعد هذه المحفظة هي الأكثر شعبية لدى السياح ولا يلبسها إلا عدد قليل من الناس الطوارق وفي الماضي القريب غالب ما يشاهد ارتداؤها عند المحاربين وكبار السن ، وهذه المحفظة ذات شكل مستطيل صغير الحجم ولها رأس يمثل عروة يشد منها مزين بداخله مثلث صغير والجزء الأوسط زين في طرفه العلوي بمعينات تكون فارغة (أرضية حمراء)وبجوانب المعينات غطيت بقطع بيضاء، بخيوط حرير وفراغاته ملئت بخياطة من الخيط الأبيض ونحت معينات صغيرة بينما في زخرفة القسم الآخر نجد إطار مربع بخيوط الحرير داخله أشكال قلبية وزينت حواشي البدن برصتت جلدية صغيرة لها أشكال مسنمة حادة من اليمين واليسار أما في الاسفل فزينت بشراشيف.

المقتني: موريس ريغاس



بطاقة تقنية:17

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطني البارودو

اسم القطعة: محفظة التبغ

55.cpxرقم الجرد:

الوظيفة :حفظ التبغ

مادة الصنع: أصباغ جلدية،

تقنية الصناعة: الجراب

المقاسات:

الطول: 33سم العرض:13.5سم

الوصف:

محفظة من نوع خاص جدا حقيبة جلدية سوداء مستطيلة مطرزة بالأخضر تتكون من جيوب مختلفة كل منها مزود بحلقة صغيرة قابلة للطي وهي مميزة في صناعتها بتصميم مختلف وأنيق للغاية، وكل جيب يحوي ورقة التبغ وعود الكبريت، ويتم تعليقها كقلادة في الصدر وتعلق بحبل وهذه المحفظة هي مقرونة الزوايا والتبغ يتم إستعماله بين الطوارق والسود وفي جميع أنحاء السودان.

المقتني: موريس ريغاس

مراكز الصناعة: قبائل كيل غرس (نيجريا).



بطاقة تقنية:18

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطني البارديو

إسم القطعة: علبة

14. sec رقم الجرد:

الوظيفة: حفظ البخور والحلي.

مادة الصنع: جلد الجمل

تقنية الصناعة: قولبة الجلد

المقاسات:

الوصف:



هذه العلبة عبارة عن علبة من الجلد يستعملها الطوارق لحفظ البخور تستعملها المرأة لحفظ الحلي وهي تصنع من وعاء طيني ثم يلف بقطعة جلد جمل ثم تجوف الطينة ويبقى الجلد هو الوعاء ، وهذه العلبة تتخذ شكل صدفي حيث غطاء العلبة أعلى بكثير من البدن، ويتم زخرفة هذه العلبة برسوم متنوعة وبأصباغة تنتشر على الوعاء وتغطي الأجزاء الأخرى بالشمع وهذا النوع هو الأجمل بشكله البيضاوي، وهو أعلى بكثير من الوعاء، يشبه الصدفة وتظهر لتساميم باللون الأصفر على خلفية حمراء (صبغة نباتية بنية).

والزخارف مقسمة في كل جوانب العلبة للقطعة بشكل دقيق، فالقسم العلوي يضم: نجمة ، خطوط مائلة بشكل مربع تضم داخلها شكل حلزوني، خطوط تشبه اسنان المشط

الوسط: خط منشاري

المقتني: ريغاس

بطاقة تقنية:19

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطني البارديو



اسم القطعة: سرج تامزك

AHX249رقم الجرد:

مادة الصنع :خشب+جلد

تقنية الصنع:التغليف

المقاسات:ط44سم القاعدة 27سم

الوصف:

يستخدم الطوارق هذا النوع من السرج الذي يعرف بالراحلة وهذا النوع يصنع من أربع قطع خشبية وتكون نهاية مقبض صليبي، ويغلفونه بالجلد الأخضر امنزار لتسخير الجمال التي تعتبر في منطقة الصحراء من أكثر الحيوانات المرموقة فهي تستخدم في الجري والقتال وهي فخر لأصحابها وتعد جودة السرج جزء لا يتجزء من سمعة المحارب ويتم تقديم أكبر قدر من العناية لتزيين السروج وهي مصممة بشكل خاص لحمل حقائب السفر المختلفة معلقة من جانب الجمل يعد الجلد الأخضر الزمردي الذي تم الحصول عليه من أكاسيد النحاشلونا نبيلاً كما أنه رمز للحماية ولذلك يتم استخدامه كثيراً بالإضافة الى أنماط هندية مثلثات هي أيضاً رموز وقائية.

المقتني: موريس ريغاس

مراكز الصناعة: أغاديس.

بطاقة تقنية:20

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطني البارديو



اسم القطعة: سرج تامزك

رقم الجرد: AH323

مادة الصنع: جلد

الوظيفة: قود الجمل والتحكم فيه

تقنية الصنع:الضفر والقتل

المقاسات:4أمتار

الوصف:

هذه الصورة تمثل أدوات يستعملها الفارس لقيادة جملة وتتمثل في زمام وسوط والطوارق

الزمام يكون حبلا جلديا طوله مترين يتم صنعه بضفر عدة حبال جلدية، ويكون قمته مضفورة متناوبة بجلود خضراء وحمراء، وفي نهايته شبه خرصة لغلق وفتحه اما السياط فالطوارق يصنعون ويسوون سيوطهم من جلد الإبل التي لم تدبغ يأخذون الشريحة العريضة فيقطعون منها سيورا عراضا ويدفنونها في الثرى فإذا نديت ولانت جعلوا منها أربع قوى ثم فتلوها ثم علقوها في شعبي خشبة فتقلها ممدودة وقد أثقلوها حتى تيبس وهذا السياط يجعل له علاقة يشد منها ويستمر صناعة السوط عند الطوارق ثلاثة أيام.

المقتني: موريس ريغاس

تاريخ الأقتناء:1930

مراكز الصناعة: الهقار.

بطاقة تقنية:21

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطني البارديو

إسم القطعة: القلادة

رقم الجرد cpx22

مادة الصنع: جلد+جلد أخضر+قماش أحمر

تقنية الصنع: خياطة وتطريز

المقاسات: ط63سم

العرض: 8سم

الوصف:

هذه الصورة تمثل قلادة من الجلد يستعملها الفرسان لتزيين رقاب الجمال وتصنع من قدد من جلد رفيعة نوعا ما ذات نهاية هرمية الشكل، وتقرن مع بعضها البعض حتى تشكل شبه قلادة وتجعل في رقبة الجمل وهي تزين برسوم متنوعة من مثلثات ودوائر منفذة بخيوط الحرير الأحمر على أرضية الجلد الأخضر "السمنتو" وأيضا بخيوط الحرير ودوائر من الحرير.

المقتني: موريس ريغاس

مراكز الصناعة: الهقار النيجر

الببلوغرافيا.



بطاقة تقنية:22

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطني البارديو

إسم القطعة: حقيبة الجبيرة

رقم الجرد.14 sec

الوظيفة: حفظ أدوات المسافرين.

مادة الصنع : جلد

تقنية الصنع:خياطة

الوصف:

خرج التوارق عبارة عن حقيبة سفر من الجلد على شكل مربع جزءه الأعلى مفتوح كليا يتدلى عليه غطاء جلدي يغلق الفتحة ، له ثقب في الأعلى يدخل فيه قضيب ليمسك به يمثل هذا جانبا وظيفيا لحمل الأغراض الثمينة وجانبا جماليا فهو يمثل القطعة الرئيسة لزينة الجمل.الزخرفة متنوعة وغنية جدا ، لأشكال هندسية مصنوعة من الجلد الملون من دوائر من الجلد ومثلثات ومربعات ومعينات تتداخل بغزارة ويمكن تقسيم الزخرفة.

القسم العلوي : أفريز فيه دوائر

الأوسط:معينات أفقية وعلوية ومربع يتوجه بداخله بدائرة كبيرة ودوائر صغيرة

السفلي: قام الصانع بقطع أسافل الجلد على شكل ثلاث اشطرة مخرمة، وفي جوانب نجد مربع يتوج سمة أو توقيع الصانع التي يتم قطعها .

المقتني:ريغاس



بطاقة تقنية:23

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطني البارودو

إسم القطعة: نعال إيغتمين

رقم الجرد: ch83

مادة الصنع :جلد

تقنية الصنع:خياطة

المقاسات:ط:26سم

العرض:

13سم

الوصف:



يتم صنعه من قطع جلود الماعز ويتم صنعه من جلود الثور الدرباني يكون واسعا بقدر
مقاس القدم مغلف بجلد الماعز وتشد بشراك تنهت، وهي السير الجلدي الذي يغرز داخل
النعل من خلاله يتم تثبيت أصبع القدم وتزينه شريط أسود و سطح النعال تزين بطوق دائري
وينحني في أطراف النعال حسب الشكل أي ان الزخرفة بها معقوفة وتدعى هذا النعال
ايغتمين ولا يمتلكها الا البدو الأغنياء وهو نوع من الأحذية الفاخرة عند قبائل بدو ايموهاج
وهو مستعمل عند سكان الواحات التي تجاور مناطق الطوارق.

مراكز الصناعة: أغاديس

بطاقة تقنية:24

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطنى البارودو

إسم القطعة: فستان جلدي

Cpx194رقم الجرد:

مادة الصنع :خشب+جلد

تقنية الصنع:التغليف

المقاسات:

الوصف:

ط: 14م و20سم

العرض: 45سم

الأكتاف: 55سم

الوصف:



هذه الصورة تمثل لباس جلدي وهو عبارة عن فستان مصنوع من قطعتين الظهر والأمام وله فتحة لأدخال الرقبة وله أكمام ، ويتم صبغه بصباغة حمراء وهو مزين بأهداب في نهايته. هذا اللباس جد قديم ومرتبط بهوية الطوارق الأصليين أي الليبيين الأسباتن وهم فرع من الليبين القدامى بالمنطقة وقد كان لا يزال هذا اللباس معروفا بنواحي الهقار حتى قبيل دخول الاستعمار ، وهذا اللباس يستهلك بكثرة لدى قبائل إسكمارين والعبيد عموما لسرعة صنعه وقلة تكلفته بينما الفئات النبيلة فلا يلبسونه.

بطاقة تقنية :25

مكان تواجد التحفة : المتحف الوطني البارديو

إسم القطعة: الدرع

AH218رقم الجرد:

مادة الصنع :خشب+جلد

تقنية الصنع:التغليف

المقاسات:ط:130سم/ع90سم

العرض:60سم

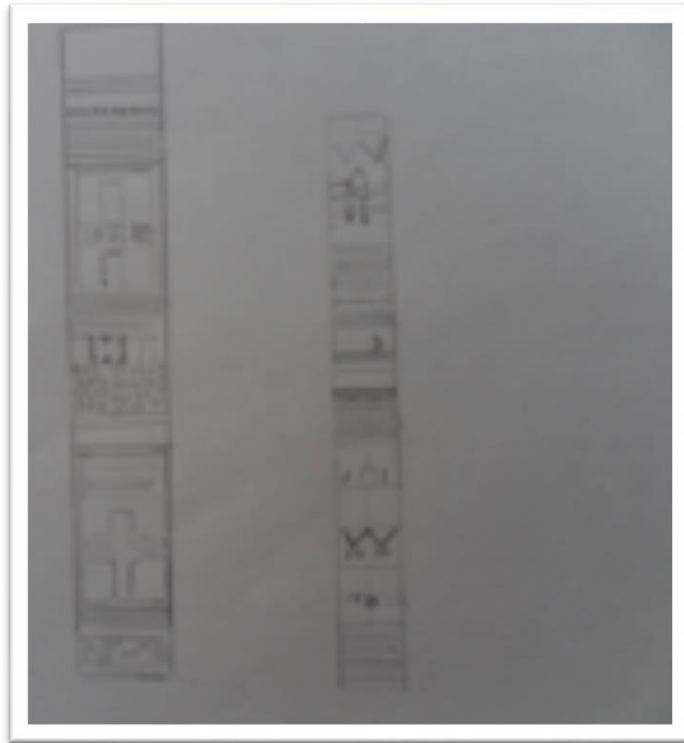
الوصف:

هذه الصورة تمثل درع يستعمله الطوارق في الحروب وهو مصنوع من جلود الظباء التي تنقطع في الألبان حتى تزداد ثخونة حتى يكون مقاوما للرماح وضربات السيف ثم يجعل له مقبض يشد منه وتزين في الوسط بزينة ، وهذا له شكل مستطيل مقور في الوسط حيث يلتصق مع درع العدور أثناء الحرب، تزين قطع قماش وجلد أخضر ، وله تصميم في الوسط من مسامير : وله رمزية أرجل طائر الحبار، والدرع له لون أبيض ناصع بينما في جوانبه شريط أزرق ، والمقاتلون الدرع على الأرجح ينتمي الى الامنوكال "امين الحرب المختار لصفات معينة وهي صفات حربية ويعتبر الدرع شهادة ثمينة جدا لثقافة الطوارق القائمة على الحرب وهذا الدرع غير موجود حاليا لغياب الظباء ولعدم جدوته مع الأسلحة النارية.

المقتني: ريغاس.



4- الدراسة الأثرية الفنية:



1-المهد والزخارف المنفذة على الأهداب



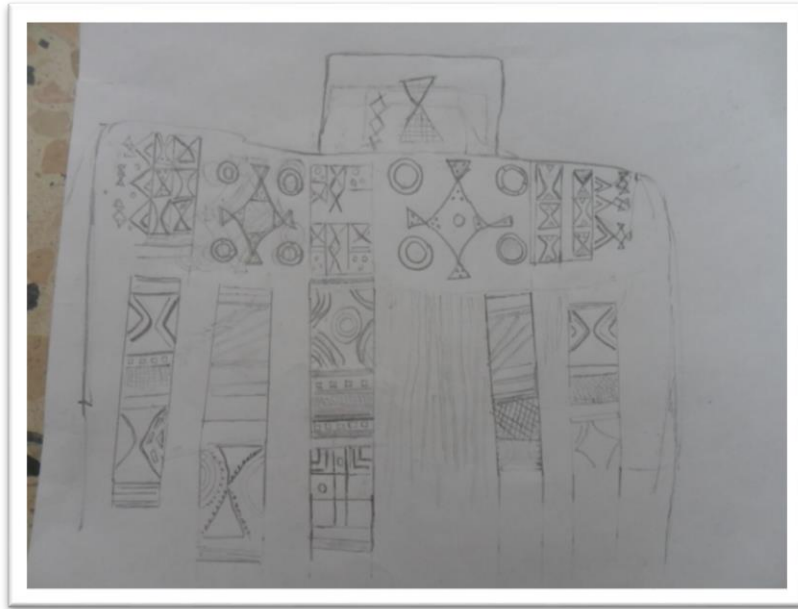
2-وسادة



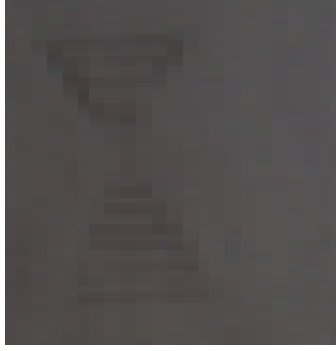
3-حفظة



4-محفظة



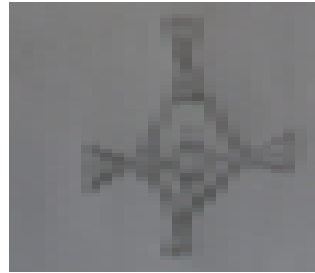
5 - حقيبة تاهيهات (7/1سم)



2- امرأة منقوشة على شكل مثلثين



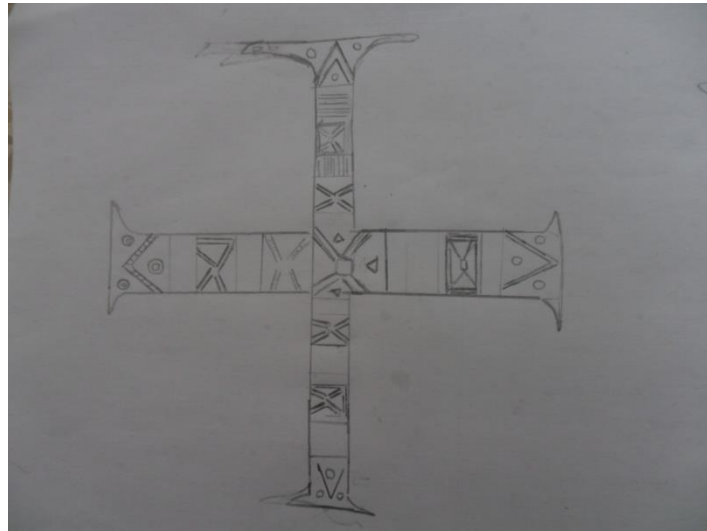
3- زخارف جانبية مثلثات ومعينات منسوجة



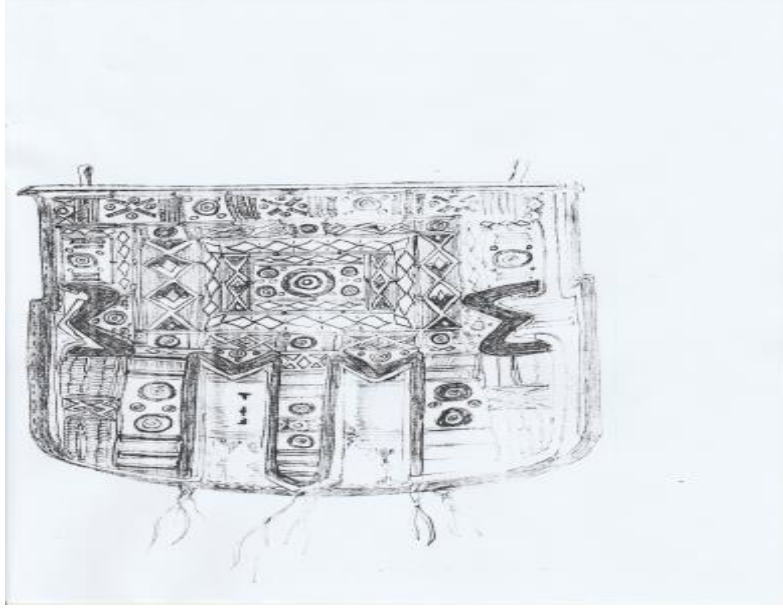
4- صليب مشكل بقطع جلدية .



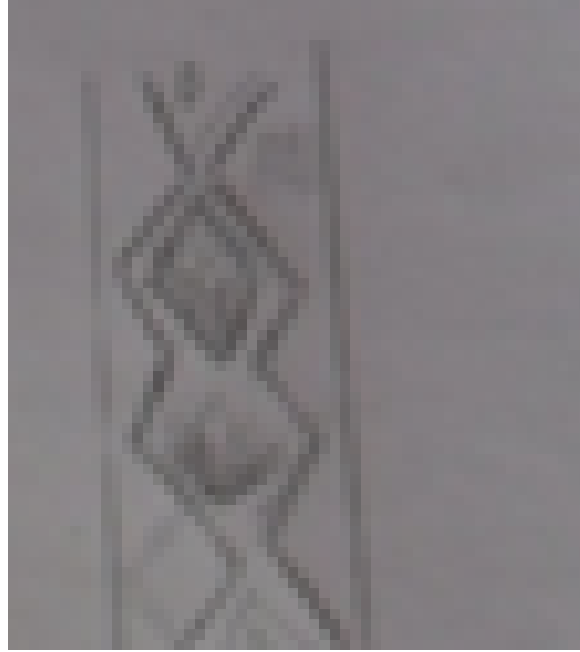
5-العناصر الزخرفية المنفذة على الأهداب.



6-قلادة جلدية مطرزة



7- حقيبة الجبيرة/ مقياس الرسم 10/1



8- إفريز جانبي مكون من معينات



9- مربع يتوج داخله بدائرة



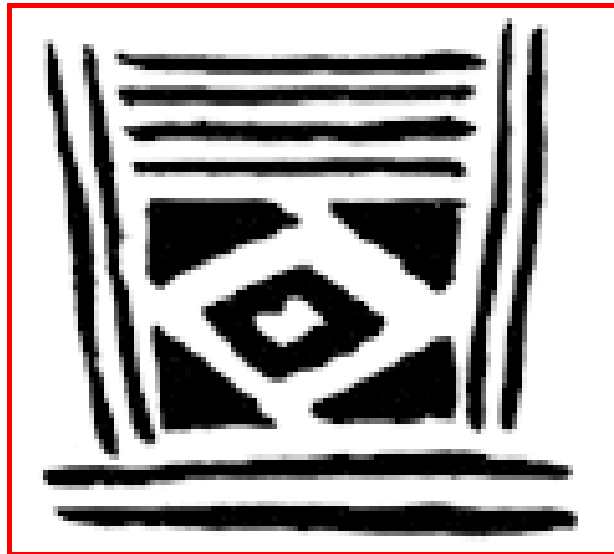
10- توقيع الصانع



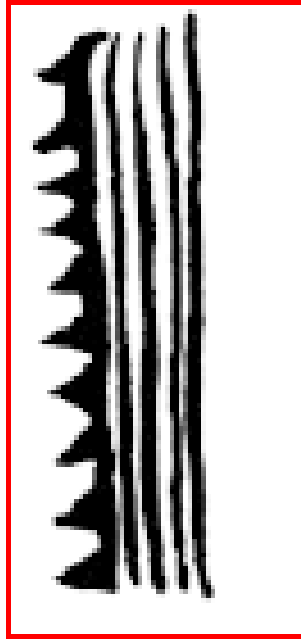
10- شكل مميز



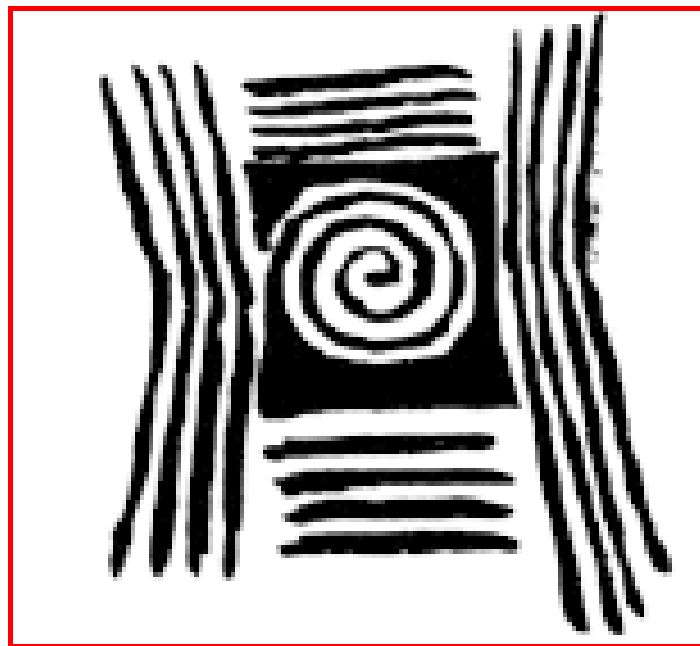
11- علبة جلدية



12- شكل معين



13- شکل مسنن



14- شکل حلزوني

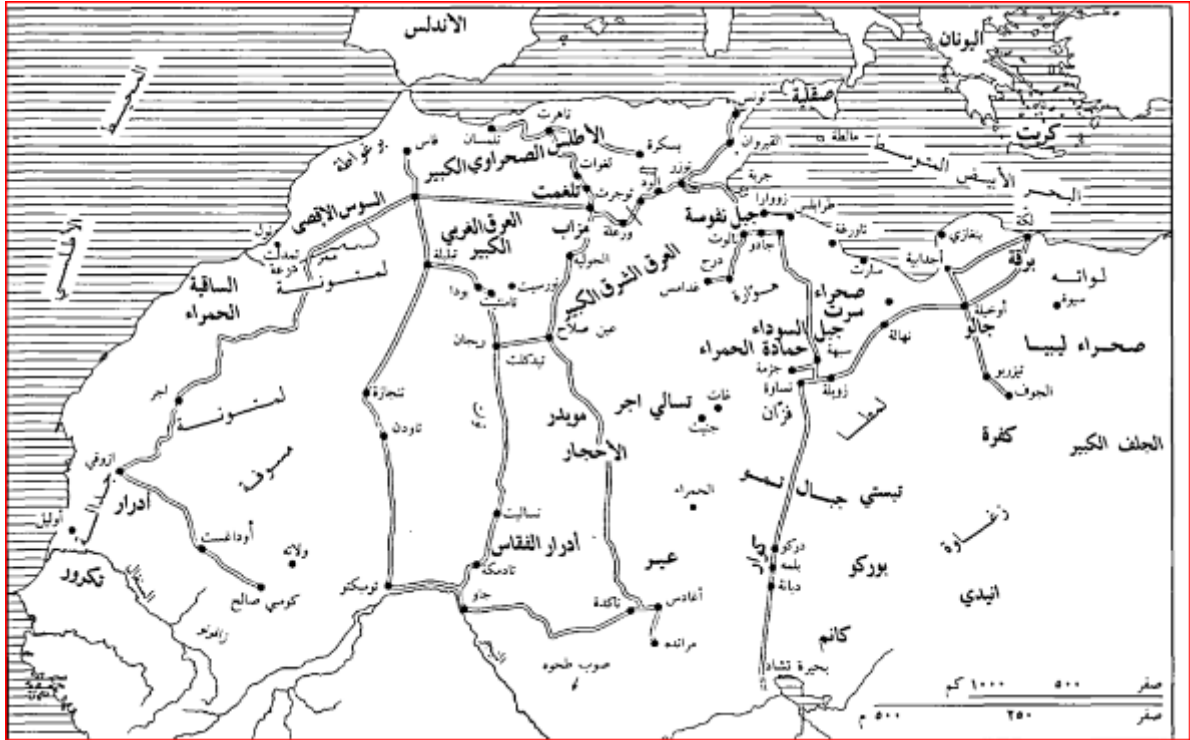


14:نعل جلدي



15-درع جلدي

ملحق الخرائط والأشكال والصور واللوحات



الخريطة رقم 01: توزيع المراكز الكبرى في الصحراء / نقلا عن تايدور ليفسنكي



الخريطة رقم 2: مراكز الصناعة الجلدية في أقاليم السودان .عن غابوس (بتصرف الطالب)

وسادة تصنع بالأيير



سرج تامزك.

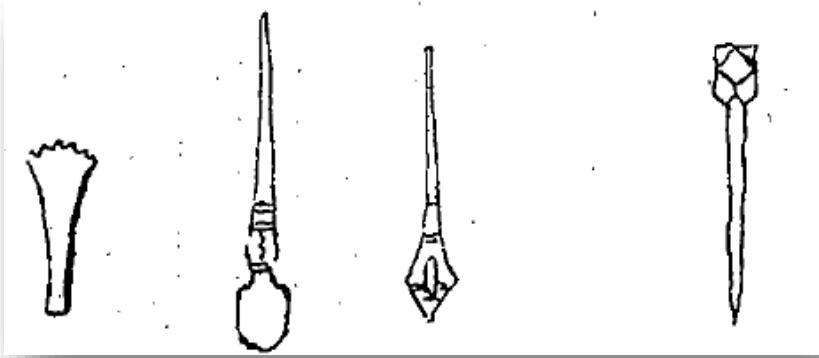


درع جلدي يصنع بالأيير



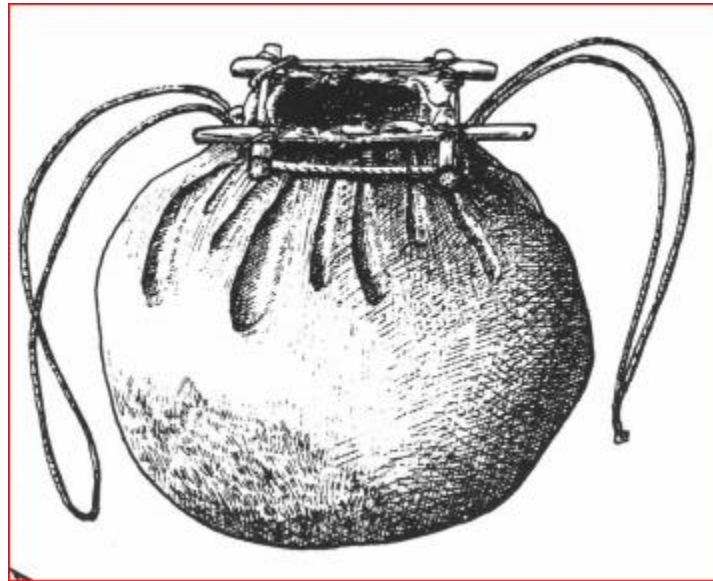
وسائد تصنع بأدرار ايفوغاس





الشكل رقم 1: آلات صانع الجلد.

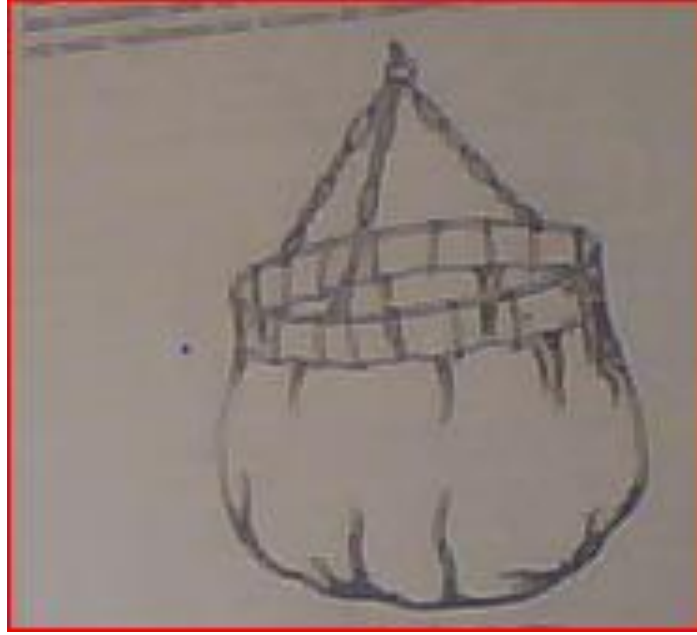
عن Girconcourt, M. G. (de), « L'art chez les Touareg », Revue d'ethnographie et de sociologie, 5, 1914,p52.



الشكل رقم 2: حافظة جلدية لحفظ السمن

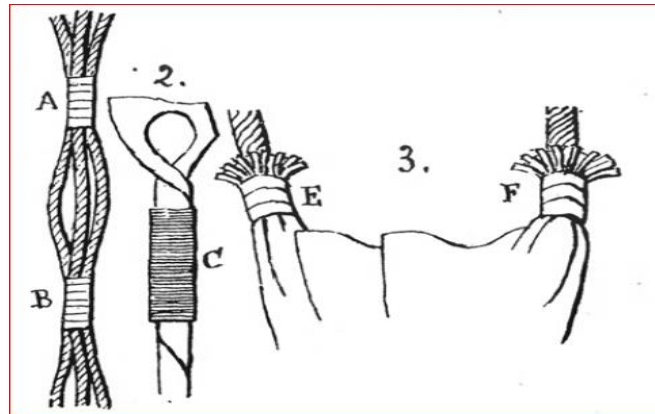
عن

Gast(m) , alimentation chez touareg l'ahaggar ,etude ethnographique , crape ,n°II,alger ,art metier grahique ,1968.



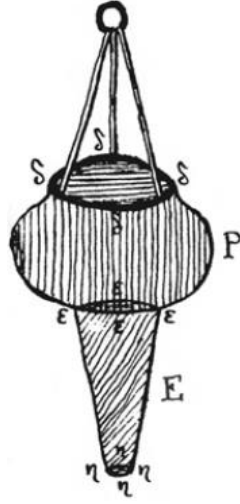
الشكل رقم 3: دلو من الجلد عن/

lhote, les campent touareg ,oeuvre francais, paris,1947,p65



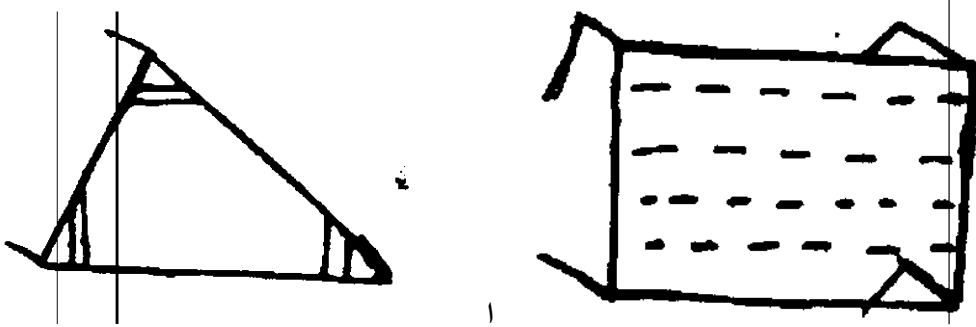
الشكل رقم 04: عُرى جلدية مضافورة تشد منها أطراف الأدوات الجلدية عن/

Charles foucauld,dictionnaire touareg ,tome iv,p1633.



الشكل رقم 5: الكرب (محمليا الكم) : أربطة بشكل هرمي تعلق في نهاية الحبل. عن/

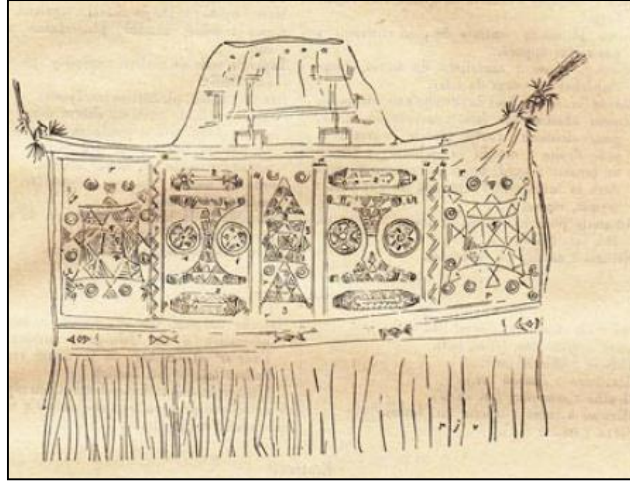
foucauld , dictionnaire touareg ,tome 3, p1044



تاكلت ناهض

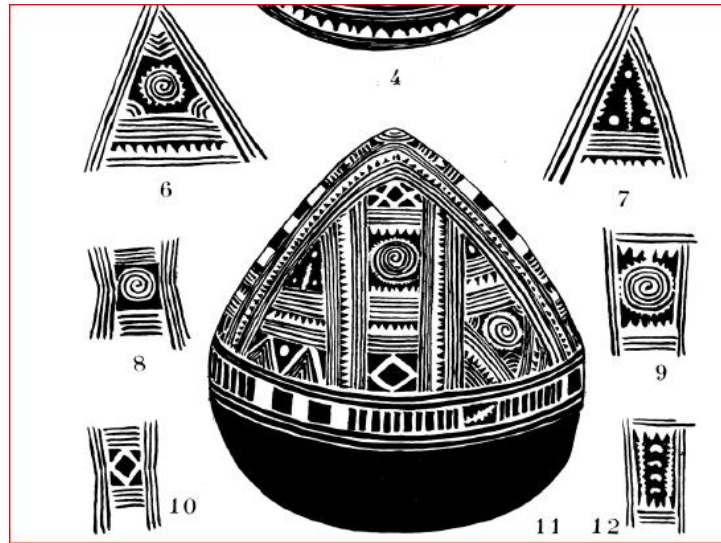
الشكل رقم 6: الأختام المستعملة على الجلد عند الطوارق.

عن/ نور الدين بن بوعبدالله ، الحلي التقليدية لطوارق الهقار ، ص 96.



الشكل رقم 9: حقيبة تاهيهات عن/

nicolas ,tamesna , p167



الشكل رقم 10: العلبة الجلدية وأهم الرسوم المزينة لها عن/

Zelinter,boite cuir non tanne



الصورة رقم 1: وند لتعليق أنية الحليب مزين بشراشف جلدية عن/

Creyaufmüller, (Wolfgang), Völker der sahara mauren and twareg , Linden Museum

Stuttgart. Staatliches Museum für Völkerkunde ,p92.

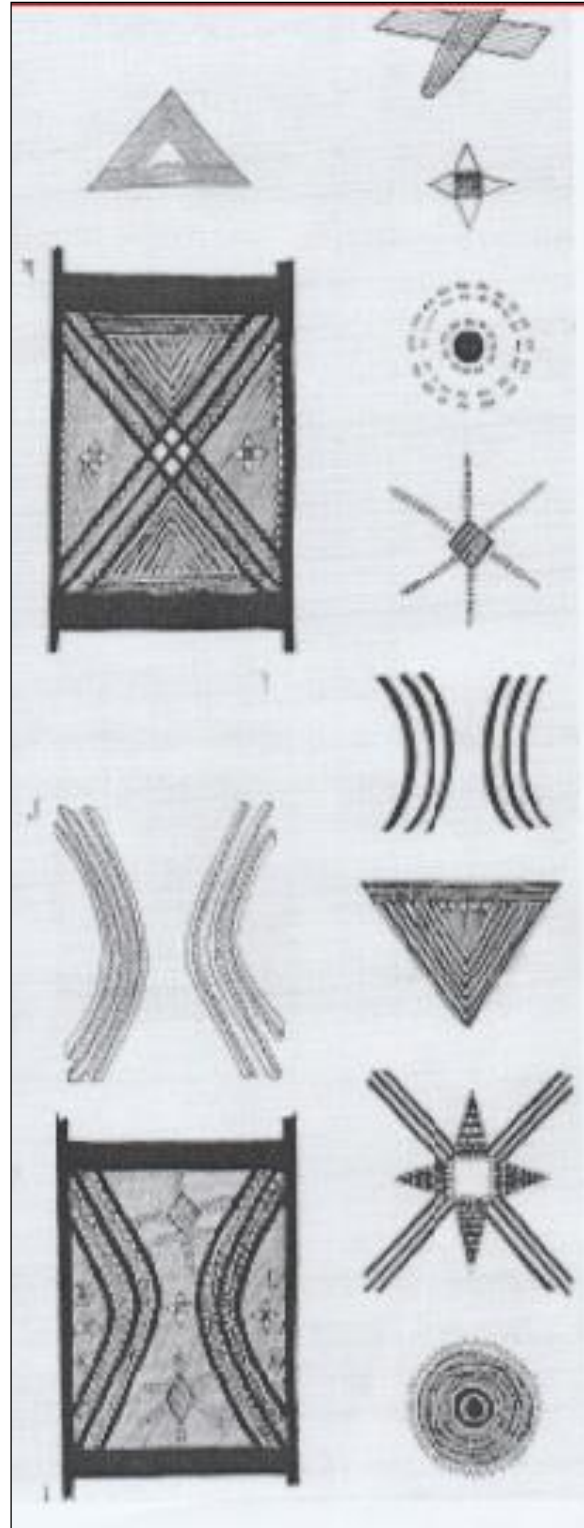


الصورة رقم 02: قربة الماء .



الصورة رقم 3: غرارة من الجلد من الحجم الكبير لحفظ التمور عن/

Gast, « Cuir et peaux », revue encyclopedie berbère , volume n° 14, *Conseil – Danse*,
Aixen–Provence, Edisud, 1994



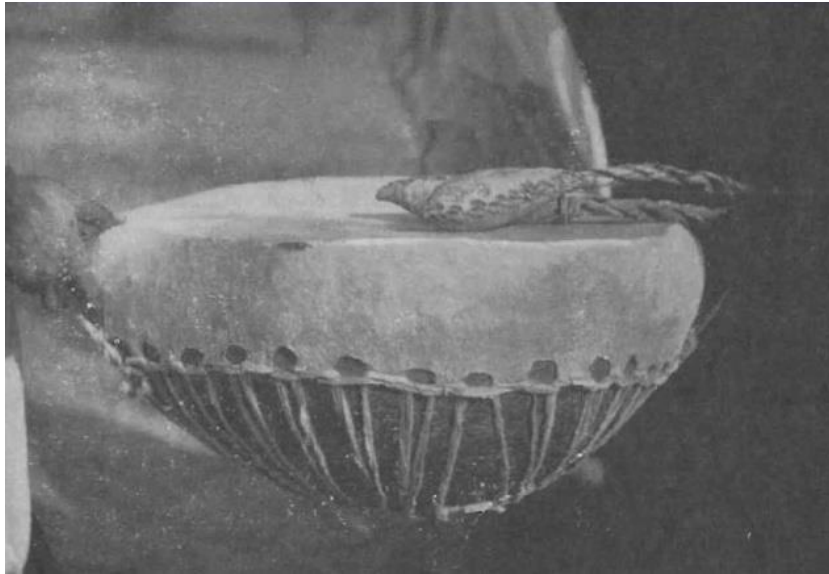
الصورة رقم 4 : قطعة من الأهداب الجلدية والمواضيع الفنية المنفذة عليها.عن/

Gabus, au sahara art et symboles ,p195



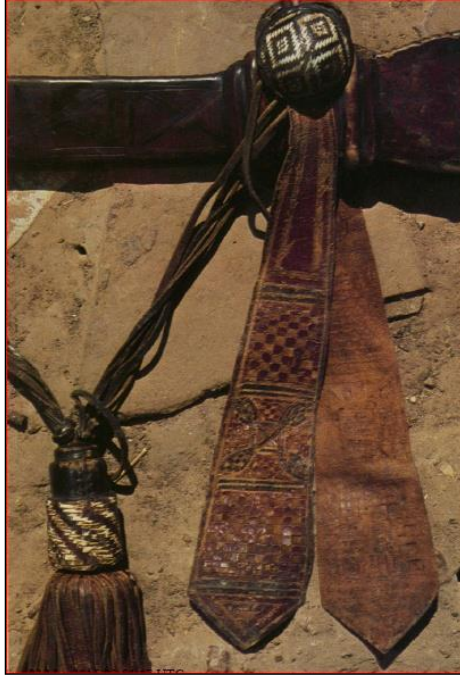
الصورة رقم 5: حمالة سيف مطرزة.عن/

Gabus ,au sahara



الصورة رقم 6: الطبل الجلدي مع المضرب عن/

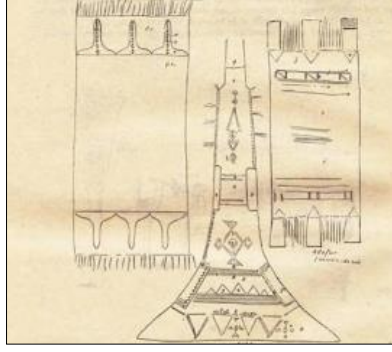
nicolisian ,etude sur touareg ,p37



الصورة رقم 7 غمد سيف في السودان الغربي بأهداب جلدية حمراء منقوشة بأسلوب الطوارق.



الصورة رقم 8: نقوش سحرية على السرج



الصورة رقم 9: الوسائد المستعملة في السودان عن/

Nicolas,tamesna,p162



الصورة رقم 10: قلادة جلدية تعلق في رقبة الجمل.عن/

Nicolas,tamesna ,p177

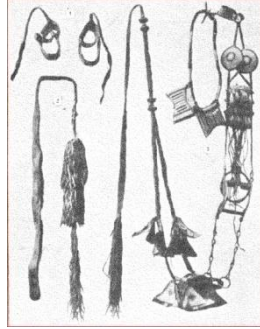


الصورة رقم 11: تميمة



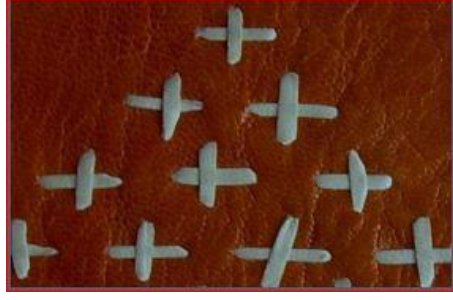
اللوحة رقم 1: منتجات السودان الغربي: (محفظة التبغ + وسادة) عن

barth tome4,p10



اللوحة رقم 2: معدات الفرسان: الخفاف واللجام والرسن عن /

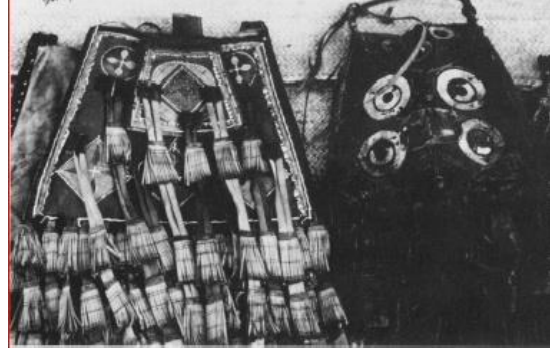
Foureau lamy,D alger kongo p 880



دوائر حمراء حديدية على أرضية خضراء



اللوحة رقم 3: تخريم الجلد الأخضر على أرضية حمراء .



اللوحة رقم 4: الحقائق المستعملة في السودان .

الخاتمة

الخاتمة:

تعتبر الصناعة الطارقية جد هامة في التعرف على حضارة الطوارق، وتزداد خاصة عند طوارق الهقار أهميه، حيث اتخذت الصناعة الجلدية بالهقار سمات وملامح خاصة في الصناعة والزخرفة، وتمثلت الصناعات الجلدية في عدة أدوات :الطبول والدروع والنعال، السروج والحقائب و المحافظ، وهذه الأدوات قد تطورت بالهقار عبر فتراته التاريخية، إذ ارتبطت هذه الأدوات واستعمالها بالمنطقة، فمنذ العصور الأولى كان محاربو الليبيين يرتدون حمالات جلدية ،ولا يزال محاربو الأيموهاج المنحدرين منهم يرتدونها، وكذلك في العصور الوسطى اندمجت صناعات بعد مجئ كبار الجمالة (هواره) بالهقار، حيث طوروا صناعات السروج الخاصة بالجمال والمهاري ومعدات التهجين (رواحل ،لجام ،حبال).

- إن إقليم الهقار وفر عدة انواعا من الجلود(الظباء، الأروي، الغزلان،) وعالجها الأهالي بمواد دباغية متعددة نباتية(القرظ، الطلح)، معدنية (الشب ، الملح)، وأنتجوا جلودا ناعمة ولينة استعملوها في شتى حاجياتهم ،واستعمل الدباغون صبغات محلية لإكساب الجلود لونا مناسباً فكانت اللون الأصفر والأخضر خاصة الاحمر الأجوري، وأستعمله أغلب الصحراويين في توات وطليت به جدران قصور، وكانت المواد التي يعمل بها الدباغون مواد بدائية توفرت بالمنطقة كالحجارة لصقل الجلود ، وكانت تخاط الجلود بالإبر ، والسكان الاصليون للهقار من الأسكمارن يستعملون فقط شوك الطلح أو قرون الغزال لخياطة..

- إن أهم صناعة عند البدو الرحل هي: صناعة الخيم التي تصنع من جلود الموتون والماعز وتقوم المرأة بالهقار بتزيين مداخل الخيم بشراشف جلدية على خط منشاري، وتقوم بصنع القرب الماء من جلود الماعز، والشكوة لحفظ اللبن ، وعلب لحفظ الزبدة وبصنع تاسوفرا، وأتقنوا صناعات الجلود غير المدبوغ القد، حيث يغلفون به سائر الأدوات الخشبية كأقتاب للدواب ومساند جيدة وهو رطب، وأيضا صنعوا أحواضا لشرب الدواب ، وصنعوا

صحنوا ، وصنعوا السياط وصنعوا الحبال، وخاصة حبال الملحقة بالدلاء الجباد وهي صناعة مهمة خاصة بالصحراء في تيديكلت وبالهقار تصنع من الجلود ، وإن هذه الأدوات المذكورة هي من أسهمت في قيام أنشطة زراعية ورعوية وهي من أسهمت بإعمار الهقار .

- إن الصناعات الجلدية شهدت تطورا في الهقار في القرن التاسع عشر بفضل الصناع وتم جلبهم بالأغارة من طرف جماعات محاربي الأيموهاج ،وهؤلاء الصناع المحترفين لهم تقنيات جد عالية في نقش وصنع الكثير من الآلات الجلدية والتي شملت: الدرق الجلدية ، مصنوع من جلد الظباء مزين بعلامات سحرية ، الطبل الجلدي مهم عند مجتمع كيل أهقار ، لأنه مجتمع حربي، وسروج بلواحقها، بينما كانت نساء الحدادين تزيين الرواحل بالسيور الجلدية ، خزامة وصنع وضفر مقاليد وأزمة الجمال (خضراء وحمراء)

- الهقاريون لهم تقنيات في صناعة الجلود والزخرفة مميزة، فأغلب الأدوات كانت من الجلود، كما إستعملوا تقنيات شملت التغليف أو التجويف، ويقوم نساء الهقار مع مجموعات أخرى في صنع أعمال جلدية خاصة كالمحافظ والوسائد وتصنيع حقائب متعددة السفر تاشكوات ، وحقبة الجفرة وتاهيهات ،وهي بزینتها تبرز الحضارة الترحالية، حيث يتم صنع حقبة تاهيهات من جلد رقبة الجمل و توزع زخارفها في حقول صليب ودوائر ومثلثات منفذة بقطع جلدية ملونة ومثلثات بخيوط حرير خضراء وحمراء وهذا التطعيم يكون على أرضية حمراء،بينما يتم زخرفة الاهداب بصنوف رسوم هندسية (رقع شطرنج ، اشربة ، ويعد هذا الاسلوب شائعا كثيرا في فنون الهقار على الجلد وايلوميدان،وتتنوع اساليب الزخرفة بالهقار وعناصره مستمدة من الفن البربري.

- لقد تعددت العناصر الزخرفية بالهقار من المثلث والمعينات والدوائر والنقط، ولاشك أن لها دلالة ، فالمثلث يعني المرأة وهي رمز الخصوبة قديما ،وهناك علامات هي ترمز الى آثار متعلقة بآثار قديمة من رموز الصيادين كأرجل الضب وأرجل الظباء .

وهذه الزخارف لها دلالات فلكية وهناك رموز متعلقة بالديانة القديمة للبربر ، وعلامات ثقب المفتاح والمتعرج المشرب ، وخطوط ونقط وثقب المفتاح من توات والمرأة الطارقية تعرف معانيها لأنها مرتبطة بالسحر والطقوس.

- الإنتاج الجلدي للهقار كان يعتبر ذو قيمة اقتصادية بالمقايضة، فالجيرة تقايض بجمل والخيم تقايض بجملين، وإنعكس على جوانب اجتماعية في ظهور طبقات إيهقارن المحاربون: والذين خصوا أنفسهم بمنتجات عالية ، بينما فئة إسكماريين التابع خست بأقل الأدوات مثل الألبسة الجلدية ،ومن ضمن منتجات الهقار التي يصنعونها من الجلد: ايمركدان : وحزام تمنطقة مزود بجراب لوضع الأغراض ومحفظات متنوعة ، وصنعوا ضفيرات ونسعات لتعليق المفاتيح أو لشد الصحون تعليقها ،كما خصوا جلودا للتداوي حسب معتقدات الطوارق مثل جلود الوزغ للتداوي من لسع العقرب ، وجلود أخرى إستعملت في مجال إجتماعي لصنع الآلات الموسيقية ، وصناعة الطبل يدل على حصاره الطوارق وعلى تقاليد المجتمع الحربي للهقار.

- من صناعات السودان، نجد صناعات السودان الغربي في تومبكتو ، أما في السودان الأوسط وجدت مدينة كانو كأكبر مركز وكانت جاليات الصانع من العرب ومن السود، وكانت بها آبار للصباغة ويستخرجون صباغ خضراء السمنتو، ويصنعون حقيبة الجيرة يصنعون الخفاف وعدة الفرسان ويصنعون وسائد بألوان مطرزة خضراء وحمراء وعلب لوضع البخور، تمتاز بنقوش أصيلة سودانية.

من ضمن الانتاج السوداني كذلك نجد المنتجات الطارقية ،حيث يمكن القول أن صناع الطوارق هم من أبرز الصناع السودانيين لما لهم من تقنيات عالية وزخارفهم الهندسية المتنوعة على الجلود فكانت لهم تقنيات بالحفر برقع الشطرنج وعلامات متعددة مثلثات ومعينات ، وكان التطريز بتغليف القطع الجلدية بالأخضر ثم ت يتم تفرغها لتباين الأرضية التي غالبا ما تكون حمراء، ويمكن أن نشيد بأن اللون الأخضر قام الطوارق باستخراجه

محليا بمزج بين المعادن (النحاس الأصفر مع التوتياء)، ويسمونه أمانازار، وكانوا يطرزون به منتج الراحلة وهو منتج ذو أهمية عند الطوارق يحلونه بقطع نحاسية . وكانوا يصنعون العلب الجلدية التي تشبه الجرار الفخارية في زخارفها.

-إن الفن الطارقي مميز والمنتجات تظهر بالرموز الموجودة على الجلود برموز خاصة كالصليب المعقوف، وأشكال هندسية من النجم و مربعات ومعينات ،وهي زخارف ورموز وظيفية لها قوة ذات صبغة طقسية توضع على التروس والتمايم والسروج لحماية المحارب والراكب وهي مرتبطة بمعرف خط الرمل ، أو معارف لدى المرابطين وتتمثل فنون الطوارق في (طوارق كيل تادمكة وإيشرفين أنها استعملت بعض الزخارف الهندسية كالعين و الخامسة، وهي رموز علوية عربية على التحف الجلدية)، وأيلوميدان وكيل غرس تطريز عالي ومتنوع للجلود متنوع بينما ظلت فنون الهقار أصيلة متمثلة في عناصر هندسية عريقة .

ان الإنتاج الجلدي في السودان يعكس علاقات حضارية متبادلة ما بين الصحراء وشمال أفريقيا حيث الآلات الموسيقية والطبول والدلاء والحبال ومعدات السروج كلها منتجات خاصة بالصحراء انتقلت للسودان.

-توجد المجموعة الجلدية في المتحف الوطني البارود وهي مجموعة غنية جدا وهي تنتمي هذه القطع بزخارفها الى فترة هامة وحيز جغرافي من شمال الصحراء : الهقار وبعض المناطق المجاورة من السودان : (تامسنا، كانو) ولقد خصصناها بدراسة أثرية لبعض قطعها كالتروس والسرج والوسائد والعلب ، وصنفت : أدوات المحاربين: السرج، الطبل ، الزمام ، السيوف، وأدوات السفر:حقيبة الجبيرة، وأدوات المرأة: محفظة الكحل، حقيبة تاهيهات ،إمزاد، المهد والوسائد.

إن هذه الأدوات تختزل حضارة الهقار ويجب أن تعرض مع جميع القطع الأخرى ، من المنسوجات و زربية أولاد نايل وزربية الأوراس وفخاريات بلاد القبائل ، كما تبقى القطع غير معروضة جميعها ، لضيق المساحة في المتحف .

قائمة المصادر والمراجع

الببلوغرافيا:أولا: المصادر :

القرآن الكريم .

1-البغدادي، الأفادة والأعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، 1286هـ، وادى النيل -مصر.

2-أبو حامد الأندلسي الغرناطي ، تحفة الألباب ونخبة الأعجاب ، تحقيق إسماعيل العربي المؤسسة الوطنية للكتاب ،رويبة -الجزائر ،1993.

3- ابن بطوطة ،الرحلة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،المطبعة الخيرية لصاحبها عمر حسين الخشاب ، بيروت، 1322 هجرى

5-إبن خلدون (عبدالرحمان)،المقدمة ، دار الفكر العربى للنشر والتوزيع ، بيروت-لبنان ،1981.

6-إبن سيده ، المخصص ، تحقيق عبدالحمدي أحمد يوسف الهنداوي ، الجزء الرابع دار الكتب العلمية- بيروت لبنان ،1971، ص502

7- البكري(أبو عبيد) ، المغرب في ذكر المغرب وإفريقية وهو جزء من المسالك والممالك ، تحقيق أدريان فان ليوفن ، وأندري فيرى ، الدار العربية للكتاب ، دار الحكمة ، تونس ، 1991.

8-النعالي (أبو منصور)، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق عبدالرزاق المهدي ، إحياء التراث العربي ، بيروت -لبنان ، 2002.

9-الشريف الأديسي ، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذ من من نزهة المشتق في إختراق الأفاق ، مطبعة بريل، ليدن ،1863

10-الدينوري (أبي حنيفة أحمد بن داود)، تحقيق: برنهارد لفين ، الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس، مكتبة فرانز شتاينر بفيسبادن ،ألمانيا ، 1974.

11-القزويني أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ،بيروت -لبنان،1971

12- الوزان (الحسن)، وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر ، الجزء الثانى منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامى بيروت -لبنان، 1983.

13- كعت، تاريخ الفتاش، تحقيق هوداس ودولافس، مطبعة بردين، أنجي.

المخطوط: الشيخ العتيق، الجواهر الثمين في أخبار الملثمين، مخطوط المركز الأفريقي لأحياء التراث الإسلامى بالجامعة الإسلامية بالنيجر ،ساي ، النيجر

-المراجع:

أ- باللغة العربية:

1-الغربي ، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، مؤسسة الفليح للطباعة والنشر ، الكويت ، بدون تاريخ.

2- أعشى مصطفى، أحاديث هيرودوت عن الليبيين الأمازيغ، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2009.

3-القشاش (محمد سعيد)، الطوارق عرب الصحراء الكبرى ،الطبعة الخامسة ، الدار العربية للموسوعات، بيروت لبنان، 2008 .

4-القشاش، صحراء العرب الكبرى، دار الملتقى للنشر والتوزيع ودار الرواد ، طرابلس- ليبيا، 1994.

5- السليماني (أحمد)، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر.

6-أحمد الشكري، الإسلام و المجتمع السوداني ،أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة 1999.

7-التويجى، طرائف وذكريات وعجائب فى أحوال الأولين والسوالف المجلد الثانى، دار العاصمة، السعودية، 2004.

8- التينبكتي ، الطوارق ، منشورات منظمة تاموينوت،المغرب ،بدون مؤسسة الطبع .

- 9-العربي(إسماعيل) ، الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1982.
- 10- عبدالسلام، بوشارب، الهقار أمجاد وأنجاد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، روية، الجزائر، 1995.
- 11-بوليت (ريتشارد) ،الجمال والعجلة، ترجمة مروان سعد الدين ، كلمة، الامارات ، 2009.
- 12-بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب العربي ،ترجمة الهادي أبولقمة والدكتور محمد عزيز، الطبعة الثانية، جامعة قاريونس، بنغازي ، ليبيا ،1988.
- 13-بن رمضان(زوليخة)،المجتمع والدين والسلطة فى إفريقيا الغربية ما بين القرنين 5و10هجرى ،الجزء الثانى ،دار أبى رقرق للطباعة والنشر ، المغرب ، 2015.
- 14- تيلوين(جرمين)، الحريم وأبناء العم،، ترجمة عز الدين الخطابي وإدريس كثير، دار الساقى، بيروت لبنان،2000.
- 15-جى فى دي، تاريخ غرب افريقيا،ترجمة يوسف نصر، دار المعارف ،القاهرة ،مصر،1983.
- 16-جواد (على) ،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، المجلد السابع ، الطبعة الثانية ، جامعة بغداد -العراق ، 1993.
- 17- حمادي (عبدالله الأدريسي) ، سجل ماسة قاعدة المغرب قبل فاس ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، 1970.
- 18-حوتيه محمد صالح ، توات والأزواد ، الجزء الأول ، دار الكتاب العربي ، الجزائر 2007.
- 19-دانيلز(تشارلر) الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، تعريب أحمد اليازورى، دار الفرجاني، ط2، 1991،طرابلس ليبيا.
- 20-ديكسون ، عرب الصحراء، ترجمة شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، ط2 بيروت، 1998.

- 21-زكي(ع) ،الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا، مجموعة محاضرات أُلقيت في جامعة الدراسات الإسلامية ، مطبعة يوسف، مصر ، 1967.
- 22-سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المجلد الثامن،دار الغرب الاسلامي ،بيروت -لبنان .
- 23-سعيدان(الحاج التومي)، الحاج التومي سعيدان ، سكان تيديكلت القدماء والأتكال على النفس ، دار هومة ، الجزائر ، 2005.
- 24- محمد بازينه (عبدالله سالم)،إنتشار الاسلام فى افريقيا، منشورات 7أكتوبر، مصراتة ،ليبيا ،2010، ص104.
- 25- عنايات المهدي، فن الزخرفة على الجلد، دار ابن سينا، القاهرة-مصر ، 1998.
- 26-غوتيه، ماضى شمالى إفريقيا ، ترجمة هاشم الحسينى ،الجزء الثالث ،الطبعة الثانية ، مؤسسة تاولت الثقافية ، ليبيا ،2010.
- 27- فيرون(ريمون) الصحراء الكبرى ، ترجمة جمال الدين الديناصورى ، مؤسسة سجل العرب،القاهرة ،مصر ، 1963.
- 28- كامب(غابريال)، فى أصول بلاد البربر ماسينسا أوبدايات التاريخ ، تعريب وتحقيق العربى العقون ، المجلس الأعلى للغة العربية،الجزائر ،2009.
- 29-كامبس ، البربر ذاكرة وهوية ،ترجمة : عبدالرحيم حزل ،إفريقيا الشرق،المغرب ،2014.
- 30- لوبون (غوستاف)، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتير، مؤسسة هنداوى ،مصر 2013 .
- 31-ليون (جون فرانسيس)، من فزان إلى طرابلس، ترجمة: مصطفى حمودة ،الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس ،1976.
- 32- مارسيه(ج)، بلاد المغرب وعلاقاتها مع المشرق الإسلامى فى العصور الوسطى، ترجمة محمود عبدالصمد هيكل، مطبعة الانتصار، مصر ،1991.

33- مادهو باننيكار ، الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقيا ،ترجمة أحمد فؤاد بلبع ،الجزء الأول ،المجلس الأعلى للثقافة،ط2، القاهرة ، 1998.

34 _ محمد لواء الدين أحمد ، الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه ، دار الكتب العلمية -بيروت ، لبنان ، 1971.

35- محمود (مصطفى)، مغامرة في الصحراء ،المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر،مصر ،1977.

36-نقولا زيادة، إفريقياات دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي ،الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت -لبنان ، ص 323.

37- هوبكنز، التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية، ترجمة أحمد توفيق بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة - مصر ، 1998

38-هوارد (س)، أشهر الرحلات في غرب إفريقيا ، ترجمة عبدالرحمان آل الشيخ ،الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ،1996، ص150.

42-هورنمان (فريدريك)، يوميات الرحلة ، (الرحلة من القاهرة الى مرزق عاصم فزان1797)، تعريب محمد مصطفى جودة ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس -ليبيا ،1968.

43-ولداالنفرة أكناته ،الطوارق من الهوية إلى القضية،المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الاستراتيجية،طوب بريس ، نواكشوط ، موريتانيا ،2014.

44- ولد سالم حماه الله ،تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ، 2017.

45-ولد الحسين(الناني) ، صحراء المثلثين (دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الأقليمي خلال العصر الوسيط من القرن2الى 5 هجري)،دارالمدار الاسلامي ،بيروت لبنان.

ب- باللغة الأجنبية :

1- ballout .loonel, collection ethnographique ,albume n°i, touareg l'ahaggar , art et metier grahique ,paris,1990.

2-Barth(henry), Voyage et decouverte dans l’afrique septentrionale et centrale les anne 1849 , tome ii, paris , 1861 .

3-Blanguernon.claude, le hoggar ,arthaud,paris,p40

4- Bissuel(h) ,les touareg de l’ouest , adolphe jourdan ,alger, 1888.

5- Cohen (s),Mots usuels de la langue arabe , adolphe , jordan , alger 1897.

⁶-Creyaufmüller, (Wolfgang), Völker der sahara mauren and twareg , Linden Museum Stuttgart. Staatliches Museum für Völkerkunde

7_deuveyrier (h) ,les touareg du nord ,challamel ainé ,paris ,1864.

8-Dumas.Eugene, Grand dezert itineraire d une caravane du sahara au pays des negres,et ausone de chancel,1848 ,p147.

9- edmond seré de riviere , histoire du niger, berger levrault ,paris, 1965.

10- Foureau(lamy) ,esquisse ethnograhique touareg l’air ,mission sientifique , tomme ii , paris.

11- Gast(m) , alimentation chez touareg l’ahaggar ,etude ethnograhique , 15 crape ,n°II,alger ,art metier grahique ,1968

12-Gabus(jean), au sahara art et symboles , baconnier , neuchatel ,1958

13_ Gabus, Art nègre : Recherche de ses fonctions et dimensions ,la baonnier, neuchatel suisse ,1967.

14_Galey abdealkader , esclavage du niger ,agence university de la francophone ,karthala ,paris ,2010.

15-Gustave (m), centenaire de l’algerie expose d’ensemble tome I,edition soubiron, alger, 1931.

16_Hama(b), recherche sur l’histoir des touareg saharienne et soudanais, presence africaine ,paris ,1967.

17_Hinker(c), style touareg , iramam , paris ,IRAMAM ,2005.

¹⁸-hamani djibo,contribtion a l’etude de l’histoire des etats hausa ,l’adar precoloniale ,irsh,1975 .

19_jemma(d),tanneure du marrakeche ,mémoire du crape,XIX ,zaban ,alger,1971.

20_lenz (oskar),timbouctou ,voyage au maroc ,au sahara et au soudan ,tome second,hachette ,paris,1887.

21_lhote(h), Comment campent les touareg , collection des peuple campeure , j.susse.paris 1947.

22_lhote , dans les campement touareg , oeuvres française,paris 1947.

23-Lethielleux.jean,le mouton dans les tribu nomades presaharienne ,presentation et edition de francisco moscoso garcia,el jardni de la voz22,madrid,2022.

24- Lovejoy ,Slavery commerve of production, africa world press, new york ,2004.

25- Nicolas (f), tamesna touareg du l'est ou touareg kel dinnk ,paris , mdcccl.

26- savage landor, Across widest africa vol II , charles scribner's sons,new york, 1907.

27-Tuwt ,(abd Qdir ibn ab bakr) ,le sahara et le Soudan,traduit de l'arabe M. l'abbe barges, just rouvier ,libraire edititeur,paris1852.

28-Depuis yakouba ,l'industrie professionnelle tombouctou ,l'hamatan ,paris , 1993

29-Wilferd(d.hamply) ,culture of areas of nigeria , filed museume of natural history ,vol xxi ,no .3.chicago ,1893.

المقالات :

أ-باللغة العربية :

1-أركيبي(صلاح الدين)،"فئة المعلمين في المجتمع القبلي البيضاني"، مجلة عمران العدد5/19 المغرب، 2017.

2-صلاح الدين أركيبي، صلاح الدين أركيبي، "الحرفيات البيضانيات دراسة في التقنيات والأشكال والرموز"،مركز جيل البحث العلمي،العدد 9، أبريل-2016،الجزائر

3-الخاتم(على)،الأسلام فى السودان الغربى ، أثاره السياسية والثقافية ، دراسات إفريقية ، العدد الأول ، المركز الإسلامي الأفريقي الخرطوم، السودان ، 1985.

- 4- أحمد بن عمر الزيلعي ، "الجلود"، موسوعة الثقافة التقليدية في السعودية، المجلد الثالث، دار الدائرة للنشر والتوثيق، السعودية، 2000، ص 433.
- 5- محمد بركة ، إبراهيم بركة ، "لمحات من تاريخ قبائل التوارق"، مجلة دراسات إفريقية، جامعة الجزائر 02، العدد الثالث، الجزائر .
- 6- بشي (العيد)، "من مظاهر التلاحم الحضاري في الصحراء الجزائرية قبيلة أوراغن وعلاقتها بالشعانية"، مجلة دراسات إنسانية، العدد الأول، جامعة الجزائر ، الجزائر ، 1991.
- 7- بوعزيز ، طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الفرنسيون خلال القرن التاسع عشر ، كتاب طرق القوافل ودورها الحضاري حتى القرن التاسع عشر ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 1984.
- 8- تايدير ليفستكي ، دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب ، تاريخ أفريقيا العام من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر.
- 9- عزة عبد الخالق، "الصناعات التقليدية في دولة مالي الحديثة" ، مجلة الفنون الشعبية، العددان 92/93، ديسمبر 2012، يناير 2013، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ، مصر .
- 10- عولمي (الربيع) ، التجهيزات العسكرية للفرق المساعدة النوميديّة والموريطانية في الجيش الروماني ، مجلة الحوار الفكري ، العدد 11 جامعة أحمد دراية ، أدرار ، 2016.
- 11- زبال (سالم)، "الطوارق حيث الرجال ملثمون والنساء سافرات" ، مجلة العربي، العدد 98 يناير ، الكويت ، 1967.
- 12- فورتيني كورين، المجموعات الصحراوية بمتحف كي برانلي، التراث الصحراوي (الذاكرة والتاريخ)، ملتي الطريق، المغرب، 2012.
- 13- محمد مصري فوزي رحيل ، "مكارية القاهرة في عصر سلاطين المماليك" ، مجلة نوري أفق التراث والثقافة"، العدد 64 ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، 2016

14- نوري دريد عبدالقادر، "إزدهار الصناعة والزراعة في بلاد السودان الغربي بعد القرن الخامس الهجري كما وصفته المراجع العربية الإسلامية"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد 6، العدد 21 الكويت، 1986

15- مهدي آدامو، "الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط"، تاريخ إفريقيا العام من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، الجزء الرابع، اليونيسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت-لبنان، 1988،

16- هقاري (محمد)، "دور منطقة الهقار في تجارة القوافل الصحراوية ما بين القرن 17 و 18م"، مجلة أفلق علمية، العدد الحادي عشر المركز الجامعي لتامنغست، جوان 2016.

ب-بالغة الأجنبية :

- 1-Bernus ,rècit historiques de l'azawagh (tradition des illuemmeden kel dinnik,bulletin de l'I.F.A.N.T.XXXII,sèr.b,n°2,1970.
- 2- Bernus , « the tuareg wanderere of the dezert » swisair gazette ,n° 11.
- 3_barbara E.frank , " Open Borders Style and Ethnic Identity " , African Arts, Vol. 20, No. 4 (Aug., 1987).
- 4-cid alhaj abdelkader et touati Sahara et le soudan ,revue de l'orient ,France 1953.
- 5-Gabus(j), l'exposition temporaire dans la vie d'un musee d'ethnograohie ,museum vol iv ,n'3 ,1951 ,paris .
- 6-Gabus , « Civilisation contact » , acta tropica-ethnographie , n° 1,1948.
- 7-Gast, « Cuir et peaux », revue encyclobedie berbère , volume n°14,Conseil – Danse, Aix-en-Provence, Edisud, 1994
- 8-Girconcourt, M. G. (de), « L'art chez les Touareg », Revue d'ethnographie et de sociologie, 5, 1914.
- 9-hinker , "identite et metier des inaden" , etude essais, l'homme169,2004,p141.
- 10- hinker ,forgerons touareg et métturigistes des udalen .un exemple de commplentairte technique « touareg et autre saharienne entre pleusieure mondes ,aix provence, edisud.

- 11-Hugot, cordonnier d'oulef ,bulettin liasion saharienne n°29mars, alger,1958
- 12-Hunwick ,"Your yumble servant the mémoire of abd allah ghadamamisi of kan 1903-1908" , sudanic africa , vol 9, (1998).
- 13-Jean Célestin KY , « patrmoine culturel sahaeliens dans les collection du musee national du burina », revue histoire archéologie africaine ,godo godo ,n° 20-2010, educi ,burkinafaso ,2010.
- 14- Killialn c , « l'art des touareg », la ranaissance , n711, 1934,pp147.169.
- 15- Mounier , « travail des peaux chez les touareg hoggar , TRIS,vol,1942, Alger.
- 16- nicle echard , « societe touarégue et le métale », region d'un in gall-teggida – n-tesemt , etude nigérienne n°52,irsh,Niamey,1992.
- 17-Nicolas(Français) , l'industrie du production chez les touareg de l'azawagh ,hesperis, tome xxv 1938.
- 18-Romion (Jennifer) , Des egeptiens portant un baudriier libyen ?, ENiM 4,2011 .
- 19- Smith(Richard) , « what happened to the anceint lybyans ?chasing source across the sahara from hirodotus to ibn khaldun »,journal of world history 14,no.04(decembre 2000).
- 20-Shoup , « forgerons bidan », cahier du crasc n° 30 , 2014.
- 21-shoup , book craft in tarab al- bidan ,le chier du crasc , n 30, 2019.

الرسائل الجامعية : * باللغة العربية :

- 1-بن شعبة فاطمة ، تلف الجلود للمجموعة الأتتوغرافية بمتحف البارو ،مذكرة ماجستار،قسم الآثار ، جامعة الجزائر ، 2010.
- 2-بن عبدالله نور الدين، الحلي التقليدية لطوارق الهقار، مذكرة لنيل شهادة الماجستار ،قسم الثقافة الشعبية- جامعة تلمسان ، 2000-2001 .
- 3- قرزیز معمر، جمالية الرمز البربري في الفنون التشكيلية الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراة ، قسم الفنون التشكيلية، جامعة تلمسان، 2017-2018.

5- *باللغة الأجنبية:

1-Arnould john ,Regional market système developement and changer in relation of production in three communites in zinder province ,the niger puplique ,copyrit unversity arizona ,1982.

2-boucksom,Arts "touristiques" en Afrique et consommateurs Occidentaux: le cas de l'artisanat d'art au Niger,these doctorat , l'Université Paris I, en Histoire de l'art,2009.

3-Dédé, Jean-Charles —, « Les Kel Tamasheq et la cité de Tombouctou, du VIIIe au XVIe siècle ». Thèse de doctorat, Université Félix-HouphouëtBoigny, Abidjan,2010.

4- Jessie Sirico , the sociale lives of touareg bracelets and tent posts in the , collection of the spencer museume, mémoire of master arts,university kanasas ,2014 .

5- Wassouni , l' artisanat du cuir l'exterme –nord du cameroun du xixé a 2007, these doctorat , universite de ngaoundere , 2010.

القواميس :

1- الفيرزو بادی، تاج العروس، تحقيق عبدالعليم الطهطاوي، الجزء 31،"نعل حكم"،بيروت،2000.

2-إبن منظور ، لسان العرب ، الجزء السابع،دار صادر، بيروت -لبنان، 1955

3-إبن سيده ، المخصص ، تحقيق عبدالحمدي أحمد يوسف الهنداوي ، الجزء الرابع دار الكتب العلمية- بيروت لبنان ،1971.

4- De foucauld(Le père) , Dictionnaire abrégé Touareg-Français (dialecte Ahaggar),tome 1, J. Carbonel. Alger.

5-facauld ,dictionnaire touareg francais : dialiecte de l'ahaggar ,tome I ,MDCCCCL , paris.

بحوث المنشورة في المعارض:

Exposition TRÉSORS DE L'ISLAM EN AFRIQUE, de Tombouctou à Zanzibar, institut du monde.

فهرس الأعلام

أ

أبو بكر : (عائلات):147.

البوزو(قبائل): 165 ، 150.

أق أخموك:93.

أغ محمد الفقيه:196.

الأرما: 143.

ب

بيلا (قبائل): 136.

بني دواله :158

ت

تين هينان:184.

ج

جودر : 143.

ع

عثمان بن فوديو :142.

غ

غارسا : 146.

غرانكي: 144

ف

محمد المختار 30

فولبي : 148

ي

يولاند تشودي: 186

فهرس الأماكن:

أداغ: 117

أزواغ 40

أمادور (سبخة): 123.

أغاديس 157

الهقار 25، 26، 28

ت

تادمكة : 117

تكدا: 40.

تومبكتو : 135، 137.

تافدست 123

تيديكلت 79

كانو

147

فهرس الخرائط

رقم الخريطة	عنوان الخريطة	رقم الصفحة
1	الصحراء الكبرى وأهم مراكزها	225
2	مراكز الصناعة في السودان وأهم منتجات الجلدية	226

فهرس الأشكال

رقم الشكل	عنوان الشكل	رقم الصفحة
1	آلات صانع الجلد	227
2	حافطة من الجلد لحفظ الزبدة	227
3	دلو	228
4	عري جلدية مضفورة تشد منها أطراف الأدوات الجلدية	228
5	جزء مضفور يلحق بالدلو	229
6	أهم الطوايح والأختام على الجلد	229
7	العناصر الفنية على الجلد	230
8	سير جلدي يشد طرفي النعل	230
9	حقيبة تاهيهات	231
10	علبة جلدية	231

فهرس الصور

رقم الصفحة	عنوان الصورة	رقم الصورة
232	وتد مزین بشرائط جلدية	1
232	قربة	2
233	غرارة من الجلد من الحجم الكبير	3
234	قطعة من الأهداب مزينة بأسلوب الحز	4
235	حميلة من الجلد تستعمل لحمل السيف وتعليقه	5
235	طبل	6
236	غمد سوداني بأسلوب فني طارقي	7
236	نقوش سحرية على السرج	8
237	وسائد	9
237	محفظة	10
237	قلادة جمل	11

فهرس اللوحات

رقم الصفحة	عنوان اللوحة	رقم اللوحة
238	منتجات جلدية من تومبكتو	1
239	معدات الفرسان	2
240	أنواع التطريز	3
241	الحقائب	4

قائمة المصطلحات

الأسم المحلي بلغة الطوارق تامشق	التحفة
Elem , erit ,	أديم (جلد)
فراش (هيدورة)	أغليم
تاروت	تعويذة
	جباد (أحميل)
قربة	تانورات
تاشكوات ،	ظرف جلدي
تاريك (راحلة)	سرج
أيهان	خيمة
القروي	غمد كبير
تامترك	نسعات
لباس جلدي	تبتيق
إيمركدان	نعل
تاهيهات	حقيبة
تامهيت	حقيبة كبيرة
الطبل	طبل
ثاغونت	زمام
تافرويت	حوض
العروة	العروة

فهرس المواضيع

8.....مقدمة

الفصل الأول: تاريخ وجغرافية الهقار، وحياء الطوارق السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الفكرية والثقافية

21.....1-تمهيد

22.....2-جغرافية الهقار وتضاريسه

23.....3-تعريف الطوارق

25.....3-1طوارق الهقار (التسمية، الأصول، الهوية)

26.....3-2لأصول وهوية طوارق الهقار

28.....3-3الطوارق سكان شمال إفريقيا القدماء

28.....3-4الطوارق في العصور الإسلامية الأولى

29.....3-5مجال الهقار

30.....3-6التركيبة السكانية للطوارق

31.....3-5موطن طوارق الهقار وعاصمتهم

32.....4-الحياة الاقتصادية للطوارق

33.....4-1الرعي

34.....4-2الحرب والسلب

35.....	3-4التجارة.
36.....	5-الحياة السياسية.
36.....	5-1سلطنة أزجر.
37.....	5-2سلطنة الهقار.
38.....	5-3سلطنة واليمدان كل أطرام.
38.....	5-4سلطنة واليمدان أهل الشرق.
39.....	5-5سلطنة الأير.
40.....	5-6سلطنة تمزقيد.
40.....	5-7سلطنة كيل غرس.
41.....	5-1-1نظام الحكم في السلطنات.
41.....	5-1-2- السلطان: الأمنوكال.
44.....	5-1-3 شيخ القبيلة: أمغار.
44.....	5-1-4- الأمام.
45.....	5-1-6- إحتفالات التنصيب.
46.....	5-8-العلاقات بين السلطنات التارقية.
47.....	6-الحياة الاجتماعية للمجتمع التارقي.
48.....	6-1-القبيلة.

49.....	2-6-التقسيم الاجتماعي عند الطوارق
49.....	3-6-أقسام طوارق الهقار
49.....	1-3-6-فئة المحاربين
50.....	2-3-6-طبقة الأمغاد
51	3-3-6-طبقة الفقهاء
52.....	4-3-6-الحدادون: (إنيضن، إيكنوان، إيكدمان)
53.....	5-3-6-طبقة العبيد والموالي
53.....	4-6-نظرة في أصل التقسيم عند الهقار
55.....	7-الحياة الفكرية عند الطوارق
55.....	1-7-الإسلام والتعليم
55.....	2-7-معارف الطوارق
57.....	3-7-المعتقدات الشعبية عند الطوارق
58.....	4-7-الغال والتطير
58.....	5-7-الجن
59.....	6-7-آداب الطوارق
61.....	7-7-الغناء والموسيقى
62.....	8-الحياة الثقافية والاجتماعية لقبائل طوارق الهقار

62.....1-8 الألبسة.....

64.....3-8 الزواج عند الطوارق

66.....4-8 الطب الشعبي عند الطوارق

67..9- جهود الاستعمار الفرنسي في التعرف على الطوارق في القرن التاسع عشر..

68.....1-9 لماذا أختار منطقة الهقار.....

68.....2-9 أهم أعماله العلمية.....

69.....4-9 آليات تحقيق مشروعه.....

70.....5-9 لماذا فشل مشروعه.....

الفصل الثاني : تطور الصنائع الجلدية في الهقار.

73.....تمهيد.....

75.....1- صناعة الجلود في الصحراء من خلال المصادر التاريخية والأثرية.....

76.....1-1 الصناعة الجلدية عند الطوارق ومقوماتها.....

80.....2- مواد الدباغة-النباتية.....

82.....ب-المعدنية.....

83.....3- طرق وتقنيات الدباغة.....

84.....3-1 مراحل ما قبل الدباغة -السلخ.....

84.....-التنظيف والتلميح

85.....	-السلت.
85.....	-مرحلة الدباغة.
87.....	3-3 صباغة الجلود وتلوينها.
87.....	1-اللون الأبيض
87.....	2-اللون الأحمر
88.....	4-اللون الأسود.
89.....	5-اللون الأصفر.
89.....	4-الصناعة.
90.....	4-1 أدوات الصناعة.
92.....	4-2 الإنتاج الجلدي: الإنتاج العائلي.
92.....	4-3 صناعات الجلود المدبوغة.
92.....	1-الخيم.
94.....	2-أثاث الخيم.
95.....	3-القرب.
96.....	4-الشكوة.
97.....	5-بطة الدهان.
98.....	6-تاسوفرا.

7-	الدلو.....	99
8-	أوعية العسل.....	102
4-4	صناعات الجلود الغير مدبوغة.....	99
أ-	الأغلفة.....	100
ب-	التثبيت والأربطة.....	101
ج-	أدوات السقي.....	101
د-	أدوات الرعي.....	102
هـ-	حقائب التخزين.....	103
5-	الانتاج الصناعي.....	103
5-1	العمل الجلدي.....	104
5-2	تقنيات التزيين.....	105
5-3	تقنيات الصناعة الجلدية.....	107
5-4	أهم الرموز التزيينية المستعملة على الأدوات الجلدية.....	108
5-5	نماذج من الصناعات الجلدية الطارقية	110
1-	الأدوات الحربية	110
2-	النعال.....	111
3-	أدوات حفظ الأغراض وأدوات الزينة.....	113

4-المحافظ.....	114
6-التبادل الأقتصادي والخدمات داخل النظام القبلي للطوارق.....	116
6-1أصول الصناعات الطوارق.....	116
6-2شروط تعلم الصناعة.....	118
6-3مراكز الصناعة.....	118
6-4أثر الصناعات بالهقار في الجانب الحضاري	120
-أدوات الركوب.....	120
6-5الملابس	122
6-6مجالات إستعمالات الجلود عند طوارق الهقار.....	125
1-المجال الطبي.....	125
2-السياسي.....	126
3-الأجتماعي.....	127
الألات الموسيقية	128
الفصل الثالث:الصناعات الجلدية الطارقية وإنتشارها في السودان الغربي والأوسط في القرن التاسع عشر وآثارها الأقتصادية والحضارية والفكرية.	
1-تمهيد.....	132
2-السودان الغربي والأوسط.....	133

3-العلاقات بين الشمال و الصحراء: نشأة المدن بالسودان الغربي.....	135
3-1- منتجات نفعية وإمدادية.....	138
3-2-المنتجات السلعية.....	139
3-3-نشأة مدن السودان.....	139
4-الصنائع بالسودان الغربي	140
4-1تطور الصناعة في السودان	142
4-2الأننتاج الجلدي في السودان.....	146
4-2-1-الدباغة.....	146
4-3-الصناع المتخصصين.....	147
4-4-سمات تصنيع الأدوات الجلدية بالسودان.....	148
4-5-الأدوات الجلدية بالسودان.....	150
الحقائب.....	150
-المحافظ.....	151
العلب الجلدية.....	152
مراكز صناعة العلب.....	155
نماذج من العلب.....	157
النعال.....	158

5-التجارة ومبيعات المنتجات الجلدية في بلاد السودان.....	159
5-1تجارة الجلد الخام.....	161
5-2نموذج عن قافلة طوارق الهقار التبادل مع أقاليم الأير.....	162
6-مراكز الصناعة بالسودان.....	165
7-المراكز الطارقية.....	166
مدينة أغاديس.....	166
السرّج.....	168
النعال.....	168
الوسائد.....	169
7-2(العيون المألحة).....	169
8-الفنون الجلدية الطارقية وطرزها.....	171
9-الأبعاد الحضارية بين السودان والصحراء من خلال الإنتاج الجلدي.....	175
9-1-السروج.....	175
التماث.....	176
9-2أدوات السقي والأفرشة.....	177
9-3المخطوطات.....	178
الفصل الرابع: الدراسة الاثرية والفنية للمجموعة الجلدية المحفوظة بالمتحف الوطني الباردو.	

1-تمهيد.....	181
2-المتحف الوطني لما قبل التاريخ و الأنتوغرافيا بالجزائر " البارديو".....	182
2-2-تاريخ تأسيس متحف البارديو.....	183
2-3-وحداته المعمارية.....	183
2-4-المقتنيات الموجودة بمتحف البارديو.....	184
2-4-1-منهج جمع التحف الجلدية.....	185
2-5-أدوار متحف البارديو.....	186
2-6-أساليب العرض بالمتحف الوطني البارديو.....	187
3-الدراسة الأثرية والفنية للتحف الأنتوغرافية:.....	188
3-1-البطاقات التقنية.....	189
4-الدراسة الفنية.....	214
ملحق الخرائط والأشكال والصور واللوحات.....	224
الخاتمة.....	243
قائمة المصادر والمراجع.....	248
فهرس الأعلام والأماكن.....	259
فهرس الخرائط.....	261
فهرس الأشكال.....	261

262..... فهرس الصور واللوحات

264..... قائمة المصطلحات